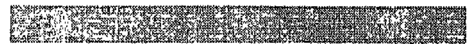
خمسون عاماً من الموسيقى والأوپرا

دار الشروق



خمسون عامًا
من
الموسيقى والأوبرا



الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

مقدمة

مع مرور عشر سنوات على افتتاح المركز الثقافى القومى، وعودة دار الأوبرا شامخة إلى حياتنا الفكرية والفنية بعد طول غياب، كانت لنا الوقفة الطويلة والذكريات البعيدة، مع البدايات الكبرى لظهور الموسيقى العالمية على أرضنا الطيبة! فعندما أنشئت مثلاً الدار الخديوية فى عام ١٨٦٩ ، كانت أولى الانطباعات لدى الغرب، هى التساؤل والتعجب من بناء مثل تلك الدار على أرض إفريقية، كما قالوا! ولكن لم يمر وقت طويل، حتى حان موعد لقائها مع القدر، ودخولها التاريخ من أوسع أبوابه، ووقوفها فى صفوف الدور العريقة، عندما أضافت إلى عيون التراث، ما ينفع الوطن بوجه خاص والإنسانية بوجه عام، حين ولدت بها وانتسبت إليها رائعة الروائع الأوبرالية «عايدة» وذاعت شهرتها، وحسن استقبالها حيثما ذهبت فى رحلتها بين عواصم الحضارة، انطلاقاً من دارها الأم بالقاهرة!

وعند افتتاح الدار الجديدة بالقاهرة فى عام ١٩٨٨ ، حاملة لشعار أكبر، هو المركز الثقافى القومى، أثير التساؤل من جديد، ولكن هذه المرة، كان التعجب من غياب الدار عنا قبل ذلك طوال سبعة عشر عامًا، رغم رسوخ التقاليد لدينا طوال قرن من الزمان، استوعبنا خلاله النموذج وخضنا التجربة ومارسنا الإنجاز، مهما بدا متواضعاً فى أوله، كما يقضى بذلك منطق الأمور، وحتى جنينا الثمار، مهما جاءت بطيئة فى نضوجها. . وحتى زخرت حياتنا الثقافية مع مرور الأيام بصور القديم والجديد من أشكال الفن ومعطيات الفكر الحضارى!

وها هى الدار المصرية، تواصل الآن الرسالة بطموحات كبيرة فى أكثر من مجال، وكلما تحقق لها من الإنجاز ما تعتز به، زادها ذلك اعتزازاً بجذورها فى الماضى العريق، والتى مهدت لها الجو الذى ولدت فيه فتية قوية لامعة. . وطاب لها أن تزهو فى تفاخر محمود بالأنساب والأجداد، وتحيى ذكرى الأمجاد، وتطلب المزيد من الجديد، فيما يقال عن الماضى المجيد!

وهنا جاءتنا الدعوة من الفنان مصطفى ناجى رئيس المركز، لمشاطرتنا لدارنا التفاخر، ومشاركتها فى الاحتفال بعيدها العاشر، فى عمر مديد بإذن الله! وكان أن رجعنا إلى مخزون الفكر والذاكرة وحصيلة التجربة والتسجيل فى رحلة العمر، استئنافًا لمشروع لم يتم، حين طرأت فى عام ١٩٩٤ فكرة الإحياء لذكرى مرور قرن وربع على افتتاح الدار القديمة، وذلك بإصدار كتاب يسجل المناسبة!

وهكذا، أمسكت القلم مع استحضار الذكريات، ولكن برؤية أكثر شمولا. . ففى الحقيقة أنى خضت التجربة قبل ذلك، ومنذ وقت مبكر، حين كتبت فى أول الأمر صفحات محدودة عن موضوعنا، أتبعتها بصفحات أكثر عن تاريخ الدار، ثم تفصيلاً عن خلق أوبرا «عايدة» وتقديمها بها. . ثم المقالات العديدة عن ذلك فى شتى المناسبات منذ أكثر من ربع قرن، ولكن كل ذلك - من منظور تسجيلى - يقوم فى معظمه على التوثيق التاريخى! أما الآن، فنحن بصدد العودة برصيد أكبر عن الدور الفنى المباشر لدار الأوبرا القديمة فى حياتنا الفنية وتفاصيل ذلك. . وموقف المجتمع مثلاً من الدار التى جاءته بالجديد والغريب من أشكال الفن البعيدة عما توارثه، ولكنه لم يرفضها. . واحتضنها وهيأ لها موقعًا متميزًا فى قلب عاصمته كظاهرة حضارية، وحتى تطورت مع مرور الأيام نظرته إليها لتحظى بأهميتها فى حياته، سواء من جانب المتلقى لفنونها بهدف المعرفة والتنوير، أو الفنان المتأمل، يخوض فى جوها تجارب المحاكاة والخلق والتطوير؛ والدار من جانبها ماضية فى عرض القمم مما أبدعته قرائح المشاهير فى كل عصر، وذلك فى تتابع زمنى يجعل منها مرآة لمراحل التغيير فى مدارس الفن، ومنبرًا لأحداث المجتمع، الفنية والأدبية والسياسية. . ومقرًا لمؤتمراته الدولية!

وبين سيرة الدار، وموقف المجتمع من فنونها، وحركة المواطن فى مجال رسالتها، كانت المعالم التى أرشدتنا إلى الاتجاه المطلوب فى منهج هذا الكتاب! ومما لا شك فيه أن طريق الاقتراب من هذا العالم الساحر، والكشف عن مواطن الجمال فيه، اقتناعًا برسالة الدار فى حياتنا، كان يتطلب التهيئة الطويلة للشخص، كثقافة لها مقوماتها التى لا يتوقف الكلام عنها الآن، وعن آثارها فى مكونات المواطن. . وكان لنا حظ الأخذ بالكثير من

أسبابها، منذ النشأة فى المجتمع الريفى القديم بقيمه وأصالته، وسط البيئة النظيفة فى حضن الطبيعة الأم، التى تغنى بها بيتهوفن فى سيمفونيته السادسة! ومنها كان الإنطلاق إلى مجالات أوسع بين الريف والحضر، تسودها معطيات البيئة والمدرسة والقدوة وتنوع منابع المعرفة، كقرون استشعار يهتدى بها الإنسان السوى فى مسيرته . . ومع الاستقرار فى حياة قاهرية، كلها علم ومعرفة وهوايات راقية، كان الاقتراب من عالم الموسيقى والأوپرا، وذلك منذ مرحلة عمرية مبكرة، تحقق خلالها التزاوج بين التحصيل والترفيه . . وكانت الوقفات أمام لوحة على خريطة المجتمع أو معلومة أو لقطة متحفية، تعرضنا لشىء منها فى سياق الفصل الأول من الكتاب!

ونشير هنا إلى أننا، فى سبيل الموضوعية والالتزام بجو الواقع بقدر الإمكان، فى سرد الرواية التى وصلت بنا فى خواتيمها إلى مقام الشهادة على العصر، آثرنا اختيار التجربة الشخصية كنموذج لمواطن، تحرك وسط أجيال متعاقبة، توارث معظمها النظر إلى دار الأوپرا، على سبيل المثال، كمجرد «أوپرا خديوية» يؤمها القليلون منا والكثيرون من غيرنا . . وقدمت فى افتتاحها أوپرا «عايدة»! وصدقنا معهم الأسطورة! إلا إننا مع المزيد من الاقتراب من فنون الموسيقى العربية، عزفًا واستماعًا، فى مرحلة الدراسة الثانوية، اكتسبنا غير القليل من إمكانات المشاركة فى مناقشة أمورها وبرؤية موضوعية، وخاصة فى قضية تطويرها والاقتباس فيها من المنقول عن موسيقى الحضارة فى أوروبا! فلقد دفع بنا مثلاً المسرح المدرسى فى عام ١٩٤١م إلى الخطوات الأولى نحو دار الأوپرا، وعالمها الخلاب، حيث شهدنا لأول مرة جهودًا وطنية طموحة، ولكنها غير شائعة فى حياتنا الموسيقية الحافلة بأعمال التراث الشرقى، عندما وقف محمد حسن الشجاعى على رأس أوركسترا سيمفونى كبير يضم من المواطنين بعض مدرسى الموسيقى من أمهر العازفين إلى جوار غيرهم من أعضاء الموسيقات العسكرية، والكثير من الأجانب الذين توارثوا العمل بدار الأوپرا فى تقليد قديم . . وشمل البرنامج بعض مؤلفات تشايكوفسكى الخفيفة، إلى جانب موسيقى الشجاعى الأوركسترالية . . وأسفرت التجربة عن عنصر جديد فى نظرتنا العملية للفن الموسيقى فى أرقى صوره!

وفى الفصل الثانى من الباب، تتضح المعالم فى رحلة البحث الواعى عن المزيد من هذه الموسيقى الأوركسترالية، وحتى الاهتداء إلى ما كان يقدم منها فى البرامج الأجنبية بالإذاعة أو مقتنياتنا الخاصة على تواضعها أو المناسبات الطارئة.. والقراءات.. والتنقل بين المواقع الجادة التى تمارسها على المستوى العام فى المجتمع تحت شعار جمعيات أو جماعات، وما شابه ذلك، مع تفاوت ثمار الاتصال بها.. يواكب ذلك بداية التطلع إلى نقل اهتماماتنا إلى شريحة أكبر من المواطنين، كرسالة لها أهميتها فى مجالات جديدة للثقافة، انطلاقًا من جهود متناثرة لسابقينا، وكان أن دفعنا فى النهاية بكلماتنا الأولى عن الموسيقى السيمفونية إلى المطبعة، وذلك فى سطور محدودة أو صفحات يضمها كتاب فى ركن جديد بالمكتبة العربية.. وكل ذلك وسط زحام الاهتمامات المتداخلة من واجبات وظيفية وهوايات وقراءات، ودراسات لبعض اللغات!

وفى الباب الثانى من الكتاب، نتناول فى فصله الأول، بوادر الصحوة الثقافية فى الخمسينيات.. والتحول الكبير فى سيرة الراوى من الهواية إلى الوظيفة التى مارسناها مع استحداث الأجهزة الحكومية العليا التى تخدم رسالة الفن والأدب، بهدف الارتقاء بمقومات المواطن! وهنا بدأت المعايشة للمجلس الجديد لرعاية الفنون والآداب، طوال مراحل النشأة والتطور والاستقرار فى رسالته، تحت شعارات سرعان ما رسخت فى حياتنا الفكرية واحتلت موقعها فى سياستنا الثقافية! وهناك توليت العمل أمينًا للجنة الموسيقى، أعقبتها المسئولية الشاملة للفنون الأخرى فى شعبة تضمها جميعا، حيث توالت الأفكار والخطط والمشروعات، ولكن دون السير دائمًا على طرق ممهدة، وخاصة حين دعا حرص الحكومة فى علاقاتها الجديدة مع أهل الفن، إلى تقليص دور المجلس فى مجرد التوصية دون اتخاذ القرار، وذلك وسط مواجهات متكررة بين المتحمسين للانطلاق، والمنغلقين على الموروث من الماضى العتيق، يواكب ذلك بالطبع ما يعتبر من عناصر التشويق فى سياق الرواية!

وهل ننسى هنا ما ضاع من السنوات من عمر معهد «الكونسيرڤتوار» على سبيل المثال، والذى أعتبر وجوده حينذاك من عناصر التهديد لتراثنا الشرقى، واضطرارى إلى التسلل للفكرة بمشروع

يحمل شعار «فصول الموهوبين» فى مراحل التعليم العام، والذى بلغ من ترحيب المسئولين به أن أضافوا فصلاً للباليه الكلاسيكى؟

وفى الفصل الثانى من الباب، يكون الانتقال إلى مرحلة التسليم بمعظم الجديد واجتياز العقبات. وحتى ظهور المعاهد الفنية تتوسطها قاعة كبرى للموسيقى.. ثم استحداث فرق الموسيقى السيمفونية والعربية والكورال والباليه وتقديم عروض الأوبريت العالمية.. وحتى الارتقاء إلى مستوى المشاركة اللامعة فى المناسبات الدولية، كالاحتفال بالعيد الألفى لمدينة القاهرة، يواكبه العيد المئوى لدار الأوبرا فى عام ١٩٦٩ - وذلك على الوجه الذى ورد تفصيلاً فى الباب الخاص بمسيرة الدار!

وفى الفصل الثالث من الباب، مع الخواتيم لرحلتنا الطويلة فى الجو الإدارى، نمر مروراً عابراً على مرحلة محدودة من التغيير فى الفكر واتجاه السير، والمواجهة مع البعض ممن كنا نتعرض لأمثالهم فى مسيرتنا منذ الخمسينيات.. واختفوا كما ظهروا، بينما تحركنا بكل الحماس لإضافة ما يخدم الجهود الثقافية، وفى أى مجال! وننقل هنا بعض اللقطات من مرحلة المعايشة غير القصيرة لعالم الفن فى عاصمته الإيطالية، مديراً للأكاديمية المصرية فى مرحلة جديدة من تاريخها الطويل، حفلت خلالها بالعديد من الأنشطة المتشعبة فى مجال الفن والثقافة - وبالعودة إلى القاهرة، كانت مشاركتنا الإيجابية فى تصميم الصرح الذى يحتضن الآن دار الأوبرا، تحت شعار: المركز الثقافى القومى!

ودعمًا للمسيرة المتجددة للدار، وتزويدها بالنماذج المتميزة مما يدور فى عالم الموسيقى والأوبرا، ننتقل فى الفصل الرابع من الباب الثانى من الكتاب، إلى عرض متعدد الأشكال والموضوعات للحياة الموسيقية فى كثير من العواصم الحضارية، عبر المشاهدة والمعايشة لها، وذلك تحت عنوان: سياحة موسيقية، امتدت بنا من أقصى الشرق الأوروبى إلى أقصى الغرب الأمريكى، وذلك فى أروع مظاهر الإحياء المستمر والتقاليد الممتدة فى المجالات السيمفونية والأوپرالية والباليه، ومنشآت تحتضن هذه الفنون فى آخر صيحات هندسية للعصر، أو تقليدية عريقة تحتفظ بصورتها التاريخية!

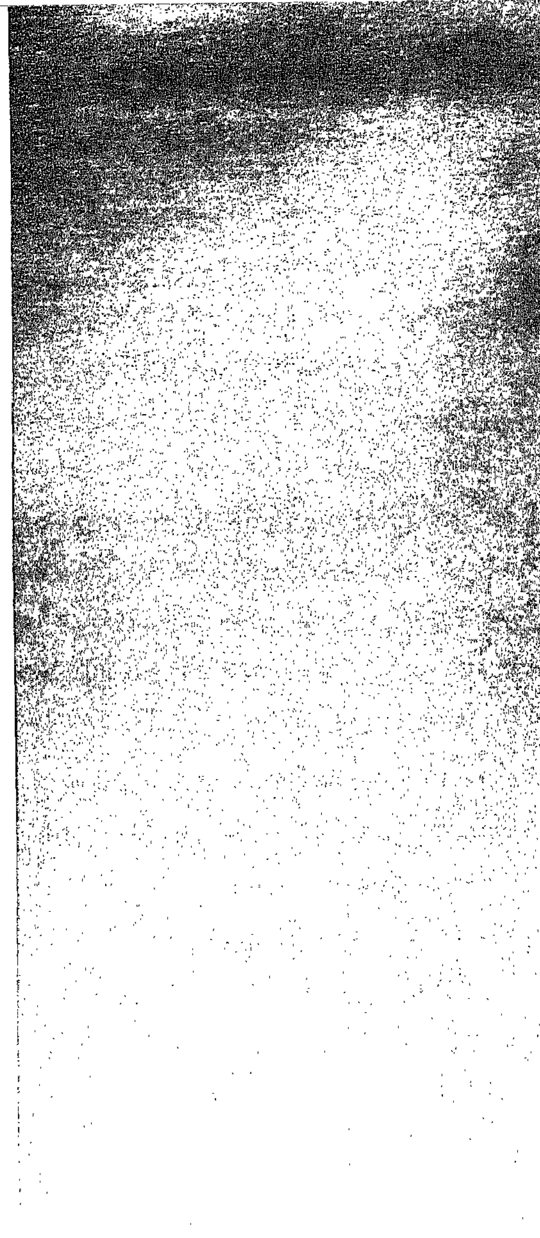
أما البـاب الثالث والأخيـر من الكتاب ، فيـمثل قـراءات تتخللهـا أحيانا التعليقـات ، ومـا تيسـر من بقـايا المخطوطات والمطبوعات وسكبنا فيها خلاصة ما قدمته دار الأوپرا طوال قرن من الزمان ، نقلاً عما صادفناه من أوراق قديمة ترجع إلى العصور الخديوية والسلطانية والملكية وحتى سنواتها الأخيرة والحافلة بالجهود الوطنية ، وذلك فى تسجيل غير مسبوق ، شأن غيره من أبحاث سبق لنا نشرها منذ أكثر من ربع قرن ، وكان لها صداها خارج مصر ، قبل أن تلقى الاهتمام الكافى على المستوى المحلى ! وقد اقتضى ذلك منا التقسيم لتاريخها الطويل إلى عشر مراحل زمنية شملت أهم ما كان يقدم بالدار ، وأوحى إلى الغير بأن يستحدث المسارح المماثلة على اختلاف مستوياتها خلال الأجيال المتعاقبة ، كمسرحى الهمبرا وعباس بالإسكندرية ، والكورسال بالقاهرة ، مع دعم ذلك بما أتيح لنا جمعه مع مرور الأيام ، من صور قديمة وبطاقات للبرامج تحظى الآن بقيمتها المتحفية . . ولتترك الدار فى النهاية بصماتها فى حياة الفن وجهود رواده بمصر ، وذكرياتها لدى أهل الفن خارجها حتى ظلوا يعتزون بسيرتها . . وما واكب كل ذلك من طرائف !

وهكذا ، بين حركة المواطن الطموح ، ومعطيات مجتمعه ، مع المعايشة لموضع القلب منه ، وبين ثمار علاقاته مع غيره . . توالت صفحات الكتاب فى تجربة العمر ، وما حملت من خبر أو معلومة أو صورة من تطورات المجتمع ومفاهيمه وثقافته ، مع المتابعة عبر الأجيال لجهوده فى ممارسة الجديد من الفنون الحضارية وحتى الوصول فى النهاية إلى مكان بين السعداء ، وهم الآن كثيرون ، تحت سقف الأوپرا وفيما حولها فى سوق للثقافة والفن ، أو مدينة فاضلة فى قلب النيل الموحى بكل جميل ، تجلب لروادها متعة الحياة ، ما دامت هناك حياة !

والله الموفـق ، ،

صالـح عبـدون

القاهرة ، فى يوليو ١٩٩٨



الباب الأول

أولى الذكريات

الفصـــل الأول

النشــأة ومؤشــرات التكـوين

صور ولقطات من مجتمعنا القديم:

الحمد لله الذى خلقنا أسوياء، غير مصابين بعمى الألوان أو صمم الاستماع! فبالفطرة أحببنا الجمال فى بيئتنا الريفية البكر الصافية والخالية من ملوثات وأمراض العصر.

كـم كـان جميلاً أن نستقبل اليوم الجديد بنداء الفجر، بصوت صادح شجى مفعم بالخشوع للمؤذن الضرير «أبو خضر» الذى لم يشاركه أحد فى رفع الأذان، بعد أن اختفت بعوامل الزمن المئذنة الأقدم، والتي ذكرها على باشا مبارك فى «الخطط التوفيقية» ـ وعند شروق الشمس وقبيل الغروب ـ كانت تصطف على أسلاك الهاتف المعلقة، طيور خضراء اللون وعلى مقربة منها أخرى سوداء، قيل إنها عصافير الجنة وعصافير النار، وقد اشتركت كلها فى تغريد كورالى فطرى، وسط لوحة تشكيلية بهية يثريها اللون الأبيض لبراعم أشجار المشمش المصفوفة بمحاذاة الطريق على شاطئ الترعة التى تخترق قريتنا. . ولم يكن ينقص اللوحة، سوى صوت خرير المياه المنسابة فى غابات مدينة «سالزبورج» النمساوية والتى أعادت إلينا فى يوم ما صورة من عبقرية المكان الذى أوحى إلي «موزار» ما أوحى!

ومع غروب الشمس، لم يكن هناك أبدع من صوت «طائر الكروان» الذى قيل إنه الدعاء بكلمات: **الملك لك!**

أما العصافير الجميلة والأكثر عدداً وألواناً، فكنا نذهب للفرجة عليها فى مقتنيات الخواجة اليونانى القزم «بنايوتى» صاحب مطحنة الغلال (وابور الطحين)، حيث تقوم أمه العجوز بواجب الضيافة نحونا بإعطائنا ملعقة واحدة صغيرة من مربى تدفع بها فى الأفواه الصغيرة حتى لا نطلب المزيد، والتى تميزت أسرته فى صنعها، أسوة بغيرها من الجالية اليونانية العريقة فى بلدتنا، وكثيراً ما رأيناهم فى منازلنا لممارسة مهاراتهن فى تعليم صنع الحلوى والمربى من ثمار العنب والمشمش الكثيرة فى قريتنا! ومنها اكتسبنا هذه الخبرات، ومع مرور الأيام صرنا معهم صهراً ونسباً.

وعن تلك البقعة النائية فى أقصى الشرق من الدلتا قال على باشا مبارك:

منية المكرّم[1] (بضم الميم وتشديد الراء المفتوحة) قرية من مديرية الشرقية بمركز الصوالح شرق فاقوس على

---

(١) ورد اسمها ضمن المدن القديمة فى كتاب «التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية» لابن الجيعان ٧٧٧ هـ.

نحو ربع ساعة، وشرقى «منية العز» بنحو نصف ساعة، وبها جامع ومئذنة وجملة زوايا، وفي غربيها منزل مشيد لعمدتها الحاج محمد إسماعيل[1] وله أيضًا بها معمل لدودة الحرير، وفى بحريها جنينة، ولها سوق جمعى، وتكسب أهلها من الفلاحة (الخطط الجزء ١٦).

وعما جاء حول المسجد المذكور، فقد أعيدت مئذنته فى الخمسينيات من هذا القرن، فوق قاعدتها العتيقة، والتى تجاورها الغرفة المودعة بها تفاسير القرآن الكريم، والتى ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر، وعلى صفحاتها الأولي عبارة «وقف» على المسجد مع توقيع منشئه الحاج محمد إسماعيل «ناظر القسم» وليس العمدة (١٨٥٩) ـ هذا ولم نجد فى القرية أثرًا لمصنع دودة الحرير، بينما اقتصرت آثار الحديقة على أحد الآبار المألوفة فى الريف القديم، وقد أطلقت فيه ـ فى جيل سابق لنا ـ بعض أسماك الزينة من حجم كبير تميزت إحداهن باللون الأبيض. . وعلى مقربة منه امتدت ممشاة تحت ظلال الأعناب المعلّقة، وذلك فى إطار منظر عام كانت له جاذبيته التى دفعت المخرج الشاب محمد كريم فى أوائل الثلاثينيات لاختياره عند تصوير المشهد الخاص بأغنية «جفنه علّم الغزل» فى باكورة أفلام الموسيقار محمد عبد الوهاب[2]: الوردة البيضاء فى عام ١٩٣٢ وعلى مقربة من هذا الممشى بقى أثر عتيق من بقايا الحديقة ألا وهى شجرة مانجو معمرة ولا تزال مثمرة تتوسط الحديقة فى شكلها الحديث وعرفت بالشجرة الكبيرة[3]، وقد استظل الأقرباء والأصدقاء بظلها الظليل جيلاً بعد جيل. . وظلت أم الذكريات فى منطقتنا وبقيت ذكراها فى أذهاننا منذ الطفولة، فهناك لعبنا وتسامرنا وأكلنا وشربنا، واستلقينا على الحصيرة فى ظلها خلال فترة النقاهة من عملية إكمال نصف الدين «الطهارة» التى أجراها لنا بكل صور البدائية شيخ حلاقى القرية المخضرم، وذلك على طريقته الشنيعة فى تكتيف وشل حركة الذبيح بمعاونة الأشداء من خفراء النظام، يلى ذلك كتم الدماء فى الموضع «بخرقة» مشتعلة بالدخان دون لهب، ثم ربط الموضع بخرقة! . . وكان العلاج والشفاء بعد عملية الختان للإناث ـ والتى تتولاها زوجة «السفاح الشرعى» ـ بأن تستبدل شعلة النار فى الموضع، بوقوف الفتيات فى ثبات أيامًا متتابعة وسط ماء النيل فى الترعة بملابسهن كاملة، وفى جماعات ملفتة للنظر إيذانًا بأنهن قد أصبحن من ذوات الكمال فى الدين والدنيا. هذا ويبقى لنا من الذكريات لشجرة

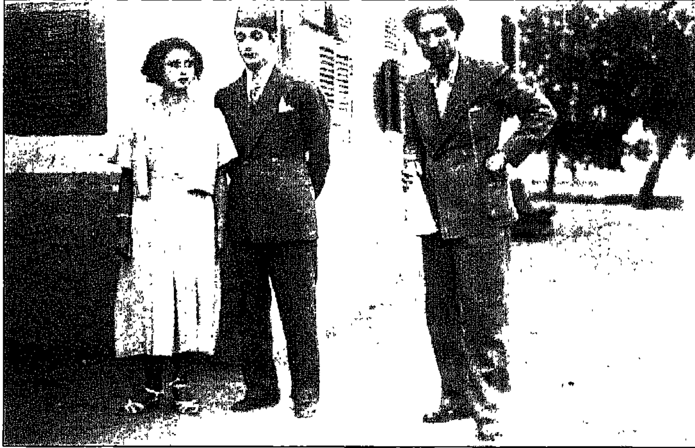
---

(١) قرينة هذا الجد الأكبر، عالم الدين المشهور بتجارة الحرير، واسمها «عريفة» هى ابنة حاكم شرق الدلتا صالح أغا من أولاد «الحوت» الذين ورد ذكرهم أيضًا فى «الخطط التوفيقية» ـ جزء ١٣ تحت عنوان «الصالحية» تنتمى إلى قبيلة بنى سُليم الوافدين إلى مصر من الطائف ١٠٩هـ، وبعد هجرة طويلة إلى المغرب العربى، عادوا إلى مصر فى القرن الثامن عشر الميلادى كما تقول بعض المراجع، وكانوا موضع تكريم محمد على باشا كما جاء تفصيلا فى «الخطط». . وتجدد التكريم بالألقاب فى الربع الأول من القرن العشرين! ومن الملاحظ أن كانت هناك بعض الأسماء لذرياتهم مثل «عبدون» الذى نقرؤه فى أنساب زوجة قطب الصوفية المشهور محيى الدين بن عربى: مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن البجائى، كما نجده الآن فى النوبة والسودان ونيجيريا، ولولا أن هذا الاسم متداول فى الطائف لقلنا إن أصوله مغربية، كما قال لنا المؤرخ عبد الرحمن زكى منذ أكثر من أربعين عاما. . أما الذى أدهشنا فهو قراءة الاسم G. Abdoun فى جريدة «الوموند» الفرنسية الصادرة فى ٢٠ / ١١ / ١٩٦٨ (ص ٢٢) تحت عنوان «أجندة الحفلات الموسيقية» بين مجموعة الغناء الفردى لأحد الأعمال الدينية لباخ بقيادة الفرنسى J. F. Paillard.

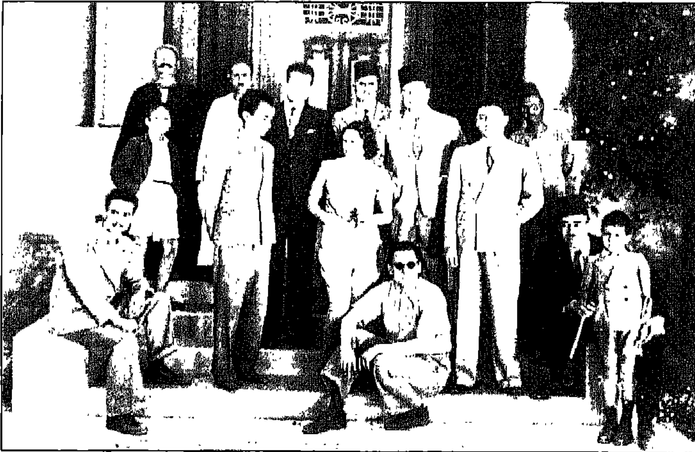
(٢) وعاد إلى قريتنا بعد سنوات لالتقاط مشاهد ريفية لأفلام أخرى مثل أغنية: يللى زرعتوا البرتقال ـ غناء رئيسة عفيفى التى كانت لها حينذاك شهرتها فى أداء زفة العروسة ـ وفي هذا المشهد رأينا من أهل القرية الكهل المرح «عدوى» يهتز طربًا، والريفية الحسناء «فتحية» تبتسم بدلال. . وكنا نعتز بها دائمًا كشقيقة لنا فى الرضاع!

(٣) اكتشفت وزارة الزراعة فى العشرينيات بين أشجار الحديقة نوعًا جديدًا من المانجو سجلته فى نشرتها، وظهر معه فى نفس الوقت نوع آخر ذاعت شهرته فى المنطقة باسم «سعد» وقت أن كان سعد زغلول زعيمًا للأمة على رأس حزب الوفد.

المانجو الضخمة ، وما أحاط بها من طرائف ، أنها فى موسم مقاومة الآفات الزراعية كانت تغطّى بخيمة عملاقة علي قدر حجمها الكبير ، فتبدو للسذّج من المارة فى الطريق العام خارج أسوار الحديقة كشيء ضخم هائل ولغز غير مفهوم . . فيتوقفون لحظة فى حيرة . . ثم يقرءون «الفاتحة» لشيخ مزعوم تحت الخيمة !!

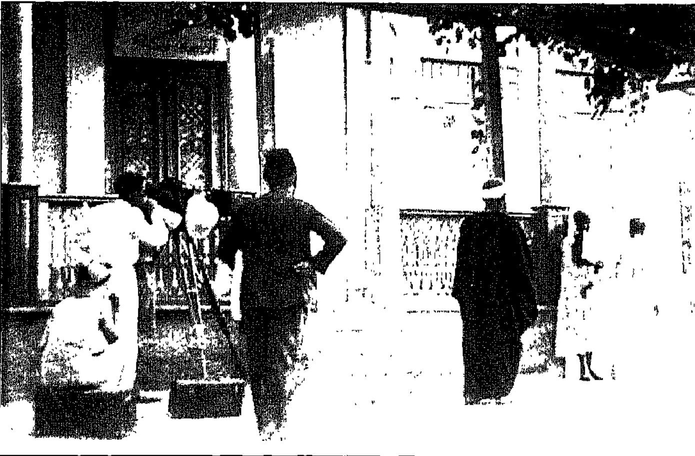


لقطة من فيلم الوردة البيضاء بطولة محمد عبد الوهاب وسميرة خلوصى والمخرج محمد كريم . ◄



صورة تذكارية من فيلم ممنوع الحب بطولة رجاء عبده ◄

الوردة البيضاء : الفنان توفيق المردنلى والشيخ محمد النبتيتى (تحت شجرة التوت ـ على شاطئ ترعة منية المكرم) . ▲



الإعداد للقطة من فيلم ممنوع الحب . ◄

الاستماع إلى الموسيقى الجيدة:

وفى هذه البيئة ومنذ سن مبكرة، سعينا بالفطرة إلى موسيقى وغناء «الأستاذ» أو «الأفندى» محمد ع الوهاب - كما كان يعلن آنذاك فى مستهل الأغنية - وذلك فى مراحله الأولى من الشهرة، مستعينين بالوسا المتاحة كالفونوغراف ذى البوق الكبير والمذياع الجديد ذى البطارية ثقيلة الوزن، والتى كلّت ظهور الدواب تكرار حملها إلى البندر لشحنها بالطاقة ثم إعادتها إلينا؛ وأحيانًا بصوت مطرب القرية وقارئها الشيخ « علاوى» والذى جمع بين حسن الصوت ومهارة العزف على العود على طريقة القدامى ممن صعدوا مبّ بالألحان العربية إلى خشبة المسرح بدار الأوبرا الخديوية فى أوائل الثمانينيات من القرن التاسع عشر: الشـ سعيد الدسوقى، والشيخ الدسوقى بدر (فى مرحلة تالية للأفندية أبى خليل القبانى وعبده الحامولى) والذ بقت ذكرياتهم فى الجهاز الحكومى حتى عام ١٩٥٦، حين سيطر تابعوهم على التعليم الموسيقى بوزارة المعار العمومية، وكتموا أنفاس المهرة من رواد الفنانين العائدين من بعثات عزف الآلات الوترية فى فرنسا مثل ع الحليم على، وعبد الحميد عبد الرحمن! أما الأكثر علمًا بالموسيقى والغناء مع عزف العود من أهل الريف فكا الفنان «لفتيرى» من خريجى معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية، وكان ينتمى للجالية اليونانية الكبيـ بفاقوس[1]، وتحدثت الصحف حينذاك عن مهارته كظاهرة فريدة، وخاصة كملحن لبعض الأغانى على النه العربى نذكر منها: يا نيل بلادنا يا غالى!

هذا وقد أتيحت لنا أيضًا فرص الاستماع إلى فرقة الشرطة للموسيقى النحاسية، والتى كانت تبدو كفر متواضعة من الموسيقات العسكرية العريقة فى عصر محمد على، وشاركت منها فى عصر إسماعيل مجموعة بقيادتها من المواطنين «أبو الخير أفندى» فى العروض الأولى لأوبرا عايدة! وكانت فرقتنا هذه بالريف تقـ برامجها الأسبوعية بعد ظهر الأحد والجمعة فى حديقتين صغيرتين على شاطئ بحر فاقوس.

وكنا نتوجه أحيانًا فى الأيام الأخرى إلى مقرها الرسمى لمشاهدة التدريبات الخاصة بالعزف كتجربة جديـ فى حياتنا!

أما وسائل الترفيه الطارئة، فرأينا فيها «صندوق الدنيا» و«الأراجوز» فى طوافها بالقرى.. ثم السينما الصا فى البندر، حيث يقف إلى جوار الشاشة فى أثناء العرض، رجل ضخم ينقل إلينا بصوته المدوّى، تعبر عنه المناظر مثل الوحش «كنج كونج» الذى يضرب بقبضتيه على صدره، فيقول الرجل: الكو زعلان.. وهكذا!

---

(١) جاء فى قاموس «جوتيه» أنها سميت فى العصر المصرى القديم «پاكس» Pakes وفى العصر اليونانى «أفروسپوليس» Aphrouspollis و العصر القبطى «فاكوسا» Fakousa.

وأسماها العرب القدامى: فاقوس الغاضرة، كمرادف للأسماء السابقة (الغضارة بمعنى السعة والنعمة فى العيش والخصوبة فى الأرض - لـ العرب) - وكرمتها الكتب المقدسة كما قال الأب «چيرارڤيو» فى كتابه الصادر عن كنيسة الأنبا باخوم للكاثوليك بفاقوس فى عام ١٩٧٤: رأيت المدينة المقدسة الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كالعروس المزينة لرجلها» (رؤيا يوحنا ٢ : ١٢).

اسألوا السلام لفاقوس ليكن السلام فى أسوارك والسعادة فى قصورك» (مزمور ٦ : ١٢١ - ٧ : ٦).

أما أشهر الأحداث التقليدية بالبلدة، فكانت الموالد السنوية التى تتجمع فيها شتى صور الترفيه، وكان أشهرها: البلاسى، حيث تبدأ الأحداث عصراً بسباق الخيل أو «المرماح» ويسمح فيه للمتنافس بدفع الخصم بعصا طويلة يمسك بها فى أثناء العدو! ولقد كان أغرب ما فى حفلاتَ المساء، جوقات فنية يرتدى فيها صاحب الفرقة زى النساء ويتزين على طريقتهن، وقد جلسوا فوق منصة أمام باب الدخول لجذب المشاهدين، وكان المسرح يسمى: تَرْك - وإلى جانب الفرق، كان هناك راكب الموتوسيكل الأوروبى الذى يصعد وينطلق فوق الحائط الدائرى، بينما نتعجب نحن من هذه القدرات العجيبة ونسمع من حولنا التعليقات الساذجة بأنه يتناول فى غذائه اليومى قبل العرض «ديكًا روميًا» يلتهمه بمفرده - أما السيرك، فكانت له زيارات سنوية، يتناوب فيها الحضور إلينا «سيرك الحلو» المشهور بالأسود وسيرك «الحاج حنفى» المشهور بالخيول وخاصة النوع العربى الأصيل المتكاثر فى «جزيرة سعود» القريبة منّا، وفيها أسرة الطحاوية بوجه خاص والتى توارثت تربيتها - وقد اتخذت محافظة الشرقية «الحصان» شعاراً لها وأقامت له المهرجانات التى صارت الآن من تقاليدها المشهورة!

ولا ننسى هنا فى مجال الهوايات ذلك الصوت الجميل لسائق الجرار الزراعى الذى أوتى حسن الصوت مع الدقة والالتزام بتفاصيل الأداء، وخاصة فى أغانى محمد عبد الوهاب الجديدة فى فيلم «الوردة البيضاء» وتأملنا - بعد ذلك - مع تجاربنا كيف أن هذا الحس الفنى قد لا يتوافر لدى بعض فنانى الأوبرا، مثل ذلك العامل البلغارى (تينور) الذى صعدت به فى يوم ما سلطات الخمسين فى المائة فى حزبهم السياسى، من أنفاق الصرف الصحى إلى أضواء المسرح بأوبرا صوفيا، كما فهمت من حديث خاطف مع أحد المستمعين للحفل الذى شاهدته فيه عندما أبديت بعض ملاحظاتى على صوته فى سياق الحفلات التى واكبت أحداث مسابقتهم الدولية للغناء الأوبرالى للشباب[١].

مع التجارب الأولى:

وهكذا كان لفيلم «الوردة البيضاء» فى ماضينا البعيد بالريف أثره الكبير فى اهتمامنا بفن الغناء فى أجود صوره، وخاصة بعد أن جاء الفنان الكبير محمد عبد الوهاب بنفسه إلى بلدتنا لتصوير بعض المشاهد، ثم عاد إلينا مع فرقته الموسيقية لإحياء حفل غنائى فى دار السينما المتواضعة بالمدينة.. ومن بعده جاءت أم كلثوم.



▲ لقطة متحفية بين الموسيقار محمد عبد الوهاب والفنانة أم كلثوم.

(١) كنت عضواً بهيئة التحكيم فى مسابقتى عامى ١٩٧٣، ١٩٧٦، وتعجبت فى أثناء إحدى الحفلات من بلد أثرى الغناء الأوبرالى بفنانين من أمثال «جياوروف» و«بوريس كريستوف» ومع ذلك يجيزون فيه حدوث مثل هذه التناقضات فى مناسبة دولية!، وقد كانت - مثلاً - وزارتنا للثقافة أكثر تواضعًا فى عام ١٩٦٠ حين استجابت لصوت عال بالإذاعة فأمرت بضم المنادى على بضاعته من «الفول والطعمية» إلى فرقة الغناء الجماعى وليس الفردى بالأوبرا!

وكانت اهتماماتنا هذه تمثل فى الحقيقة دورًا فى تغذية الجانب الروحى من مكوناتنا الشخصية إلى جانب ما كنا نتلقاه فى المدرسة الابتدائية داخل فصول الدراسة من معارف ونمارسه خارجها من هوايات، رغم التيارات الاجتماعية المحكومة بتقاليد قديمة جامدة، أدت مثلاً إلى تأخر الاهتمام بالألعاب الرياضية كعنصر من عناصر تربية النشء، حين كان البعض يرى فى ممارستها تعطيلاً عن الدراسة[1]، بينما يرى البعض الآخر أنها تلهى عن عبادة الله، حتى جاءت بوادر المرونة فى مواجهة هذه الأنشطة مع تكوين فرقة الكشافة والتى أعقبها استغلال فناء المدرسة كملعب لكرة القدم يجاوره آخر لكرة السلة.

وهكذا وجدت كرة القدم طريقها إلى النشاط المدرسى وخاصة فى وجود القدوة من المدرسين مثل راعينا ومعلمنا «صالح رابح» الذى كان يجمع بين تدريس اللغة الإنجليزية وتدريبنا على ممارسة هذه اللعبة، وفى الوقت نفسه موجهًا لنا فى مجال الأخلاقيات المكملة للشخصية السوية وزيارة أقرب المناطق الأثرية، وسرعان ما قادنا إلى المباريات مع فرق المدارس الأخرى والفوز على معظمها فى مدن ههيا وأبو حماد ومنيا القمح وبلبيس.

وهكذا أفلت جيلنا من تقاليد الرفض والكراهية لكل ما يخرج عن المألوف، ولو كان مجرد نظرة تلقائية لشىء غريب أو ظاهرة غير متكررة، مثل المدرس الذى وقف ذات مرة للإشراف على طابور الانصراف فى نهاية اليوم الدراسى، حين وقفنا بدورنا مشدودين فى الصف على أشد ما يكون الانضباط العسكرى، وفوجئنا بجسم هائل بيضاوى الشكل يطير فوق رءوسنا ببطء وعلى ارتفاع يسمح برؤية تفاصيل هذا الشىء الضخم الغريب! وبحركة لا إرادية نظرنا إليه فصاح فينا هذا المدرس يأمرنا بالثبات وعدم الحركة، لولا أن خرج علينا ناظر المدرسة المتفتح «أمين صبح» من مكتبه مسرعًا، وأمر بانصرافنا للفرجة! وهكذا لم تفتنا فرصة مشاهدة المنطاد الذى سجلت الموسوعات أخباره ضمن الاختراعات الألمانية فى الثلاثينيات وعرف باسم صاحبه: زيلن[2].

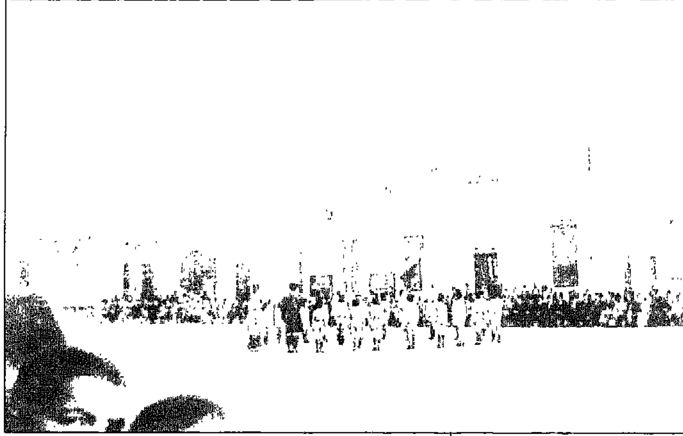
وربما كان هذا الجو العام يرجع إلى أننا قفزنا خلال النصف الأول من القرن العشرين قفزات طويلة فى فترات زمنية قصيرة، حين جئنا من أصول عربية وعشنا الحياة الريفية بأقصي صور الالتزام، إلى أن ازددنا علمًا واستنارة فى القاهرة عند الالتحاق بالمدارس الثانوية، حيث وجدنا أنفسنا وسط أجواء علمية وثقافية وانفتاح على الكثير من نواحى المعرفة وصور الحضارة العالمية، وأتيحت لنا فرص تلقّى العلم مع الإرشاد والتوجيه والترفيه، وحتى معايير الجمال فى مجال الفن والتى يوليها الفكر الغربى كل الاهتمام فى حياة الإنسان! وبالطبع لم نكن نتوقع أن ذلك كله سوف يؤدى بنا فى مستقبل أيامنا إلى الانتقال إلى عالم جديد من الإفلاس الروحى والمذاهب والشطحات التى تجاوزت اللامعقول فى الفكر والفن وحتى الأزياء؛ فجئنا فى هذا الكتاب بما فيه التذكرة بأجيال الفضيلة، إن نفعت الذكرى!

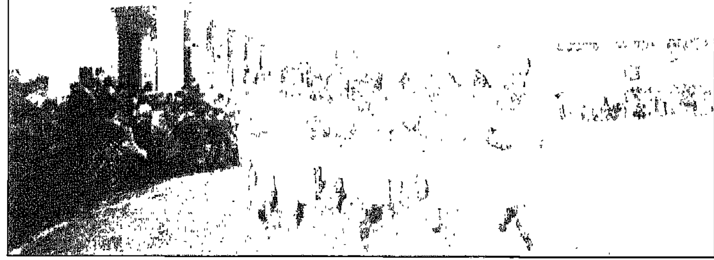
---

(١) بعد ستين عامًا، نقلت إلينا وكالات الأنباء القرارات الجديدة فى «أفغانستان» بتحريم كرة القدم والموسيقى والتصوير.. بزعم منافاتها للتعاليم الإسلامية (الأهرام ٣٠/ ٣/ ١٩٩٧).

(٢) نشرت صورة لهذا المنطاد لحظة مروره فى أجواء القاهرة، فوق مبنى دارالأوپرا، وذلك فى العدد التذكارى لمجلة «المصور» بمناسبة العيد المئوى لدار الهلال (١٨ سبتمبر ١٩٩٢ ـ العدد ٣٥٤٥).

مدرسة فاقوس الابتدائية. ◄





مدرستنا الابتدائية : طراز عربى جميل - فناء فسيح ونظيف، يستوعب أنشطة فرق الكشافة وكرة القدم والسلة وطابور التجمع فى بدء اليوم الدراسى وعند الانصراف!
أما الذى لم يظهر فى الصورة، فذلك المسجد من نفس الطراز العربى، حيث تعلمنا الركعات الأولى من الصلاة في استجابة للافته علي بابه : إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا! ◄

فى المجتمع القاهرى:

وهكذا انتقلنا من الريف إلى العاصمة للدراسة بالمرحلة الثانوية، وفى جعبتنا حصيلة هذه المرحلة الريفية المحدودة شأن غيرنا من أبناء الأقاليم، ثم اتسعت مجالات الحركة وارتفعت مستويات المعرفة، وتعددت فرص المشاهدة لكل جديد والمتابعة لما تعرضه شاشة السينما العربية والعالمية من معطيات الفكر الحضارى والاستماع إلى ما تيسّر من موسيقى جيدة محلية وأجنبية.

وفى هذا الجو الجديد تشعَّبت معارفنا عندما تفتحت عقولنا على ما كان يصادفنا ويجد هوى فى نفوسنا من غير المألوف فى حياتنا، وذلك بما يرجع إلى حد كبير إلى لقاءات الصحاب فى مجال الدراسة، وغيرهم خارجها من ذوى القربى والأصول المتشابهة والأمزجة المتقاربة، ممن سبقونا فى طريق العمل والتحصيل والتثقيف فى المرحلة الجامعية.

وكان الأكبر سنّا من الأقارب الخال التقى «الهادى» محمد إمام الحوت من دارسى الفلسفة بكلية الآداب، وحامل التراث السياسى للأسرة بحبه الجارف للزعيم سعد زغلول، وذكرياته عن أدق التفاصيل منذ لحظة وصول نبإ وفاته وردود الفعل لذلك فى جو الأسرة بالريف بين الخواتيم لمرحلة مجيدة من تاريخها، وتمثلت بدايتها فى ثورة وطنية ومحاكمات إنجليزية وسجون واقتحام للمنازل واتلاف لأثمن مقتنياتها وبعثرة الطعام والزاد! حين جاءت هذه الثورة بالتغيير الكبير فى تاريخ مصر الحديثة، وأفاض المؤرخون في الكتابة عنها!

ولا ننسى هنا استضافة خالنا هذا لنا فى نهاية الأسبوع بالمعادى لدى أشقائه الكبار الصالحين حسن وصدقى وحسين، حيث كنا نداعب الصغيرات : فتنة الهادئة وصفاء الصامتة ورجاء المرحة! أما الزعيمة الصغيرة زوزو، فكان كل همها إقناعنا بأن «الستات أحسن من الرجالة».

هذا، ولم يفته فيما بعد أن يحدثنا عما جاء فى كتاب المؤرخ عبد الرحمن الرافعى[1] عن قضيته فاقوس، التى حوكم فيها ـ كما قال ـ جماعة من أعيان فاقوس إذ نسب إليهم التحريض والاشتراك فى الاضطرابات التى وقعت فى فاقوس من ١٥ مارس إلى ٢١ منه وأدت إلى تدمير الخط الحديدى والكوبرى المقام على ترعة البحر ومهاجمة المركز والاستيلاء على ما فيه من السلاح والتجمهر، واتهم فيها كل من :

١ ـ سليمان بك مصطفى خليل . ٢ ـ محمد على المستى .

٣ ـ عبد العزيز عبدون . ٤ ـ السيد الإسكندرانى .

٥ ـ محمد غنيم عبدون . ٦ ـ حسن عبدون .

٧ ـ على بك مصطفى خليل . ٨ ـ عيد اروس جمعة .

وحكم بالإعدام على الأول (استبدل بالأشغال الشاقة المؤبدة)، وحكم ـ بعد تعديل ـ على الثانى والرابع بالسجن ثلاث سنوات، وعلى الثالث والخامس بالسجن خمس سنوات وبراءة الباقين!

هذا وقد خرج الخامس من السجن لينتخب نائبًا فى أول برلمان مصرى عام ١٩٢٤ وحتى وفاته المبكرة عام ١٩٢٩، وترك مقعده البرلمانى لشقيقه المتهم السادس، بينما وجد ابن شقيقته (المتهم الأول) فيما بعد طريقه إلى مجلس الشيوخ! أما الأبقى والأهم من صور المشاركة فى البناء الاجتماعى لثائرنا محمد غنيم عبدون فى مستهل حياته البرلمانية فى عام ١٩٢٤، فكان التبرع بفدانين أقامت عليهما وزارة المعارف العمومية أول مدرسة ابتدائية بالمدينة، التحقنا بها فى أولى مراحل تعليمنا . . ولعبنا كرة القدم فى فنائها، وتشغلها الآن المدرسة الثانوية! وكان قد سبق ذلك إخلاؤه لمسكنه القديم قريبًا من نفس الموقع لتشغله مدرسة أولية، نذكر فيها من معلمينا الأوائل الشيخين محمد بدر وحسن شاهين، وكان أولهما ناظرًا للمدرسة بقى من خلفه الصالح عالم بارز من أساتذة كلية حقوق من حاملى شهادة الدكتوراه، وكان الثانى هو الأقرب إلىّ فى طفولتى، حيث كنت لصيقًا به فى تنقله بين فصول الدراسة وتابعًا له حيثما تحرك بين أرجاء المدرسة التى كانت طريقنا فيما بعد إلى المدرسة الابتدائية، مرورًا بروضة الأطفال بالزقازيق؛ وكانت هذه المدرسة الأوليّة تبدو حينذاك كصورة متطورة لكتّاب القرية المعروف باسم صاحبه المقرئ الضرير : أبو الشاورى[2] ـ ونرى أحيانًا صورة هذه المدرسة فى لقطة من أفلام عبد الوهاب (ص ١٥)!

---

(١) الجزء الثانى من ثورة ١٩١٩ .

(٢) جاء فى أذيال تقاليد قديمة للكتاتيب بالمدينة (فاقوس) ترجع إلى القرن الثامن الهجرى، وأنجبت المشاهير من قدامى العلماء على مستوى الإقليم (شرق الدلتا) من أمثال الشيخ محمد الزعيم الذى علم «البرهان الفاقوسى» ومحمد بن محمد البلبيسى وذريته من بعده، كما قال مؤرخنا الشرقاوى : د . محمد فتحى الشاعر !

. . ونذكر من الطرائف فى معايشتنا لهذا الخال الشاب بالريف، مراجعته لبعض العلوم الفلسفية فى أثناء العطلة الصيفية، وما كان يصل إلى أسماعنا من كلمات وجمل كانت تبدو ـ لغرابتها ـ وكأنها نوع من الهلوسة، كأن يقول مثلاً: فإذا قلنا إن السمك يسير فى الماء فليس معنى ذلك أن كل شىء يسير فى الماء هو السمك! وبهذا يكون قد أخطأ فى هذه القضية الدكتور هوبز! وحتى يخرجنا من حيرتنا ونحن لا نزال فى مرحلة الدراسة الابتدائية، فإنه كان يلاطفنا بشىء أكثر تشويقًا رغم غرابته علينا، فيمسك ورقة وقلمًا ويقوم بتحفيظنا فعلىْ «الكينونة» و«الملكية» كأساس لتعلم اللغة الفرنسية فى المرحلة الثانوية. . ويبدو أنه كان يتنبأ فى ذلك بمستقبله كمدرس للغة الفرنسية بعد حصوله على شهادة الليسانس فى قسم الفلسفة!

ومما كان يزيدنا التصاقًا به فى حياتنا اليومية هواياته الرياضية كالملاكمة وكرة القدم والصيد بالبندقية، وتلك القفزات الاستعراضية إلى جوف البئر العتيقة وسط الحديقة الخاصة بالمنزل، والسباحة الطويلة فى عرض البحر حيث كانت ترسو السفن العابرة إلى قناة السويس وخاصة حين يرافقه فى المغامرة ابن عمه «السباعى» سليل العمالقة من أولاد الحوت، وذلك خلال رحلاتنا الصيفية إلى بورسعيد ومدن القناة ـ يضاف إلى ذلك الانسجام الكامل بيننا فى جو الاستماع مساء الثلاثاء إلى المقرئ حديث الشهرة الشيخ محمد رفعت، وترقب الإذاعة لاستقبال آخر ما كان يظهر من روائع محمد عبد الوهاب مثل «نسيم الربيع» فى بداية التطعيم لموسيقانا بأفضل ما كان يناسب مزاجنا من موسيقى غربية، ثم البث لأول مرة لنشيدى «الجهاد» فى ذكرى ١٣ من نوفمبر و«بنك مصر» الذى أدى إلى معرفتنا لاسم منشئه «طلعت حرب باشا» ثم فرصة رؤيته فيما بعد جالسًا متأملاً على أريكة فى الحديقة الصغيرة بمدخل مسرح الأزبكية والذى كان أيضًا من مآثره مع ستوديو مصر بين أكثر من عشرين شركة وطنية، وتوجهنا إليه حينذاك لواجب التحية والاحترام والتهنئة بسلامة الوصول من رحلة خارجية كما علمنا من الصحف!

ولعل من أهم ذكرياتنا بعد ذلك مع هذا الخال المربى الصغير تعليمه لنا صلاة «النوافل» بدون حدود، ثم مصادفة المشاركة معه فى صلاة الجمعة فى مناسبة حضور الملك فاروق الأول لافتتاح المسجد الذى أطلق عليه اسمه فى مدخل مدينة المعادى. . فليس هناك أجمل من ذكرى افتتاح مصلى.

. . . ومما لا ينسى فى جو حياتنا القاهرية تلك المعايشة لظريفنا وحكيمنا «محمد عودة» طالب الحقوق وحامل



جولة قاهرية للجامعيين من أبناء الريف. . عودة. . السباعى. . الهادى ولواءات المستقبل اسماعيل صالح (شرطة) ومحمد غنيم (ق. م). ◄

صفات الزعامة المبكرة! لقد كان يجمع بين الواقعية والشاعرية، مشحونًا بالشعارات التى لم تبد حينذاك واضحة تمامًا لنا: العدالة الاجتماعية.. الاشتراكية.. الرغيف؛ وحين بدأ الحديث عن «احتقاره للمادة» كان يتصدى له المحامى ضابط الإيقاع فى الحوار «الأستاذ السباعى» ويقنعه بعدم جدوى المناقشة للقضية، وخاصة مع سؤاله له عما إذا كان سائرًا فى الطريق ولمح جنيهًا أو قرشًا ملقيًا على الأرض، هل ينحنى ويلتقطه أم يتركه ويحتقره؟!

نشأ «عودة» جامعًا للثقافات، قريبًا من كل الفئات، مائلاً للتحرر من تقاليد الأسرة والمجتمع القديم، فلم يقنع مثلاً بالانتماء إلى كليته الجامعية التى أرادها له أبوه العالم الأزهرى الورع والفخور بأصوله العربية الوافدة إلى مصر، فبدا وكأنه يبحث عن شىء أبعد، فأغرق نفسه فى القراءات، وتردد على المكتبات ـ واصطحبناه فى إحداها حيث عرفنا الطريق إلى مكتبة الجامعة ـ، ثم محاضرات كلية الآداب إلى جانب الانتظام فى كلية الحقوق، متمنيًا لو امتد يومه واتسع وقته ليضم إليهما الكثير من المعارف الأخرى حتى الفلك والموسيقى، وذلك على طريقة السابقين من الأفذاذ فى عصور النهضة! ولكم أشفقنا عليه من حمل الكتب ثقيلة الوزن عند تجوالنا بشوارع القاهرة وفى نادى الجامعة[1] أو بمحل «الجمال» الحلوانى بشارع عدلى، حين كان «الجرسون» يهرع لتلبية ندائه، فيأتى له بالطلب الغريب: مجرد ورقة بيضاء يسجل عليها ما يَعنّ له من أفكار!

يذكرنا ذلك بنفس الموقف فى الريف، حين لم تكن الورقة المطلوبة متاحة فى التو واللحظة، فيمسك بالقلم الرصاص ويجعل من الحائط سبورة يخط عليها صوراً تمثل إلى حد كبير بعض المواقف التى كان يصادفها فى روايات الجيب وغيرها مما كان يستوقفه من عبارات جميلة مثل: للطير جناحان يسمو بهما، أما الإنسان فيسمو بطهارة القلب.. أو يكتب أسماء الأساطين فى عالم الموسيقى لتعريفنا بهم مثل بيتهوفن وفاجنر.. ثم تشايكوفسكى الذى جمعتنا موسيقاه بعد أكثر من ثلاثين عاماً فى موسكو حول مائدة الدبلوماسى المضياف وفاء حجازى! وكان حينذاك زائرًا بينما كنت عضواً بهيئة التحكيم فى مسابقة تشايكوفسكى الدولية (غناء أوبرالى) فى عام ١٩٧٤.

وهكذا كان «عودة» يوحى فى مسيرته الدراسية أن انتماءه لكلية الحقوق، إنما كان إرضاءً لأبيه وذويه، ومجرد مرحلة ينطلق بعدها إلى ما هو أبعد! وقد تحقق له مع مرور الأيام والسنوات ما أراد.. وما لم يرد! فلم يكن يتوقع مثلاً أن طموحه سوف يقوده لاستكمال التجربة مع التقدميين فى أكثر من زيارة غير مستحبة للمعتقلات البعيدة فى أعماق الصحراء، حيث لا صدى لموسيقى الأساطين الذين أحبهم.. وأخيرًا سكب أفكاره ومبادئه فى أكثر من كتاب بين أيدى القراء!

وأذكر من باكورة تجاربنا المعروفة مع مثقفنا هذا اسم «إميل زولا» حين اختار لنا مشاهدة فيلم «نانا» من رواياته المعروضة بإحدى دور السينما من الدرجة الثانية، ثم اللقاء الكبير المبهر مع بيتهوفن فى سيمفونيته الخامسة، وذلك فى إحدى لقاءات جماعة الجراموفون مع كلمات التقديم للدكتور لويس عوض، الأمر الذى كان يمثل لى مجرد مقدمة لعلاقات ممتدة وحياة وظيفية وهواية لا تعلوها هواية للموسيقى العالمية!

---

(١) بعد عشرين عامًا ـ تقريبًا ـ أزيل المبنى وأقيم فى موقعه آخر (٣٣ شارع عبد الخالق ثروت) ووجدنا فيه مكانًا لأول مقر لإدارة أوركسترا القاهرة السيمفونى عقب إنشائه بوزارة الثقافة، وفى نفس الطابق والجهة! وكان النادى مزودًا بأدوات الاستماع الموسيقى والجراموفون ومجموعة من الروائع الكلاسيكية!

وفيما يتعلق بالمناسبات العامة المتميزة بجماليات خاصة فقد بقى منها أيضا فى الذاكرة مع هذه الصحبة فى الثلاثينيات، الحضور للحفل السنوى البهيج الذى تقيمه الجمعية الزراعية الملكية فى أرض المعارض بالجزيرة تحت عنوان: زهور الربيع! وهناك شهدنا رئيس الجمعية فؤاد باشا أباظة يستقبل بين كبار المدعوين، المندوب السامى البريطانى بمصر السير مايلز لامبسون (لورد كيلرن فيما بعد) وزوجته الرشيقة والمشهورة بجمالها! وتقودنا هنا سيرة هذا الاستعمارى الجبار إلى واقعة اقتحامه لقصر عابدين بالدبابات فى الرابع من فبراير عام ١٩٤٢م ليفرض على الملك تشكيل وزارة تحسن التفاهم مع المحتلين وتحظى بتأييد جماهيرى فى مواجهة ظروف التهديد الألمانى لحدود مصر الغربية مع اقتراب القائد روميل من مدينة العلمين!

أما الحصيلة من هذه الصحبة الرشيدة فقد شملت أيضاً روائع الشعر الرومانسى فى شكل مسرحى بدار الأوبرا الملكية، والتى شهدت فيها قاعة المتفرجين المتحفية للمرة الأولى، ثم شاءت الأقدار أن أعود إليها خلال نشاط مدرسى طارئ فى المرحلة الثانوية ثم استقر فيها بعد ربع قرن وحتى عايشت المرحلة الأخيرة من عمرها الطويل وعطائها الغزير.. واحتراقها فى عام ١٩٧١! ثم المشاركة بعد ذلك فى أكثر من مشروع هندسى لبناء الدار البديلة لها.. وحتى شهدنا أخيراً حفل افتتاح الوريثة لرسالتها بمنطقة الجزيرة على شاطئ النيل تحت شعار «المركز الثقافى القومى».

وفى تلك المناسبة البعيدة مع اللقاء الأول للدار شمل برنامج الحفل جزءًا من «الليالى» للشاعر الفرنسى «ألفريد دموسيه» فى ترجمة عربية جميلة مع أداء رائع لطالبات كلية الآداب! وكان هذا الحفل من أروع الإضافات لمشاهداتى المسرحية مع فرق يوسف وهبى ونجيب الريحانى، وفى المجال الخفيف رتيبة وأنصاف رشدى مع شقيقتهما الجميلة فاطمة.

هذا وقد بقيت ليالى «موسيه» فى ذاكرتى حتى مرّت السنوات، وعثرت على نسخة كاملة منها باللغة الفرنسية وذلك فى كتيب صغير من وريقات قليلة يسّرت لى الاحتفاظ بها أينما ذهبت، وفى أذنى أصداء كلمات ملهمته: أيها الشاعر.. خذ قيثارتك وأذقنى طعم قبلتك!

نضيف إلى ذلك - من اهتمامات مبكّرة - مشاهدة مباريات «كرة القدم» التى كنا نهواها منذ المرحلة الريفية، فقد أتاح لنا أصحاب بيتهوفن المثقفون، الفرجة ذات مرة على مستوياتها الأوروبية الرائعة حيث أذهلتنى المشاهدة لمباراة كبيرة بين مصر وأحد الأندية النمساوية. أذكر أنه «أدميرا».. وكنت أتصور قبل ذلك أن قمة المهارة تتجلّى فى فريق مدرستنا الثانوية بحلوان، وخاصة حين كانت تأتيها للمنافسة فى عقر دارها أم الفرق «السعيدية»!

أذكر أن كنت أقف بين المشجعين لفرقتنا ذات مرة على حافة الملعب حين لمحت إلى جوارى من أعلام مدينة حلوان عبد الرحمن بك عزام، الذى صار فيما بعد أول أمين لجامعة الدول العربية بعد جهود كبيرة منه لتحقيق فكرة إنشائها - وكان الحديث معه عن لاعب من أخطر المهاجمين على مرمانا من الطلبة السودانيين المنقولين من مدرستنا، ومعهم ما اكتسبوه من خبرة، إلى المدرسة السعيدية، فابتسم قائلاً بيتًا من الشعر حفظته منه:

أُعَلِّمُهُ الرمايةَ كلَّ يومٍ   فلمَّا اشتدَّ ساعدُهُ رماني

مسرح مدرسى:

وكانت لفرص المشاهدات المسرحية آثارها على هواياتنا بالمدرسة الثانوية من مسرح وموسيقى، فبدأنا تجربة الانضمام إلى فرقة التمثيل وقدمنا حفلاً خاصًا بمدرستنا على مسرح «كازينو حلوان» الذى يرجع إلى عهد الأرستقراطية المحيطة بالخديوى توفيق صاحب القصر الذى شغلته مدرستنا، وهناك كانت تجربتنا الأولى فى أبسط صورها وأروع معانى الثقافة والفن فى محتواها من فقرات تمثيلية، عندما اختارنى المشرف على الفرقة أستاذنا عالم الطبيعة الأديب إبراهيم عز الدين لإلقاء كلمته للافتتاح والتقديم للحفل . .

وقد جمعت الكلمة بين التعريف والتنوير مع النقد الراقى للمسرحيات المقدمة كفكر وفن، حين امتدت فقرات البرنامج من أقصى الشرق حيث الحكمة والموعظة فى «كليلة ودمنة» لصاحبها الفارسى عبد الله بن المقفّع إلى أقصى الغرب حيث جمال الفكرة وحلاوة العبارة اللغوية ونوازع النفس البشرية فى «تاجر البندقية» لشيكسبير - وبينهما شاعرنا أحمد شوقى يجمع بين الحسنييْن فى «مصرع كليو باترا» والتى قامت بدور البطولة فيها الفنانة الشابة زوزو حمدى الحكيم، وأغضبها حينذاك فشلى فى الاندماج الكامل معها فى التمثيل كما أرادت، بحجة أننى كنت أمثّل دور شيخ كبير لا «حرج عليه» بينما كنت فى الحقيقة ريفيًا مراهقًا أتحاشى النظر واللمس لجسدها البضّ شبه العارى فى معظم أجزائه المثيرة . . وقت أنْ كنا فى فورة الشباب تستوقفنا وتستهوينا فى نظرة أولى وثانية وثالثة مجرد صورة صحفية أولقطة سينمائية لأنثى مثلها، وربما عاودتنا إيحاءاتها فى أثناء النوم! وكنت حينذاك أقوم بدور: الكاهن «أنوبيس» الذى اشتهر - حينذاك بأدائه الفنان الكبير منسى فهمى - والمشغول بأفاعيه حين جاءنى الفتى المذعور «حابى»[1] صائحًا:

أمشغولٌ أبى بذات القرنِ والنابِ   وأنطونيوسُ مهزومٌ وأكتافيو على البابِ؟

وأواصل عبثى قائلاً فى هدوء:

حابى.. تقهْقهرْ ناحية   تلكَ الخبيثةُ داهية

ولتقديم فقرة غنائية فى الحفل جيئ من بلدنا بالصبى الموهوب «سيد إسماعيل» فقام بأداء فقرة غنائية مقابل جنيه واحد بقيت له الذكرى فى حياته الفنية وبارك الله فيه فى مستقبل أيامه حتى جاوز الملايين!

الأوركسترا السيمفونى:

أما حفلنا الكبير بمشاركة المدارس الأخرى بالقاهرة فقد قدمناه بعد ذلك، بدارالأوبرا، عندما قادنا الفنان الكبير زكى طليمات إليها من الباب الخلفى فى عام ١٩٤١، وكان بين فقرات الحفل اللقاء الأول مع الأوركسترا السيمفونى بكامل هيئته، وقد احتل فيه الأجانب المقيمون معظم المقاعد ومعهم بعض مدرسى الموسيقى من المواطنين، ومنهم منْ تلقى تدريبه العملى فى فرق الجيش المصرى العريقة! وقد بدأ إعجابنا بهذا الإطار الهائل للموسيقى العظيمة وغير المألوفة فى حياتنا الفنية، عند مصادفة الحضور لبعض تدريبات الأوركسترا للحفل! وكان ذلك بقيادة محمد حسن الشجاعى فى تحضيره لبعض المعزوفات العالمية مثل رقصة «نابولى» من باليه

---

(١) الطالب نديم عبد المعطى.

«بحيرة البجع» لتشايكوفسكى، إلى جانب بعض مؤلفاته الرائدة من الموسيقى الأوركسترالية والتى وجدت طريقها فيما بعد كموسيقى تصويرية إلى أفلامنا السينمائية وأثرت العنصر الموسيقى فيها. . وكان هذا العملاق المخضرم قد وصل إلى الريادة فى مجاله الجديد، عبر مشوار مع فرق الموسيقى السلطانية والملكية، وحتى شغل فى الخمسينيات أهم المناصب فى حياتنا الموسيقية كمستشار للموسيقى والغناء بالإذاعة المصرية!

وزارة المعارف العمومية

مهرجان النشاط المدرسى

برنامج

الحفلة التمثيلية الموسيقية

الخاصة بمنتخب فرق التمثيل والموسيقى بالمدارس الثانوية والأهلية بالقاهرة

مساء السبت الموافق ١٥ مارس سنة ١٩٤١

فى الساعة الثامنة والنصف

بدار الأوبرا الملكية

استراحة

(٤) «مصرع كليوبترا» (الفصل الثالث) للمرحوم أحمد شوقى بك

إخراج الأستاذ زكى طليمات

يقوم بدور:

أنطونيو	الطالب حسن الأديب	مدرسة فؤاد الأول الثانوية
أوروس	« أحمد حلمى	« فؤاد الأول «
أوليمبوس	« يوسف أنصار	« [illegible] «
أنوبيس	« محمد على عبد العزيز	« الخديوية «
حابى	« أحمد طه شعلان	« التجارة المتوسطة بالجيزة
أوكتافيوس	« حسن شكرى سليم	« التوفيقية الثانوية
وصيف أنوبيس	« زكريا حسن [illegible]	« التجارة المتوسطة بالجيزة
رئيس حرس أنطونيو	« فهمى ابراهيم خليفة	« السعيدية الثانوية
جنود أنطونيو	« عبد الله حامد عبد الله	« التجارة المتوسطة بالظاهر
	« صالح عبدون	« حلوان الثانوية
	« محمد عبد العاطى	« حلوان «
	« ابراهيم على	« الخديوية «
رئيس حرس أكتافيوس	« صلاح سرحان	« التجارة المتوسطة بالظاهر
جنود أكتافيوس	« محمد عبد الفتاح فهمى	« التجارة المتوسطة بالظاهر
	« محمد حلمى الشبراوى	« الخديوية الثانوية
	« محمد كمال عبد الغفور	« الخديوية «
	« محمد محمود سيد أحمد	« الخديوية «
	« أنور محمد	« التجارة المتوسطة بالجيزة

تقوم بدور كليوبترا السيدة زوزو حمدى الحكيم

صورة برنامج الحفل المدرسى ◄ سنة ١٩٤١.

وإلى تلك الفترة المبكرة يرجع ما سمعناه فى يوم ما عن محاولة الدكتور طه حسين وزير المعارف إنشاء أوركسترا سيمفونى بوزارته - وربما أوحى كل ذلك بالحاجة إلى استحداث معهد تخصصى جديد للموسيقى، بعد أن استقر وجود معهد للموسيقى العربية، الأمر الذى تحقق بالفعل تحت شعار «معهد الموسيقى المسرحية» وكانت له مع مرور السنوات أطيب الثمرات فى مجالات الغناء والعزف والتلحين؛ كما كانت المكتبة العربية قد قطعت شوطًا فى الإضافة لما سجلته فهارس دار الكتب عن الموسيقى، ومن أشهرها سلسلة الرائد الدكتور محمود الحفنى عن سير المشاهير من أساطين النغم (طبعة برلين) والتى تزامنت فى بدايتها فى أوائل العشرينيات مع أول محاولة صريحة من موسيقانا، للاتجاه نحو الصيغ العالمية فى مؤلفاتنا، فنجد مثلاً فى فهارس دار الكتب معزوفة فى عشر صفحات تأليف «الملازم أول» محمد محفوظ[1] فى عام ١٩٢٩.

(١) رمسيس الثانى: قطعة موسيقية للبيانو من نوع الأوفرتير (افتتاحية) رقم ٤٧٣ فنون جميلة؛ يسبقها تحت رقم ٤٠٢ فنون جميلة: تقريران عن حالة الموسيقى والتمثيل بقلم المرحوم محمود مراد، أثبت فيهما ما اختبره فى رحلتيه الفنيتين إلى أوروبا عن الموسيقى والتمثيل وحالتهما الحاضرة، وبيان الطريقة التى يحسن أن تتبعها وزارة المعارف لتدريس فنّىْ الموسيقى والتمثيل فى المدارس الأميرية، وإصلاح شأنهما فى مصر على وجه عام (مطبوع على الآلة الكاتبة).

عزف واستماع موسيقى:

وكما أدى نظام المدرسة الثانوية إلى تكوين فرقة للتمثيل قادتنا إلى دخول «الأوپرا الملكية» كما قلنا من قبل، فقد أنشئت أيضًا فرقة مدرسية للموسيقى، شاركت فيها بعزف العود؛ إلا أن آلة البيانو كانت أكثر لمعانًا على المستوى العام فى بداية اليوم الدراسى، حين كان ناظر المدرسة يأمر بتهيئة مكان لها فى الشرفة مع عازفها «محسن الزنفلى»، الطبيب فيما بعد، وذلك لعزف «المارش» فى طابور الاصطفاف والاستعراض بزى التدريب العسكرى! وكان هذا الزى يثير أحيانًا المشاكل حين يرفض بعض الطلبة إرتداءه، فيثور الناظر وينفعل قائلاً:

«هتلر أعظم مخلوق فى العالم يرتدى هذا البنطلون القصير الذى ترفضون ارتداءه»! فقد كان الرجل الكبير - رحمه الله - يعرف أكثر مما نعرف، ويرى أبعد مما نرى، خلال مرحلة مصيرية من تاريخ البلاد، وسط صراع الجبابرة فى الحرب العالمية الثانية. . وبلغت به الهموم ما بلغت وعاش مرحلة من القلق، خاطبنا خلالها فى إحدى المرات قائلاً: والله يا أولادى لم أذق طعم النوم منذ ثلاثة أيام! وقد اختفى بعد ذلك أستاذنا أحمد البدرى ناظر المدرسة فى ظروف غامضة، إنْ كان قدرًا أوغدْرًا، ومعه أسراره!

أما عن الاستماع الموسيقى، فقد كانت الأغنية الفرنسية المعاصرة لتلك الفترة هى المقدِّمة لانفتاحنا على الموسيقى العالمية فى صورها الخفيفة ثم المتطورة، حين أشبعنا منها أستاذنا الفرنسى[1] حين أودع مقتنياته الشخصية منها فى مكتبة خاصة إلى جوار غرف الدراسة. .

هناك وجدنا ما يقوم منها على ألحان عالمية مثل «الحزن» لشوپان و«آفى ماريا» لشوبرت، وذلك فى أداء غنائى رقيق بصوت الفنان الفرنسى «تينو روسى» مما دعانا - فى المستقبل - إلى محاولة البحث عنها وغيرها فى أصولها التراثية كموسيقى راقية. . ولا ننسى هنا الفنان الفرنسى «رضا خير» فى أغنية الحنين لفتاته المصرية ذات «العيون الأبنوسية» ومطلعها: هناك فى بلد الأهرامات! وكان أستاذنا من جانبه، ينسخ بنفسه نصوص الأغنيات على الآلة الكاتبة، لمعاونتنا على متابعة الاستماع وحسن الاستيعاب لألحانها كفن وثقافة ووسيلة لدعم تعلّم اللغة! وفي لفتة كريمة منه مع نهاية سنوات الدراسة الثانوية بحلوان فإنه ترك لتلاميذه «الجراموفون» ومجموعة لا بأس بها من «الأسطوانات» تبادلناها فيما بيننا، وأصبحت فى نهاية المطاف من نصيبى، فبدأت الاهتمام بتكوين مجموعتى الخاصة من النوع الكلاسيكى إلى جانب الخفيف من الأغانى! وكانت أولى مقتنياتى منها: الرابسودية المجرية رقم «٢» لفرانتس ليست. . والتى كنت قد استمعت إليها للمرة الأولى ضيفًا على لقاءات «جماعة الجراموفون» بكلية الآداب، حين قدمها لنا الدكتور لويس عوض، كنموذج للمستمع المبتدئ، بعد أن قدّم السيمفونية الخامسة لبيتهوفن لأعضاء الجماعة المتمرسين فى الاستماع! وكنت قد عثرت على هذه الأسطوانة «ذات السرعة البطيئة» بمحل «ديكا» فى ميدان العتبة بين غيرها من المعروضات للتصفية بعد اختراع الجديد من أسطوانات السرعة العالية (٣٣ لفة).

---

(١) مونييه پيليه (جرينوبل - فرنسا).

. . وهكذا وجدنا في مرحلة الدراسة الثانوية في أواخر الثلاثينيات : العلم والفن ، وإلى جانبهما : الأخلاقيات ، كثمرة للمعايشة المثالية بين الزملاء من الطلبة ، وخاصة من كان بالقسم الداخلي حيث يمتد به اليوم إلى المساء والمبيت . . وعلى نطاق أوسع في تلك الجمعيات النوعية ، وكان أبرزها في حياتنا المدرسية : فرقة الكشافة بما تدعو إليه من مبادئ ومثاليات! تحضرني هنا صورة رئيسها السعودي : عبد الله الطريقي ، ومن ورائه الجوهري ومحسن الزنفلي ومحمد صبري زكي . . وكان الثلاثة الأخر من الأطباء ، وشغل آخرهم منصب محافظ أسوان ثم وزير الصحة ، ولحق به في نفس المنصب من جيل أصغر بمدرستنا ، لاعب التنس الرشيق محمود محفوظ ، والذي يحظى الآن بشهرة واسعة كطبيب ومفكر! أما الطريقي فلنا معه وقفة تفرضها صورته الشخصية كنموذج رائع ، له بصماته في حياة مجتمعه وعلى المستوى العالمي عامة ، منذ كان أول وزير عربي للبترول . . ثم أنشأ منظمة «أوبك» التي تتحكم في نصف الإنتاج العالمي للبترول ، فلقد كان موضع إعجاب النشء من ذوي الفطرة السليمة ، بما كان يتحلى به من خصال الكشاف الملتزم ، يحمل خيمته الصغيرة على ظهره ويخرج إلى الصحراء ، يقضي فيها لياليه ، بينما نتوافد نحن على زياراته ، حيث لا تسمح حدود الضيافة بأكثر من كوب الشاي الصغير! كان ذلك في بقعة ، فوجئنا بعد وقت غير طويل بتفجر عين للمياه المعدنية قريباً منها ، وربما لبركاته كرجل صالح ، وصارت المنطقة فيما بعد من أشهر الأحياء الحافلة بالمساكن ودور العلم ، ويتوقف عندها قطار حلوان! ومن الطريف أن تقدّم أحد الطلبة في يوم ما لمنافسته في انتخابات رئاسة فرقة الكشافة ، فكانت تلك قضيتنا ، ورفعناه منتصرًا على منافسه المصري . .

. . وكانت هنا البداية لانطلاقنا التدريجي من موسيقى الطرب والتسلية التي يستطيع أن يتذوقها ويستجيب لها أي إنسان ، إلى الموسيقى التي تؤثّر على الوجدان ولا يتذوقها إلاّ منْ أوتي حظًا عظيمًا من نعمة الله في القدرة على تذوق الجمال ، كما قال أستاذ الطب النفسي : د . أحمد عكاشة .

بين تجارب الريف والحضر:

وخلال السنوات الأخيرة من الدراسة بالمرحلة الثانوية بالقاهرة ، ومع حلول مواسم الإجازات الصيفية الطويلة ، كنا نعود إلى مسقط رأسنا بالريف ، حيث تفتحت أمامنا أبواب مدرسة كبرى لها طرافتها من مدارس الحياة ، نستكمل فيها مكوناتنا غير المدرسية ، متمثلة في نموذج إنساني رائع ، صقلته التجربة ، بعد أن شغله الطموح ، وجدّ واجتهد في الكفاح ، حتى تحققت له أفضل صور النجاح .

رجل وقور طاعن في السن ، يتمتع بمخزون هائل من التجارب والمعارف والخبرات في مختلف نواحي الحياة . . لا يخلو حديثه من الحكم والأمثال وآيات القرآن وأخبار السلف ، وذلك في كلمات قليلة وأسلوب بليغ وسرعة خاطر وحضور بديهة وفكر حر مستنير! علّم نفسه وصنع شخصيته . . يضع الورقة على راحة يده عند الكتابة ، علي طريقة الأقدمين . . أغرق المصالح الحكومية ببرقياته اللاذعة لنقد الأوضاع غير السوية ، سواء على المستوى العام أو المصالح الشخصية . . محب للنكتة ولو فيها السخرية من بعض تصرفاته . . يحترم ثقافات الآخرين! . . لم يقتصر كرمه علي موائد الضيافة ، بل امتد إلى المبيت والإقامة مهما طالت . . اشتهر باسم «عبد المعطي بك» دون حاجة لذكر اسم الأب «حسين»!

ولد شيخنا المخضرم وعاش فى قريته منذ بدت فى صورتها العتيقة، كما جاءت فى وصف على باشا مبارك لها فى موسوعته «الخطط التوفيقية» حين قال:

أرض ذات نخيل بكثرة.. وأبنيتها باللبن.. وأغلب أطيانها متلبسة بالرمل! وهنا بَدأت رسالته، فعمل فى دأب على التلازم بين التغيير فى حياته ومراحل عمره، والتغيير الأكبر فى أرضه وبيئته!

.. أما النخيل «بكثرة»، فقد ظل على حاله حتى شهدناه بعد أن تحولت الأرض اليباب إلى أرض ذات غلال وفيرة، جذبت إليها طيور «أبو قردان» بأعداد كثيرة، فاتخذت من النخل بيوتًا وأهلكت ثماره، فبدأت مقاومتها واستثنيت المنطقة من حظر صيدها.. وكانت لنا فى ذلك الفرصة لتجويد التصويب والتدريب على الرماية!

.. وأما «الأطيان المتلبسة بالرمل» فبالجهد والعرق عبر عشرات السنين، صارت أرضًا طيبة معطاءة، اشتهرت بخصوبتها المتميزة فى منطقتنا بشرق الدلتا، وعلى ظهرها البشر والخلق الكثير والدواب التى برز من بينها حصان عربى أصيل، انتقل باسم قريته «الصوالح» إلى مضمار السباق العام بالقاهرة، وبقيت له الذكرى حين عاد إلى بلده وتواضع أيام مجده فسحب العربة «الحنطور» فى لقطة أمام منزلنا من مشاهد الفيلم الأول لمحمد عبد الوهاب: الوردة البيضاء، وليفرض علينا ذكراه كلما عرض الفيلم!

ومع ذرية هذا الحصان تعلّمنا ركوب الخيل كى نضيف ذلك إلى هواية الرماية.. ولما تحقق للرجل ما تحقق في تنمية موارده وأسبغ الله عليه نعمه، فإنه شد الرحال إلى بيت الله الحرام وحمده وشكره، ثم عاد ليطلب الكمال فى نفسه ويصقل مكونات شخصيته، وقت أن كان السبيل إلى العلم فى بداية نشأته الريفية، يقتصر على المجالات الدينية.. وهنا بدأت مقتنياته من الكتب تستقبل دائمًا المزيد مما يعالج أمور الدين والتراث والأدب والشعر وغيرها، واتسع مجال حركته فى العلاقات والتعاملات مع مختلف الفئات والنوعيات من البشر مع السعى المستمر إلى أفضل أساليب التفاهم مع الناس تحقيقًا لأغراضه ومصالحه، ولو كان فى ذلك مثلاً محاولة بدء تعلمه اللغة الفرنسية فى سنّه الكبيرة، شأن أبنائه فى مدارسهم الأجنبية، وذلك بعد أن نجح فى استيعاب بعض الكلمات والاصطلاحات المألوفة على المستوى العام للاستعانة بها فى أسفاره، وأثمرت جهوده فى النهاية عن مكونات شخصية أهّلته للجلوس تحت قبة البرلمان مع رتبة البكوية إلى جوار صديقه ورئيس حزبه إسماعيل صدقى باشا!

وهكذا تعددت أمامنا فرص الاطلاع والتردد على مكتبته الخاصة وما فيها مما ينفعنا سواء فى مجال الدراسة أو فى الإضافة إلى معارفنا بوجه عام، وإزجاء الفراغ، الأمر الذي كان يسعده كثيراً فى كهولته، حين نجتمع على مائدة الغداء، ويتطرق الحديث إلى ما وجدنا وقرأنا، فيضيف من جانبه بعض الذكريات لقراءاته! وفى النهاية نكتشف من جانبنا سر المنابع التى زودته بمقومات التحرك فى المجتمع وبناء الشخصية المتميزة!

أما الذى لم يكن يتطرق إليه فى أحاديثه، فهو كفاحه وتجاربه مع الأرض، كتلك المنافسة غير المتكافئة مع أثرياء الأجانب وخصوصًا اليونانيين، ممن تدعمهم البنوك الأجنبية، وكانوا كثيرين ولهم جذورهم البعيدة فى بلدتنا.. وفى طفولتنا وشبابنا رأيناهم يمارسون مختلف الأنشطة

الزراعية والتجارية، ولهم مصانع الدخان وآلات طحن الغلال . . ومحال البقالة والمقاهى . . وامتلاك السيارات الأجرة وقيادتها، والتحق بعض أبنائهم بمدارسنا وتفوّقوا، بينما بقى الكثيرون على جهلهم شأن السواد الأعظم من المواطنين!

إلا أن كل ذلك لم يكن ليوهن عزيمة الرجل، فتفتر همّته . . وبإصرار كان فى شبابه يتلذذ بغفوته وقت الظهيرة على صوت دوران الساقية فى الحقل كما قال لى مرة، فقد كان محبًا للحياة، حريصًا على تفادى ما يفسد جو شيخوخته الهادئة، حتي ولو كان المرض، لذا رأيناه يترقب دائمًا الجديد من الأدوية «كالپنسلين» الذي لم نكد نسمع عن أخبار اكتشافه حتى توجه لاستقبال جرعاته طوال أسبوع كامل فى إقامة دائمة بالمستشفى! هذا وقد عايشت بدورى أبناءه فى الجَدِّ والهزل ومرح الشباب والاستماع إلى ألوان الموسيقى والغناء العربى والفرنسى! أما اهتماماته فى برامج الإذاعة فقد اقتصرت على القرآن الكريم . . وإن كان هناك غناء، فإن المطربة «سعاد محمد» كانت المفضلة لديه!

. . ولكمْ تأملنا هذا الرجل فى صداقاته من المصريين والعرب والأجانب، والشخصيات السياسية: الزعيم التونسى الحبيب بورقيبة وغيره من دول المغرب، ومن قدامى السفراء: أحمد فخري باشا زوج ابنة الملك فؤاد، والسفير سليمان بك الحوت، والمحامى الكبير عبد الحميد البرادعى، ومن المؤرخين يوسف بك نحاس وأحمد بك رمزى، كما تأملناه فى خلفياته حتى اكتمل له هذا التكوين الفريد، منذ ركب الحصان والعربة «الحنطور» ثم السيارة . . ومن بعدها الباخرة إلى تركيا وفرنسا . . ثم الطائرة صيفًا إلى جبل لبنان، وقت أن كان المسافر فى الثلاثينيات يتقدم للميزان، شأن حقائبه، فى الميناء الجوى بألماظة، ضمانًا لعدم تجاوز الحمولة المسموح بها لتحقيق الأمان بعد الإقلاع! أمّا الطريف حقًا، فكان إحساس الرجل بعدم الرضى عمّا حقق فى حياته، فنجده يكتب ذات مرة لأحد أبنائه خطابًا يحثّه على الاستذكار والاجتهاد فى التحصيل، فيقول له: يؤلمنى فى هذه الحياة أننى جاهل!!

وبوجه عام، فإنه عاش حياته وكأنه يعيش أبدًا . . ولما عمل لآخرته عمل وكأنه سيموت غدًا، فخصص لكل ولد من أولاده نصيبه من الأرض الزراعية، تفاديًا للخلافات فيما بينهم من بعده . . ولم يكن يعلم بالطبع أنه سوف يرى فى حياته كيف كانت فى ذلك النجاة لرزقهم من الطوفان القادم تحت شعار تحديد الملكية فى إطار «الإصلاح الزراعى» . .

وهكذا عاش مطمئنًا متمتعا دائم التنقل، باحثًا عن المفيد من أوجه التسلية والحركة المستمرة والأسفار القريبة والبعيدة . . ومنه تعلّمت قواعد وأصول «المزادات» التى كنت أرافقه إليها، حيث كان يقتني ما يروق له أو يرى فيه الفائدة لأولاده فى مستقبل أيامهم، ومن ذلك آلة البيانو ـ مثلاً ـ التى ما زلت أراها عند أحفاده. ثم بقيت لى هذه الهواية من بعده. ولما صار كل ذلك من الذكريات البعيدة، فقد آلت إلىّ من مخلفاته لوحة دينية نادرة للعذراء ذات البشرة السمراء، وكانت من أحب المقتنيات إلى نفسه، ويحتفظ بها فى غرفة نومه! وقبل انتقالي الأخير من الريف أهديتها بدورى إلى منْ يعتز بها من أصدقائى الأطباء الأقباط هناك!

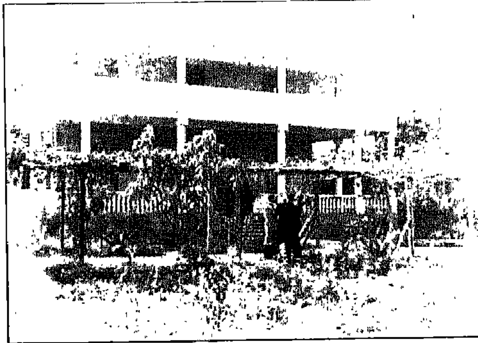
ومما اكتسبته أيضًا من عاداته، كثرة التنقل بين المساكن، حتي بلغت فى حياتى ثمانية، ولم نكن نسمع حينذاك عمّا يسمّى بأزمة المساكن . . ولقد جاء ـ مثلاً ـ مالك العقار الأخير بنفسه إلى مكتبى فى عام ١٩٥٦، وذلك لترغيبى فى استئجار الشقة بتنزيل مبلغ جنيه واحد من قيمة الإيجار!

ولعل من الذكريات الباقية من جو هذا الرجل، فرصة التعرف على أحد الأساتذة لابنه صالح ويدعى: ماكس چبارة.. واختلطت معه ليالينا الرومانسية بالقاهرة فى الأربعينيات مع «ليالى» الشاعر الفرنسى الفريد دى موسيه، وقد تناول القيثارة من ملهمته «إلهة الشعر» التى أوحت إليه أن يبدع أجمل ما كان يستهوى الشباب من كلمات الشعر.. والحب.. و«الألم» الذى يصنع العظماء ومعه قرأنا الصفحات الأولى فى كتاب «أندريه موروا» عن فن الحياة، وذلك فى أكثر من لقاء من أمسيات الصيف، فى حديقة منزله بالزمالك، والتى شاءت الأقدار بعد سنوات أن أعود للإقامة المستديمة بجوارها.

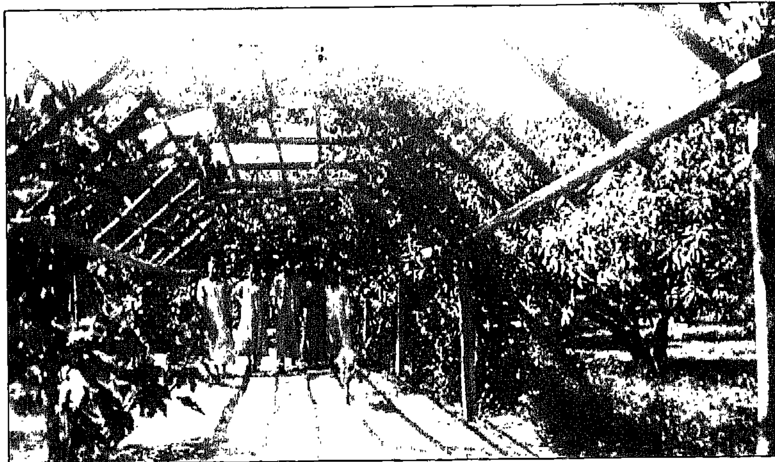
ومن النوادر والذكريات البعيدة عن شخصية شيخنا وإعجاب الناس به، وأكثرها طرافة ما سمعناه عن الرجل الإنجليزى رئيس شركة الأسواق «باركر» والذى أراد أن يمتدحه بغباء حين كانت هناك بعض المشاكل مع أحد أبنائه فقال: Abdel Mooty Bey is a very good man, but his son is very “ ebn kalb”!!

ومن اللقاءات التعليمية فى بيته، كانت تلك الصحبة الطيبة مع الدكتور زكى نجيب محمود فى مراجعات الإجازة الصيفية لمقررات الدراسة بكلية الآداب لابنه صالح، وكنت فيها مستمعًا ومنصتًا..

أذكر هذا الأستاذ فى صورة شاب متميز بكل ما يحظى به صاحب العلم والمعرفة والمنطق والعذوبة وخفة الظل فى القول! وفى أحاديث الفكاهة والتسلية وما أكثرها فى جو الريف، وعن نوادر العفاريت والخوف منها وخاصة فى الليالى المظلمة الساكنة، قال «نكتة» عمّن أنكر كل ذلك وادّعى الشجاعة لو طرأ له شيء منه، فجاءته هرّة واقتربت من فراشه فى الظلام، فصاح: بسْ! وفوجئ بالرد: وإذا لم أبس؟ فقال: أبس أنا! وشد الغطاء فوق رأسه ليخفى جسده!



▲ منزل شيخنا عبد المعطى بك



◄ تحت تكعيبة العنب حيث غنى عبد الوهاب أغنية «جفنه علم الغزل» فى فيلم الوردة البيضاء.

صحبة ومزيد من التجارب:

وهكذا اكتسبت الكثير من صحبة الشيوخ التى كنت أعتز بها، حتى واتتنى الفرصة فى أواسط الأربعينيات أن أحظى باللقاء المتكرر مع أحد أقطاب الدين فى أنقى أجوائه، حين سعدت بالقرب من العلاّمة الشيخ محسن، بعد معايشتى لابنه الصالح أحمد فى حياتنا العسكرية، وظللت أتردد على بيت شيخ الإمامين ضيفًا وابنًا حيث ألقى كل البشاشة والكرم والصحبة الكريمة فى حب الله تعالى وتزكية النفس وتطهيرها . . أسمع كلامه وأتدبّر المعانى وأشعر بفيوضات الصحة النفسية تغمر كيانى . . حتى ذبت وسط الموجات البشرية من الطائفين بجثمانه فى شوارع الإمام الشافعى!

. . وحتى مشارف النهاية وبلوغ الشاطئ الآمن فى رحلة الوظائف الحكومية، وطلبًا للعلم من المهد إلى اللحد، ظللت على يقينى أن كبار السن، على اختلاف ثقافاتهم، هم من المنابع الغزيرة للتجربة والخبرة! فلقد أتيح لى مثلاً بعد تجاربى السابقة فى يوم ما أن أتحدث مع أحد هؤلاء الكبار: شيخ المهندسين، صديق الفقراء، العالم الفنان حسن فتحى - رحمه الله - الأكبر منى سنًا والأكثر علمًا، وصاحب الشهرة فى أكثر من مجال، ومن بينها الشكل المميز لمساكن قرية «القرنة» ذات القباب العاكسة لأشعة الشمس المحرقة بصعيد مصر، المتميزة بجمالياتها القائمة على الخطوط المنحنية، فى إطار مفهومه الهندسى الذى أوجزه لى فى عبارة: !Straight is duty.. Curve is beauty . . كان ذلك فى عام ١٩٨٠ حين جاءنا لإلقاء محاضرة بالأكاديمية المصرية بروما، عرض خلالها تصميمًا معماريًا بسيطًا لأسقف المنازل . . خفيف الوزن دون إخلال بمتانة البنيان . . قليل التكاليف - وذلك كهدية منه لمنكوبى الزلازل فى جنوب إيطاليا - من فقراء العشوائيات الجبلية فى منطقة نابولى، للإفادة منه عند إعادة البناء لمساكنهم. وقد جاء ذلك كلفْته كريمة منه - هى إحدى سماته - ردًا على منحه جائزة «بلزان» الدولية فى العمارة!

وفى جلسة هادئة بمكتبى عقب المحاضرة، سألته عن مدى إمكان الإفادة من هذا التصميم فى مساكن الريف المصرى ذات الطابق الواحد، أوالطابق العلوى فى حالة التعدد، وبالطبع دون تخزين مخلفات الحقل فوقها . . فأكد لى صواب الفكرة وخاصة لو تصورنا - كما قال - كيف أن الفلاح يمكنه أن يحمل فوق ظهر حماره سقف بناء من شِبَاك حديدية تعطى بعد ذلك شكلها الهرمى المتعرّج، ثم ينثر فوقها خليط الأسمنت والمكونات الأخرى!

. . هذا وقد تطرّق الحديث بعد ذلك إلى خلفيات تكوينه الشخصى المتميز، خاصة بعد تجربتى السابقة فى الخمسينيات مع شقيقه المستشار الفنان محمد فتحى، والذى كان قد جاءنا بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب للمشاركة فى حلقة بحث الموسيقى العربية، حين قمنا بتنظيمها فى إطار لجنة الموسيقى بالمجلس! وكان رد الرجل الكبير على استفسارى حول ذلك، بسيطًا فى كلمات قليلة حين قال:

. . نشأنا منذ الصغر على الجلوس مع الكبار حول المائدة، حيث ننصت ونستمع فى سكون إلى كلامهم وأحاديثهم، ثم نضيف ذلك إلى حصيلتنا من المعارف والعادات!



العين تسمع . .

(تصوير : صالح عبد ا

الفصـــل الثانى

عـلامـــات وإيحـــاءات

• اهتمامات جانبية:

ومع انتهاء مراحل الدراسة العالية وبداية الحياة الوظيفية، كانت قد اتضحت ميولى الجادة نحو الموسيقى العالمية، فطلبت المعرفة بالموسيقى السيمفونية عن طريق المزيد من القراءة المكثفة والاستماع، ثم اتجهت فى عام ١٩٤٥ إلى أستاذ ألمانى مخضرم [١]، وذلك فى محاولة لتعميق المعارف العامة عن موسيقى الحضارة، وتنمية القدرة على تذوقها بالاستماع الواعى لأشهر روائعها! وفى سبيل تحقيق ذلك، لم تقتصر اللقاءات مع هذا الأستاذ على شرح مكونات الألحان وأسرار العظمة فيها بل امتدت بالتدريج إلى تحليل بعض الأعمال الكبيرة كالسيمفونية الخامسة لبيتهوفن . . وزادنا كلامه عنها تشجيعا على طلب المزيد، وخاصة عندما كان يقرن كلامه بالعزف على آلة البيانو سواء بمفرده أو بمصاحبة ابنته على آلتين للبيانو! وحينما كان يتحدث مثلاً عن موسيقى «شوبرت»، فإنه كان يقول إنها هبطت عليه من السماء!! أما ابنته «چورچيت» التى تقمصت فيها المواهب الفنية جسدًا ذا رجْل عرجاء، فكانت تجيد العزف على آلتى البيانو والڤيولينة بنفس المهارة كأبيها، بعد أن تتلمذت عليه منذ الطفولَة! وفى مقارنة بين الآلتين، فإنها كانت تقول إن الڤيولينة تكمن فيها الروح التى تستجيب مباشرة لنداء العازف الماهر، بينما يحتاج البيانو إلى من ينفخ فيه هذه الروح!

. . ولقد كان أستاذى هذا، يحرص على التوصية بمشاهدة ما يعرض من أفلام سينمائية أجنبية، تقوم على موضوعات خاصة بكبار الموسيقيين ومؤلفاتهم حتى تتكامل منابع المعرفة أمام شاب طموح فى مثل سنى وظروفى التى تخلو فى النهاية من هدف العمل بالفن! فكان أن شهدنا مثلاً فيلمًا فرنسيًا عن حياة بيتهوفن الذى قام بتمثيل دوره الفنان الكبير «هارى بور» . . وآخر إيطالى بعنوان «مدام بترفلاى» مع الفنانة ماريا تشبوتارى، تعريفًا بالأوبرا للمؤلف الشهير پوتشينى . . وثالث [٢] جمع فيه «والت ديزنى» أشهر العلامات فى تاريخ الموسيقى السيمفونية بصورة موسوعية مناسبة، من باخ وحتى ستراڤنسكى، ثم الفيلم الأمريكى عن شوپان. ومن الأفلام ما كنا نجد فى سياقه معزوفة تقودنا إلى البحث عن مثيلاتها، كما وجدنا مثلاً «پريليود» أو مقدمة فى فيلم: صورة دوريان جراى و«نوكتيرن» أو مسائية فى فيلم: سيدة الأقمار السبعة وهما من موسيقى شوپان. وفى مجال الموسيقى الوصفية، ربما كان من أروع ما شاهدناه ما تناول فيه والت ديزنى موسيقى «الدانوب

---

(١) يوزيف ريختر .

(٢) بعنوان فانتازيا .

الأزرق» ليوهان شتراوس، وذلك فى صورة وحركة فى تكامل تام شكلاً وروحًا مع الألحان الموسيقية أبرز الأفلام الموسيقية فى الأربعينيات هو فيلم «أغنية روسيا» حيث دار حول الكونشيرتو رقم ٢ المشه البيانو مع الأوركسترا للمؤلف رحمانينوف!

هذا وكان أستاذنا يشد انتباهنا إلى أهمية ما كانت تقدمه «جمعية الموسيقى المصرية» فى قاعة إيوارت الـ بالجامعة الأمريكية، من حفلات لمشاهير العزف المنفرد من أمثال «ڤيلهلم كيمف» من ألمانيا و«سامون فر و«پيير سانكان» من فرنسا و«ماجده تاليافيرو» وچوكندا دى ڤيتو وماچار . .

• مع الموسيقى العربية:

أما الزاد الذى تأهبنا به لرحلتنا الطويلة مع الروائع العالمية، فيرجع أيضا فى منابعه الأساسية إلى القـ ارتقى فيها المجدد الكبير محمد عبد الوهاب بموسيقانا العربية، حتى تكاملت بها مسيرتنا إلى جانب ا الفرنسية التى أشبعنا منها أستاذ اللغة الفرنسية كما سبق القول فى غير هذا المكان!

. . ففى مشوار التطوير بين يدى فناننا القدير، لمسنا الأشكال الجديدة لغنائنا التقليدى دون خروج عن الأصيلة، ثم القصائد الضخمة المتميزة ببنائها الرصين فى مكوناتها من كلمة ونغمة . . مقدمة وختام بينهما الفواصل المؤدية إلى أكثر من موضوع لحنى . . انتقال منطقى بين الجمل الموسيقية محكمة الربط فيه وفى النهاية إطار غنائى أوركسترالى غير مسبوق فى موسيقانا العربية!

. . وهكذا أخضع عبد الوهاب كل شىء للتجربة الناجحة حتى استجمع كل قدراته الإبداعية وحقق ا الكبير إلى قمم القصائد الطويلة: الجندول وأخواتها، حيث سكب فيها خلاصة تجاربه حتى استحدث مـ اعتباره «معلقات موسيقية» . . وربما كان الأكثر روعة من جانبه، هو الإعجاب دائمًا بروافد موهبته . . و أذكره فى مراحل متأخرة، حين جاءنا فى يوم ما من الستينيات بدار الأوبرا، وعند مرورنا بمنطقة خشبة الـ تصادف عزف افتتاحية لڤاجنر استعداداً لإحدى حفلات أوركسترا القاهرة السيمفونى، فسألنى ع المؤلف . . ولما أجبته همس قائلاً: هذه موسيقى العظماء!

. . وكانت قد أتيحت لمحمد عبد الوهاب منذ المرحلة المبكرة من شبابه أن يتردد على مدينة باريس مع ومثقفه أمير الشعراء أحمد شوقى، حيث تعددت فرص الاستماع إلى روائع الموسيقى السيمفونية، كا كما روى فى ذكرياته التليڤزيونية، متتالية «الأرليزيه» للفرنسى «بيزيه» والتى قال إنه عند سماعها لأول أصيب بذهول! ثم بدأ مرحلة الاقتباس للشائع والذائع من الفقرات اللامعة فى الموسيقى العالمية لتطعيم من ابتكاراته اللحنية العربية، أسوة بالغربيين فى أغانيهم الخفيفة فوجدنا مثلاً رقصة «الرومبا» فى أغنية علِّم الغزل» فى فيلم الوردة البيضاء . . وفى فيلم «دموع الحب» شهدنا الأوركسترا الكبير بدلاً عن التـ يقوده الفنان عزيز صادق، فى أغنية «سهرت منه الليالى» . . وفى الفيلم التالى يجعل من الطرقات الافـ للسيمفونية الخامسة لبيتهوفن مدخلاً لأغنية «أحب عيشة الحرية» - ثم يجلس إلى آلة البيانو على الـ الأوروبية عند غناء «الصبا والجمال» وهو يتغزل فى جمال الأنثى: إلهام حسين!

. . ولا ننسى هنا تجربته مع المسرح الغنائى فى أحد المشاهد من رواية «مجنون ليلى» لأحمد شوقى، والذى يمكن اعتباره «فصلاً من أوبرا» أو «أوبرا من فصل واحد» وليس بالطبع أوپريت كما هو شائع، لاختلاف الطابع والتكوين بين الحالتين، حيث استحدث الحوار الغنائى والغناء الإلقائى فى قالب مسرحى - ثم أغنية «يللى نويت تشغلنى» التى أقامها على لحن من أشهر الأغنيات فى أوپرا «ڤيردى» : ريجوليتو، تحت عنوان : المرأة! وفى سياق ذلك كان يكتب المقدمات الطويلة ويهذب الفواصل والقفلات ومواقع التطريب من الجمل الغنائية، مع الحرص دائمًا على التكامل بين الكلمات والنغمات وإبراز مواطن الجمال فى موسيقانا! هذا ومن أروع النماذج لحسن استغلال طاقات الأوركسترا، كان الاستخدام الأمثل لكل آلة موسيقية بما يناسب طبيعة صوتها، كما فى وقفته الحائرة مثلاً أمام التفكير فى عالم المجهول فى أغنية « لست أدرى» للشاعر إيليا أبو ماضى، حين يمهد للتساؤل بنغمات طويلة ممتدة كأنها النداء عن بعد، تؤديه آلة «الكورنو» النحاسية ذات الصوت الخشبى الناعم المنساب!

جو عام:

. . ومع مسيرة محمد عبد الوهاب المبكرة، نجد أيضًا معه فى الجو العام مسيرة موازية لموسيقانا الأوركسترالية بالإذاعة تحت عصا التشيكى «هيتل» ومن المواطنين محمد حسن الشجاعى وصحبه، وكان من الطبيعى أن يجد فناننا الكبير فى ذلك كله الدعم لأعماله المتجددة والباقية رغم ذهاب غيرها، كتلك المبادرات القديمة فى مجال المسرح الغنائى على خشبة مسرح الأزبكية، وفيها نقرأ أسماء عديدة كأولاد عكاشة وزكريا أحمد والكتاب مثل حسين فوزى وتوفيق الحكيم! ومن كل هذه الخلفيات اكتملت معالم الجو الجديد فى حياتنا الموسيقية غير التقليدية، وخاصة بعد أن كان سلامة حجازى ومنيرة المهدية قد وجدا طريقهما إلى خشبة المسرح بدار الأوپرا فى ترجمة لبعض الأوپرات الشهيرة . . وواكب ذلك فى تلك الفترة المبكرة، إيفاد بعثات الفنون الجميلة وإنشاء الأكاديمية المصرية بروما فى عام ١٩٢٩ . . ثم يضيف الملك فؤاد إلى ذلك، إنشاء معهد الموسيقى العربية مع انعقاد المؤتمر الدولى الأول للموسيقى العربية فى عام ١٩٣٢ .

مزيد من القراءات:

وكما أتاحت لنا الإذاعة العسكرية البريطانية الكثير من برامجها الموسيقية الراقية كل صباح، فقد كان للقوات الأمريكية أسلوب خاص لتحقيق نفس الهدف وشغل وقت الفراغ على أفضل وجه ممكن، وذلك بإصدار الكتب والمطبوعات! وفى هذا الصدد كان لنا حظ القراءة المتأنية لكتاب له قيمته التعليمية والتوجيهية فى التعريف تفصيلاً بالموسيقى العالمية من مختلف جوانبها تيسيرًا لاستيعاب روائعها! فقد جاءتنى فى عام ١٩٤٧ نسخة من هذا الكتاب [١] فى رحلة البحث عمن يهتم بقراءته عندما أهديت إلى قيادتنا بمنطقة الإسكندرية العسكرية

---

(١) Discovering Music:
U. S. War Department Education Manual (EM. 603).

كحلفاء فى الحرب العالمية الثانية! والحقيقة أننى لم أكن قد فرغت بعد من استيعاب كتاب آخر سبقه إلى مقتنياتى، ولكنه كان من المراجع الموسوعية [1] وليس من كتب المناسبات، أصدرته دار نشر لها أهميتها فى إنجلترا وأهداه إلى الأديب «عبد العاطى جلال» بعد أن حصل عليه من أحد معارفه الإنجليز بالقاهرة! ولقد أحسست بأننى قد أحرزت جواز المرور إلى عالم النغم عندما لحق بهما كتاب ثالث جاءنى من مصدر له طرافته، حين لاحظ أحد العازفين الأجانب فى فرق المحال العامة بالإسكندرية مثل «أتينيوس» و«راپاس»، مواظبتى على الحضور للاستماع إلى فقرات الموسيقى الكلاسيكية، وأحيانًا أطلب عزف مقطوعات بعينها، فكان أن بدأ التقارب بيننا وتبادل الحديث، وأحضر لى ذات يوم كتابًا من مقتنياته لأقرأه على سبيل الإعارة! وفيه وجدت زادًا أضيفه إلى الكتب السابقة، إلا أننى اضطررت للرحيل قبل الانتهاء من قراءته فاحتفظت به بعض الوقت ثم أعدته إليه، بعد أن كان قد فقد الأمل فى استعادته مما عزّز العلاقات بيننا فيما بعد، عندما اضطرتنى ظروف العمل إلى العودة للبقاء فى الإسكندرية مدة أطول . .

وكان هذا الصديق الجديد قد أسر لى فى إحدى الأمسيات بأنه كان محاربًا مالطيًا فى صفوف القوات البريطانية فى أثناء الحرب العالمية الثانية، وأنه لا يزال يحتفظ بسلاحه الشخصى فى منزله ويريد التخلص منه (مسدس من العيار الكبير) وطلب منى قبوله كهدية منه! وقد احتفظت به حتى أصوبه إلى صدور قوات الاحتلال البريطانى فى مصر! وسرعان ما وجد طريقه إلى الفدائيين بمنطقة قناة السويس فتملكنى الشعور بالارتياح بأن كان الفن الرفيع طريقًا لقضاء مصالح الوطن العليا!

وفى هذه المناسبة تحضرنى بنفس المعنى قصة أروع للدكتور ثروت عكاشه حينما كان ملحقًا عسكريًا بالخارج، وما دار بينه وبين مدير مصانع السلاح [2] المتعنت فى سويسرا، والذى رفض طلبه، فى الحصول على بعض القطع التى تحتاجها قواتنا المسلحة . . ففى لقاء أخير يائس بينهما على مائدة الغداء تصادف أن وصلت إلى أسماعهما موسيقى «ڤاجنر» التى لفتت انتباه د. ثروت عكاشة قبل رفيق اللقاء، فانتقلت بهما إلى حديث طويل ممتد أيضًا إلى بيتهوفن وأوپراه «فيديليو» . . وسادت الناحية الإنسانية جو اللقاء بين الطرفين وتغير كل شىء بسرعة غير متوقعة، واستجاب الرجل للطلب وشحنت الأسلحة إلى مصر فى هدوء!

• جمعية الموسيقى المصرية:

لعل أبرز ما عاد على هذه الجمعية بالشهرة فى أوساط الموسيقى الرفيعة بالقاهرة، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، كان حفلات العزف المنفرد (ريسيتال) لمشاهير الفنانين الزائرين فى إطار مواسمها السنوية بقاعة «إيوارت التذكارية» بالجامعة الأمريكية! ويمكن القول بأن هذه الجمعية كانت امتدادًا لماض بعيد، حين كانت هناك فى مطلع القرن، جمعية سابقة تمارس نفس الرسالة، وتحمل اسم «الجمعية المصرية للفنون» . . وامتد نشاطها

---

(١) The Musical Companion (Edited by Bacharach).

(٢) د. ثروت عكاشة : مذكراتى فى الثقافة والسياسة (ج ١ ـ ص ١٣٩، ١٤٠).

جمعيـــة الموسيقى المصريـــة

حفلة موسيقية

بـدار الاوبرا بالقـاهرة

لايوش هـــيرنادى

برنامج الحفلة

SOCIETE DE MUSIQUE D'EGYPTE

RECITAL DE PIANO

au

THEATRE NATIONAL DE L'OPÉRA

Dimanche 24 Mars 1957, à 9.30 p. m.

LAJOS HERNADI

PROGRAMME

EWART MEMORIAL HALL

UNIVERSITÉ AMERICAINE

JEUDI, 4 Mars 1954, à 9 h. 15 p.m.

SOCIÉTÉ DE MUSIQUE D'EGYPTE

RECITAL DE PIANO

donné par

WILHELM KEMPFF

PROGRAMME

بعض البرامج لجمعية الموسيقى المصرية (سنوات ٥٤ ـ ١٩٥٧).

جمعية الموسيقى المصرية بالتعاون مع واللجنة الموسيقية العليا

الاذاعـــة المصـــرية

حفلة موســيقية سيمفونية

بدار الأوبرا بالقاهرة

يوم الجمعة ٢٦ ابريل ١٩٥٧ فى الساعة التاسعة والربع مساء

يحييها

أوركسترا الاذاعة المصرية السيمفونى

بقيادة

فرانز ليتشاور

بالاشتراك مع عازف البيانو النمساوى

ألفريد بريندل

برنامج الحفلة

١ ـ أبو بكر خيرت ـ إفتتاحية سيمفونية « إيزيس » (تعزف لأول مرة)

٢ ـ لودفيج فان بيتهوفن ـ كونشرتو رقم ١ من مقام دو للديوان الكبير من ثلاثة أجزاء :

ا ـ سريع فى انبساط

ب ـ بطئ

جـ ـ روندو : سريع فى رشاقة

استراحـــة

٣ ـ يوهانز برامز ـ السيمفونية الثانية من المجموعة رقم ٧٣ من مقام رى للديوان الكبير من أربعة أجزاء :

ا ـ سريع دون إسراف

ب ـ بطئ دون إسراف

جـ ـ متوسط فى السرعة

د ـ سريع وقوى

حينذاك إلى تنظيم بعض المواسم الرسـمية بدار الأوبرا . . وذلك تحت رعاية أعضائها من كبار الأثرياء الأجانب المقيمين مع القليل من المواطنين، نذكر ممن بقى منهم وشهدناه فيما تيسر لنا حضوره من حفلات عامة : الكونت زغيب ود. أوسكار ستروس قنصل النمسا الأسبق بالقاهرة فى الثلاثينيات وزوجته التى ظلت تمارس اهتمامات زوجها من بعده، وفتحت أبواب بيتها فى مناسبات سنوية لتقديم البراعم والمواهب الصغيرة فى العزف الموسيقى مثل اليونانى المصرى «چورچ تيميلى» من جيل سابق لنا، والذى وهبه الله من المهارة فى العزف ما عوضه عن فقدان نعمة البصر، وظل بيننا كعنصر له أهميته وركيزة لها قيمتها فى برامج أوركسترا القاهرة السيمفونى حتى أوائل الستينيات قبل هجرته النهائية من مصر! وكانت هذه الجمعية تتخذ لنفسها مقراً لدى أحد أعضائها من كبار تجار الآلات الموسيقية بالقاهرة فى محلات «پاپازيان للموسيقى» وانتهت رئاستها فى أواخر عهودها إلى المهندس الفنان أبو بكر خيرت!

وبفضل هذه الجمعية أتيح لنا الاستماع إلى المشاهير من العازفين الأوروبيين كما سبق القول ـ وعندما أنشىء أوركسترا القاهرة السيمفونى فقد استفاد كثيراً من وجود هؤلاء المشاهير الذين كانت تستقدمهم الجمعية، وذلك للمشاركة فى عزف فقرات «الكونشيرتو» فى برامج الحفلات الأسبوعية! وكان الأوركسترا يقدم حفلاته تحت شعارها، قبل أن يتاح له التحرك والنشر عن نشاطه بالصحف، بما كان يرجع لقيود الروتين الحكومى السائدة فى

ذلك الوقت، وبسببها استعان الأوركسترا مثلاً بالجمعية فى إجراءات استيراد النوتات الموسيقية من الخارج كنواة لمقتنياته.

• مكتبة الفن:

ومن جانب آخر اضطلعت دار الكتب بدورها فى تقديم مثل هذه الخدمات الموسيقية، كامتداد لرسالة المتاحف والمكتبات العامة، فأنشأت «مكتبة الفن» فى ركن من متحف الفن الحديث بميدان التحرير، وكان المبنى قصرًا للسيدة الجليلة هدى شعراوى من رائدات العمل النسائى والوطنى بمصر..

وفى هذا المقر كان الحرص على توفير أجهزة الاستماع إلى جانب الكتب والمراجع، وتولى المثقف «جلال فؤاد» أمين المكتبة مهمة تنظيم أنشطتها واستقبال روادها من هواة الموسيقى السيمفونية وتقديم حفلات الأداء الحى لأعمال التراث. وقد يسرت هذه المكتبة الكثير للشباب المتطلع إلى الجديد من صور الموسيقى الجادة العربية والعالمية، وما زلنا نحتفظ ببطاقة الرواد الخاصة بالتردد على المكتبة فى عام ١٩٥٤! ومنها انطلق أمينها إلى مجال أوسع فى تحقيق الرسالة التى عاش معظم سنوات عمره من أجلها حين رحب به الوطنى المشهور خالد محيى الدين ليختص بمساحة كبيرة على صفحات جريدة «المساء» الناشئة، وصارت مع مرور الأيام منبرًا لكل تطلعاتنا الموسيقية - وذلك قبل أن تسند إليه مسئوليات مدير أوركسترا القاهرة السيمفونى وكورال الأوبرا بوزارة الثقافة فى السبعينيات!

• وقفة مع دار الأوبرا:

وفى محاولة لمراجعة المحصلة التى انتهينا إليها فى مشاهداتنا وتحركاتنا نحو الجديد فى مجالات الثقافة وعالم الموسيقى الرفيعة، كانت لنا الوقفات مع النفس والتأملات الطويلة فى أكثر من شىء يحمل المؤشرات نحو الهدف من المسير! فلقد كان هناك التغيير الواضح فى نظرة المجتمع إلى الفن بوجه عام والموسيقى بوجه خاص كعناصر حيوية فى مكونات المواطن المستنير، بعد أن كانت مثلاً شهادة الفنان لا تقبل أمام المحاكم حين كانت دار الأوبرا تبدو غريبة على أرضها، بعد عهود مجيدة من تاريخها، فوجدت لها مكانًا بين أبنية وزارة الأشغال، حتى لا تدنس محاريب العلم! واقتصر الوجود الموسيقى اللامع فى حياة المواطنين على الفرق العسكرية كتقليد مستمر منذ عصر محمد على وتابعيه إلى جانب المعدودين من مشاهير الموسيقى العربية: فنًا وطربًا! ثم ظهرت الموسيقى على استحياء بين الأنشطة المكمّلة لليوم الدراسى؛ بعد أن تحررت من نطاق فرق الكشافة ومن شعار الأناشيد السطحية، وبدأت تختص بالمعاهد وكان لها نصيب فيما يوفد من بعثات.. ونقلت دار الأوبرا إلى وزارة المعارف العمومية، وفتحت لنا فى عام ١٩٤١ أبوابها، بين فرق المسرح المدرسى التى قدمت رواية «تاجر البندقية» لشيكسبير، إلى جانب «نهر الجنون» لتوفيق الحكيم والتى أضفناها إلى معارفنا عن كاتبنا الكبير، بعد أن قرأنا له «عصفور من الشرق» وحدثنا فيها عن موسيقى «سترافينسكى» الذى عرفناه للمرة الأولى!

لقد وقفنا حينذاك على خشبة المسرح بين مجموعات «الكومبارس» أو «عيال زكى طليمات» كما قال على مسامعنا مدير الأوبرا سليمان نجيب، عند مروره فى أثناء التدريبات على خشبة المسرح لتفقد العمل بين «الكواليس» وهو لا يتوقع أن منا من سوف يشغل منصبه ويحتل مكتبه بعد ربع قرن ويذب الذباب عن الدار

ويمنع العبث وينفض التراب عن صفحات تاريخها ويبلغ ما لم يبلغه سابقوه فى الكشف عن أمجادها [1]، ولكن بالطبع دون التكريم الذى كان يحظى هو به ممثلاً فى رتبة «البكوية» الموقرة، على الرغم من زيادة الأعباء الوظيفية فى حالتنا مع مولد الجديد من الجهود الوطنية وظهور الأنشطة الأوپرالية المحلية، وتعدد الاختصاصات وتشعب الاهتمامات!

. . ونعود إلى هذا الحفل المدرسى بدار الأوپرا، لنذكر ما كان فيه من طرافة فى حوارات توفيق الحكيم بين الملك والملكة فى روايته: نهر الجنون: عبد الله (شريف) أباظة والجميلة أمينة نور الدين! ينظر إليها كمجنونة لأنها أطاعت الشعب وشربت من النهر . . وتنظر هى إليه كمجنون لأنه الوحيد الذى لم يشرب منه! ويكرر بين الحين والآخر قوله لها: لماذا تنظرين إليَّ هذه النظرات؟ ويضحك المشاهدون ـ وتكون كلمته الأخيرة، قبل إسدال الستار: علىّ بكوب من ماء النهر!

وبقيت الذكرى، حتى عدت بعد سنوات إلى دار الأوپرا، مع زميل الجندية الصعيدى: مصطفى حامد (من شهداء فلسطين فيما بعد) طلبًا لسهرة من الترفيه الراقى فى عطلة نهاية الأسبوع . . وتهيأنا لدخول الدار فى عام ١٩٤٤، بزى الكلية الحربية «القيافة التامة» حيث سعدنا بمشاهدة «قيس ولبنى» للشاعر عزيز باشا أباظة كتنويعات على لحن لرائعة أحمد شوقى قدمتها الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى، مع أشهر ثنائى فى دور البطولة: أحمد علام وفردوس حسن، اللذين شهدناهما قبل ذلك فى رائعة محمد عبد الوهاب السينمائية: مجنون ليلى! وخلال الاستراحات بين الفصول، كان الموسيقار عبد الحليم على يقدم فاصلاً من الموسيقى مع أوركسترا الفرقة بمسرح الأزبكية!

> وكانت الحسرات تبدو فى نظرات المايسترو عند التصفيق له، إذ يرى الموسيقار نفسه كمجرد تابع صغير لملء الفراغ بين فصول العرض التمثيلى، بعد أن أمضى السنوات فى شبابه دارسًا موهوبًا للعزف فى فرنسا!

. . وعمومًا فقد كانت هذه التجربة هى الثانية مع الأوركسترا السيمفونى حين كانت الأولى، كما سبق أن قلنا، بقيادة الشجاعى فوق خشبة المسرح، بينما كان الأوركسترا فى هذه المرة داخل الحفرة!

قراءة واستماع:

ومن بين أهم روافد المعرفة والمتعة فى تلك الفترة من الأربعينيات كانت الجرعة اليومية فى برامج الصباح من إذاعة «كبريت» فى منطقة قناة السويس، والموجهة إلى القوات البريطانية إبان الحرب العالمية الثانية، وفى أذيالها، حيث اقترنت فيها متعة الاستماع بالتعريف والتثقيف فى كلمات موجزة ومركزة عن كل فقرة من الروائع السيمفونية المقدمة!

---

(١) أسفر ذلك عن تكريم الحكومتين الفرنسية والإيطالية لى بوسامى: أوفيسيه وكومنداتور، سبقهما تكريم خاص من مجلس الوزراء الإيطالى حين منحنى «جائزة الثقافة» فى عام ١٩٧٥ على أثر ظهور كتابين بقلمى عن تاريخ دار الأوپرا وربيبتها عايدة (لم يسبقنى إلى الوسام الثانى من مديرى الأوپرا سوى الإيطالى(فورناريو) كما قرأنا فى كلمات المؤلف الكبير «ماسكانى» فى إهدائه له صورته فى عام ١٩٢٦ !

. . وبقيت في الذاكرة سيمفونية «العالم الجديد» للتشيكى «دڤور چاك» بين غيرها من الروائع كسيمفونية «الرقص» لبيتهوفن كما أسماها ڤاجنر (رقم ٧) - وفى أوقات الراحة من العمل العسكرى كنا نجد المجال للحديث عما سمعناه وما شاهدناه من أفلام سينمائية أجنبية، كثيرًا ما سبقنا إليها الزميل الشاعر مصطفى بهجت بدوى بأسلوبه الأخاذ حين يتحدث عن روائع النغم . .

وذهب بنا الشغف حينذاك لاستكشاف الجديد من الروائع إلى البحث بشتى الوسائل عن مصادر الاستماع إليها، كتلك الليلة على سبيل المثال، حين اصطحبنا أستاذنا السابق فى المدفعية وألعاب الشيش: مصطفى لطفى (السفير فيما بعد) إلى حيث استمعنا إلى «شهر زاد» لريمسكى كورساكوف، فى مجموعة الفنان الروسى الأبيض «ميلو» فى بيت الفن بالقلعة، ثم تكرر الصعود إلى هناك فى سبيل المزيد . .

. . وكان فى الصحبة صديقه (ج. س) الذى طالما حيرنى فى مكوناته الشخصية: صامت متأمل عند الاستماع . . ذو ذكاء خارق ونشاط متدفق . . مثاليات مع مرض قاتل! لقد ظل يذكرنى بعد نجاح الثورة بتلك اللحظة التى انفجر فيها سبًا ولعنًا لأجداد الملك . . وظهره إلى النافذة المفتوحة على الشارع بالدور الأرضى فى مصر الجديدة، حين اندفعت إليه صائحاً: (وطّى صوتك حتودينا فى داهية) ! ! ولكنه لم يذكرنى قط بتحرشاته المستمرة مع خلق الله فى كل مكان، وحتى فى قطار الريف المتجه إلى بلدنا، مع احتمال وجود من يعرفنى من المسافرين! ومن الطريف ما قيل عنه فى مرض الموت، حين زاره جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، وأراد الاعتذار عن صعوبة الكلام لثقل فى لسانه! وروى أحد الحاضرين فيما بعد، أن عبد الحكيم عامر رد عليه قائلاً: ما يهمش إحنا متعودين على وساخة لسانك!

• الإذاعة الأوروبية بالقاهرة:

ومن المجالات المحدودة التى أتاحت لنا بعد ذلك فرص الاستماع إلى الموسيقى العالمية فى مرحلة الشباب، لا ننسى تلك الفقرات الموسيقية فى القسم الأوروبى بالإذاعة، يضاف إلى ذلك نقل بعض حفلات المواسم الإيطالية التقليدية بدار الأوپرا! ووجدنا فى كل ذلك منهلاً خصبًا للمعرفة والتثقيف، وخاصة عندما كان الاستماع يقترن بالشرح والتفصيل! ومن نافذة ضيقة فى هذه الإذاعة، نذكر أن وصلت إلى أسماعنا فيما بعد باكورة الأعمال السيمفونية للرائد أبو بكر خيرت، وكونشيرتو العود مع الأوركسترا للدكتور يوسف شوقى . . وربما ترجع إلى تلك الفترة بداية ظهور البرنامج الأسبوعى للمؤرخ الموسيقى، أحمد المصرى: روائع النغم، والذى لفت الأنظار إلى ثقافته الموسيقية غير المألوفة كثيرًا بين المواطنين، فاستعين به فيما بعد فى أول جهاز إدارى لأوركسترا القاهرة السيمفونى الجديد، حيث واصل الرسالة ووقف مناضلاً ومدافعًا عن الأوركسترا ضد التيارات غير المواتية من جانب الكثيرين - ومما اشتهر به حينذاك كان اقتناؤه لمكتبة موسيقية زاخرة بمراجع الموسيقى السيمفونية - ونقرأ حتى الآن كتاباته فى بطاقات البرامج للحفلات بالدار الجديدة للأوپرا بالمركز الثقافى القومى!

. . ولا ننسى هنا، مرشدنا إلى تفاصيل البرامج الأجنبية المذاعة، وقد كانت مجلة أسبوعية عظيمة الفائدة للمستمع والقارىء تسمى: راديو موند! ووجدنا فيها الكثير من مواد الثقافة الموسيقية من أخبار وشرح وتفسير

وتراجم للمؤلفين . . وعلى سبيل المثال، ما زلنا نذكر ما نشرته عن حفل «ريسيتال» لعزف البيانو، شهدناه بحديقة الكاتدرائية الإنجليزية التى كانت تحتل الموقع الذى يشغله الآن : ميدان عبد المنعم رياض، وتمتد الحديقة حتى شاطىء النيل، قبل إنشاء شارع الكورنيش، مما كان يشكل جوّاً هادئاً مثاليّا لهذا النوع من الحفلات!

• **مجلة راديو موند:**

وعلى ذكر «راديو موند» وأهميتها، نذكر لصاحبها «إلياس عطية» جديته فى حمل هذه الرسالة الثقافية، وما تركته لنا من ذكريات، كالتعريف لأول مرة، بأوبرا المؤلف الأمريكى «چورچ جيرشوين» المشهورة : پورجى وبيس، وترقب نقل العرض الخاص بها فى سياق الموسم التقليدى للأوبرا الإيطالية، قبل عرضها سينمائيا فى فيلم موسيقى! يضاف إلى ذلك، النشر عن حفلات العازفين الزائرين بقاعة إيوارت التذكارية بالجامعة الأمريكية، فى إطار مواسم جمعية الموسيقى المصرية . . أما الأخبار المهمة والموضوعات التثقيفية البارزة فنذكر منها التعريف بالمؤلف الفنلندى المشهور «سيبليوس» بمناسبة وفاته، حين كان عنوان المقال : مات بيتهوفن العصر!

• **اللجنة الموسيقية العليا:**

ومع التحركات العديدة التى مارستها أكثر من جهة لتحقيق هدف واحد هو الاهتمام بالتراث الموسيقى العالمى كنشاط حيوى فى حياتنا الثقافية، فإن ذلك كان يزيد من حماسنا للمشاركة فى المسيرة بالكلمة والإرشاد وعرض بعض ثمار التجربة، وإعداد العدة لهذه الرسالة بمواصلة القراءة والاطلاع والاستماع وترقب المناسبات العامة التى تبدو فيها صور الإجماع الجماهيرى على ما نطلبه لمجتمعنا الجديد!

وكان ظهور اللجنة الموسيقية العليا يمثل نوعًا من الاستجابة الرسمية لهذه الأهداف، وخاصة بعد أن خُصص للجنة مقرٌ مستديمٌ فى ركن من دار الأوپرا فور إنشائها فى أوائل الخمسينيات، ومنه انطلقت الشعارات وبدأ جمع التراث ونشره وتنظيم المسابقات وإقامة الحفلات، مؤيدة فى مسيرتها بسلطات عليا، حين نجح مؤسسها أحمد شفيق أبو عوف فى دعوة رئيس الجمهورية اللواء محمد نجيب الذى كان رجلاً متفتحاً وواسع الاطلاع، وذلك لرئاسة أول اجتماع للجنة . . واستجاب له الرئيس!

وكان أبو عوف بدوره عالى الصوت . . يكتب الأشعار ويصوغ لها الألحان . . ومن ورائه الشباب . . وحتى الأطفال يغنون نشيد مارسييز ٢٣ يوليو : مصر . . مصر . . مصر . . أمنا! والتقت أفكاره مع المطالبين بإنشاء مجلس أعلى للفنون على غرار المجلس الأعلى للإنتاج الذى أنشأته الثورة، وقد عين بالفعل فيما بعد مساعداً للسكرتير العام للمجلس الأعلى (الأديب يوسف السباعى) . . وتذكرنى أهمية نشيد أبو عوف لدى الناشئة بابنى الطفل «إسماعيل» الذى كان كغيره من الأطفال والشباب مولعًا بغنائه ويكثر من الاستماع إلى الأسطوانة المسجل عليها؛ وفى يوم ما أغضبنى بسبب عمل من أعمال الشقاوة المنزلية فأردت أن أعاقبه بحرمانه مما يحب، فكسرت الأسطوانة! وكان أطفال تلك الحقبة أسعد حظاً من أطفال الجيل الحالى، إذ لم تكن الأغانى الشبابية الهابطة قد أصابت أذواق وآذان الأطفال والشباب فى ذلك الوقت، ولا هم ضلوا تحت ركام الإنفجار السكانى

الجديد، الأمر الذى كان يدعو أبو عوف لتنبيه المسئولين عن الموسيقى بالإذاعة للقيام بدور إيجابى فى الاهتمام باختيار الأفضل للموسيقى التى تشكل أذواق المواطنين وتسمو بها فى مواجهة بعض الأغانى الحديثة، التى لا تحقق البناء الأمثل لهم! وكان أكثر ما يغيظه من المسئولين آنذاك ردهم عليه بالقول: «الجمهور عاوز كده» . .

وسعيًا إلى أى طريق فعال يحقق سيادة الموسيقى الجيدة والإعداد لذلك، فقد جرب أبو عوف لعبة السياسة ونجح فى دخول البرلمان . . ثم عاد وهاجر إلى الصحراء غاضبًا على الإذاعة التى لم يكن هناك غيرها ليخاطب الناس آنذاك، ومتصوراً أنه قادر على أن يخلق فى «مديرية التحرير» النواة لعالم الموسيقى الذى ينشده، وذلك بتشكيل فرقة موسيقية ينطلق بها مستقبلاً وسط الجماهير، ويقدم لها الموسيقى الأفضل! وربما كان فى ذلك يحلم بمستعمرة الأمير الألمانى «كارل تيودور» فى مدينة «مانهايم» حيث كانت المدرسة الأولى للأوركسترا السيمفونى فى القرن الثامن عشر!

وعمومًا، فإن اللجنة الموسيقية العليا، نجحت تحت كل الظروف فى القيام بدور له قيمته، وشغلت فراغًا فى الحقل الموسيقى فى ذلك الوقت! ولما أقامت المسابقات لاكتشاف ورعاية المواهب لدى المواطنين بالجهود الذاتية، أجريت بعض التصفيات لهذه المسابقات فى نادى ضباط القوات المسلحة بالزمالك، وفيها شهدنا الفتاة المحجبة التى تقدمت بكل ثبات نحو آلة البيانو وعزفت «سوناتا» لبيتهوفن مما اعتبر مؤشراً لصواب التوجهات من جانب اللجنة.

هذا وقد عرفت اللجنة كيف تحيى أهم المناسبات بما يرقى إلى مستواها، فقامت مثلاً بتنظيم حفل سيمفونى فى مناسبة إبرام إتفاقية جلاء قوات الاحتلال البريطانى عن مصر فى عام ١٩٥٤، قدمه أوركسترا كبير، وتولى قيادته الإيطالى «كمبيزى» الذى علمنا فيما بعد شيئًا عن تحليل السيمفونيات مثل رقم ٤٠ لموزار، وذلك فى برنامج حافل بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة وبحضور رئيس الجمهورية وأعضاء مجلس قيادة الثورة! ومن العناصر المبهرة فى البرنامج كان ظهور عازف البيانو ذى الشهرة العالمية «چوزيه إيتوربى» عند تقديم واحد من ألمع مؤلفات الكونشرتو . . ولم نكن قد رأينا هذا الفنان الكبير من قبل سوى فى الأفلام السينمائية الأمريكية! وفى العام التالى قدمت اللجنة بعض الحفلات لأوركسترا بلغراد الفيلهارمونى بدار سينما

اللجنة الموسيقية العليا

دار الأوبرا

برنامج

الحفلة السيمفونية التى تقدمها

فرقة أوركسترا بالغراد الفيلارمونيكيه

على

مسرح سينما قصر النيل

فى الساعة التاسعة والنصف من مساء الخميس ٩ يونيه ١٩٥٥

قيادة المايسترو كريزمير باراانوفتش

لا يمكن التأثير فى شعب بأى أداة خير من الموسيقى
تباوت

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

قصر النيل، وقدم فيها المؤلف الموسيقى «بارانوڤيتش» بعض مؤلفاته، وشارك فى قيادة بعض الحفلات «چيكا زدراڤكوڤيتش» الذى عاد إلينا بعد ذلك، ضمن الوفد المرافق للرئيس تيتو فى أول زيارة له لمصر حين قدم مع أوركسترا الإذاعة فقرة من الموسيقى اليوغسلافية فى حفل ساهر بدار الأوپرا، ثم دعاه د. ثروت عكاشة فيما بعد، للعمل كقائد زائر لأوركسترا القاهرة السيمفونى عقب إنشائه، وتكررت بعد ذلك زياراته لمصر! وهكذا كانت اللجنة الموسيقية العليا تبدو كراية على رأس المسيرة التى شاركتُ فيها مبكرًا بكلماتى الأولى الموجزة فى بطاقة البرامج الخاصة بحفلات «فيلهارمونية بلغراد» فى عام ١٩٥٥ . . ووجدتُ فى ذلك كل الإيحاء بالحاجة إلى تقديم مثل هذه الثقافات الجديدة على المستوى الجماهيرى وباللغة العربية كتقليد جديد يضيف المعلومة إلى متعة الاستماع!

• جلسات الصحاب:

وفى تلك المرحلة تتابعت لقاءات الصحاب فى جلسات الاستماع الموسيقى صباح يوم الجمعة من كل أسبوع، وخاصة بعد أن تيسر لنا الحصول على أدوات الاستماع الحديثة، وبالذات من صنع الألمان، وذلك للوصول إلى أحسن درجات الاستماع وأفضل حالاته . . ولم تكن قد وصلتنا الاختراعات الحديثة من «ستريو» وخلافه! وكانت المكافأة المالية التى حصلت عليها من القوات المسلحة نظير التفوق فى دراسة اللغة العبرية [1] أكبر معين لتيسير شراء الجهاز الخاص بى! أما هؤلاء الصحاب فكانوا حينذاك يمثلون نخبة من فنانى الغد من تلاميذ الفنان «حسين بيكار» بكلية الفنون الجميلة، حيث تعلموا منه ونقلوا عنه ما هو أكثر من الفنون التشكيلية . . وكان فيهم مثلاً ممدوح عمار الذى وصل بمرور الأيام إلى منصب رئيس قسم التصوير بالكلية، وكان مولعًا بالسيمفونية الخيالية لبرليوز، وحسين دسوقى الذى كان يفضل ستراڤنسكى، ثم الفنان والبطل الرياضى جميل عبد المعطى الذى أعجبنى فيه - بالإضافة إلى ولعه بالأستاذ الأكبر بيتهوفن وتهيئته لأفضل الظروف لنا للاستماع فى منزله - أنه حقق إلى جانب ذلك مهارة فائقة فى لعبة السيف بعد أن لقنته مبادئ ألعاب الشيش،



عن مجلة الاذاعة مع أولى المقتنيات الموسيقية (١٩٥٥).
◄ المحرر: فوزى سليمان

---

(١) لغة الضاد: (جريدة الأهرام: ٦/ ١٢/ ١٩٥٢)

قرأت فى الأهرام يوم الخميس الماضى كلمة بعنوان «لغة الضاد» يريد كاتبها الأستاذ عسر أن نسمى الشعوب العربية «بالناطقة بالعين أو القاف» بدلاً من الضاد! ورأيى أننا لو فعلنا ذلك لأصبحت إسرائيل حقيقة شعبًا من الشعوب العربية؛ فإنى لا أخطئ إذا قلت أن حرف العين من أهم حروف اللغة العبرية كما يتضح من اسم اللغة «عفريت» وكذلك حرف القاف الذى ورد فى هذه اللغة أيضًا . .

لذلك أرجو الأستاذ عسر ألاَّ يحيد عما نشأ عليه، ولا يزال يقرؤه من عبارة «الشعوب الناطقة بالضاد».

(يوزباشى صالح عبدون)

وأعطيته النموذج بحصولى على ميدالية برونزية فى بطولات مصر لسيف المبارزة فى عام ١٩٤٧[١]، ثم توقفت، بينما واصل هو رحلة الصعود إلى الكأس[٢].

ومن طرائف اللقاءات مع هؤلاء الصحاب أن البوهيميين منهم تحايلوا فى إحدى الليالى على رفيق السهرة «نديم عبد المعطى» وحصلوا منه على مبلغ خمسة جنيهات - كانت لها قيمتها آنذاك - حين أوهموه بأنها تمثل تكاليف الاستماع لأول مرة إلى السيمفونية التاسعة لبيتهوفن، فى إطار حفلات الموسم الإيطالى لعام ١٩٥٥ بدار الأوبرا، بينما كنا قد وجدنا طريقنا إلى مقصورة رجال الإطفاء بالطابق العلوى دون مقابل مجاملة من جانب مدير المسرح الفنان شكرى راغب!

وسعينا بعد ذلك إلى فرص أكثر لمشاهدة العروض الأوپرالية بعد أن يسر ذلك لنا الانتماء إلى القسم الإيطالى بالمدرسة الجديدة للألسن[٣] فى عامى ١٩٥٤، ١٩٥٥!

.. وفى جو الاستماع الخلاب، لم تخل لقاءاتنا من الخواطر والتأملات، وخاصة فى أعقاب الاستغراق الكامل فيما وجد طريقه إلى أعماقنا من موسيقى أخاذة، والبقاء تحت تأثير ذلك طوال لحظات من الصمت، لا يبدو الفواق منها سهلا يسيرا .. ونتأمل البدايات التى وصلت بنا إلى هذه الآفاق من السعادة والراحة النفسية والأمل فى المزيد من فرص التمتع بحياتنا .. ونعود إلى روائع الموسيقار محمد عبد الوهاب التى هيأتنا وأمدتنا بالزاد فى رحلتنا هذه، مما دفعنا إلى البحث عن المنابع التى نهل منها فى مشوار إبداعه الفريد، عندما حقق التزواج بين أرفع ما تحظى به موسيقانا العربية وأبدع ما تيسر له الاستماع إليه من موسيقى عالمية!

.. وقادنا البحث إلى ترقب الصدف والمناسبات، سواء فى حفل طارئ على المستوى العام أو لقاء لهواة الاستماع، أو ما جاء فى سياق المعروض من الأفلام السينمائية القصيرة أو الطويلة .. ومن وراء كل ذلك القراءة والاطلاع، والسعى إلى المزيد من المعرفة والتجربة، وحتى التوقف أمام ما أثاره غيرنا من قضايا موسيقية نبيلة وما وراءها من تجارب جميلة!

---

(١) فى العدد الثانى من مجلة الكلية الحربية الصادرة فى عام ١٩٤٤ نجد فى الحديث عن فريق السلاح، أنه فاز بالمرتبة الأولى فى كؤوس طاهر باشا، متفوقًا على كليات البوليس الملكية والهندسة والزراعة (جامعة فؤاد الأول) ثم كأس الملك فاروق على مستوى الجامعة (.. وبذل الطلبة صالح عبدون وحسن بدران مجهودًا يستحق الثناء .. إلخ).

وكانت المكافأة هى شريط أحمر على الذراع، سرعان ما لحق به الشريط الثانى، مما أتاح لنا التمتع بامتيازات طبقية مشروعة ولها طقوسها فى عالم الجندية - وبعد التخرج، كان الإنعام بوسام «الذكر الحسن» فى أعقاب الفوز بالميدالية البرونزية على مستوى الدولة فى لعبة سيف المبارزة (إيبه).

(٢) احتفظ به بطلاً لمصر فى لعبة السيف طوال سنوات عديدة حتى اعتزاله فى عام ١٩٧٤، كما أحرز الميدالية البرونزية (ثالث العالم) فى بطولة العالم ببيروت فى الستينيات.

(٣) أسسها د. مراد كامل واتخذ لها مقرًا بأحد القصور القديمة فى حى جاردن سيتى؛ ثم انتقلت إلى شارع هارون بالدقى قبل أن تستقر فى الحرم الجامعى. ومما بقى لنا من أجمل ذكرياتها، الفوز بمنحة الدراسة الصيفية بجامعة پيرودچا، لولا تعذر السفر لاعتبارات شخصية!

. . ونذكر هنا على سبيل المثال، حول حرفة صناعة الجمال فى الفن الموسيقى، عند صبه فى قالب «الكونشيرتو» كنموذج رائع لأشهر المؤلفات فى التراث العالمى، وكان أقربها إلينا موضوعًا: فريدريك شوپان، الذى شهدنا فيلما سينمائيا [1] عن حياته وموسيقاه فى عام ١٩٤٥، حيث تكاملت بعده متعة المشاهدة والاستماع مع شيء من المعرفة، بعد قراءة كتيب لمحته حينذاك فى نافذة إحدى المكتبات الأجنبية المجاورة لدار العرض، وأتبعته بآخر[2] أكثر شمولاً وتثقيفًا!

فلقد قيل عنه إنه شاعر الموسيقى، وهى حقيقة لا ينكرها صاحب حس مرهف ومشاعر رقيقة وعواطف جياشة، وخيال خصب، وخاصة حين يستسلم مثلاً إلى الاستماع المركز لقصيدته: بالاد رقم ١ . . ونضيف هنا إلى ما يقال، بأنه الناثر للدرر التى اتخذ لها من سطور الكتابة الموسيقية خيوطًا نظمها فيها . . وهو صاحب الشعر الغنائى المرسل بين ثنايا أعماله من نوع «المسائيات» مثلاً حتى بدت كجدول صاف، مجهول المنبع والمصب، تكاد تتوارى فى ألحانه البدايات والنهايات، وذلك فى إبهام هو أقرب إلى الرؤى والأحلام . . أو تنساب مياهه فى هدوء، تتحسس مجراها الصغير تحت شجيرات الورد والياسمين، تبلل أوراقها الندية بقطرات بللورية، حتى إذا كثرت وتكاثرت الدرر وفاضت على صفحات موسيقاه الجامعة لسائر الآلات الأوركسترالية[3] فى مؤلفاته من نوع: الكونشيرتو، عندما تغنت بها آلة البيانو فى سياق النسيج الأوركسترالى الكبير، ولمعت فى سيادة واضحة، بينما القاعدة والمبدأ هما المواجهة المتكافئة بين القوتين بالتساوى، قال فقهاء العلم الموسيقى، إن «الفقنّس» ذا الأصابع البيضاء والسوداء [4]، تجاوز مقتضيات البناء فى هذا النوع من المؤلفات، عندما طغى بمفرده على العشرات من ذوات الأوتار والخشب والنحاسيات . . وقال آخرون إنه زادها حسنًا وبهاءً، وأفاض على أعماله بوجه عام من نفحات العبقرية ما أدخله التاريخ من أوسع أبوابه فى صفوف الأساطين والمصلحين من أكبر رموز الرومانتيكية!

. . وعدنا إلى النظر والمراجعة لمبررات النقد، لنجد أن المؤلف قد أسبغ فعلاً الشاعرية الرقيقة على جو المجموعة الأوركسترالية الكبيرة، حتى أضعف لهجة المنافسة والندية وبدت المباراة بينها وبين آلة البيانو وكأنها مجرد مصاحبة وحوار وملاطفة، بدلاً عن المواجهة الحامية والمتوازنة بين القوتين! وقبل أن نقول كلمتنا فى ذلك عادت إلى الذاكرة كلمات قرأناها عن أحد الصالحين وكيف أنه رغم ما اقترف بات مغفوراً له!

وجاء بعد هذه القضية نقيضها، عندما قيل إن «برامس» فى رائعته من نفس النوع من المؤلفات قد ظلم آلة الڤيولينة، حين اقتحم عالمها الشعرى بوحشية، وأغرقها فى خضم السياق السيمفونى المائج بتيارات البناء الأوركسترالى العملاق، كما هو مألوف فى أعماله الضخمة، كسيمفونياته الأربعة، والتى كتب أولاها ولا يزال وقع أقدام بيتهوفن الثقيلة من خلفه يملأ سمعه!

---

(١) فيلم: أغنية للذكرى A Song To Remember

(٢) شوپان أو الشاعر: تأليف: جى دى پورتاليس.

(٣) مدونة قائد الأوركسترا.

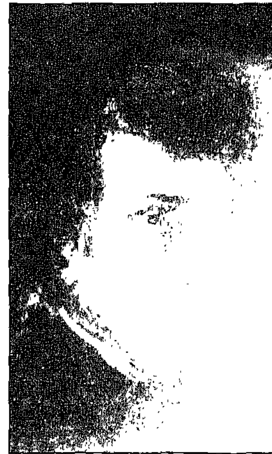
(٤) آلة البيانو، بلغة مجمع اللغة العربية، كما علمنا فى الخمسينيات من شيخ الموسيقى العربية المخضرم: إبراهيم شفيق، حيث شبَّه بطير ذى ريش كثيف متعدد الألوان!

فمع معاودة الاستماع إلى «الكونشيرتو» المشهور، يبدو المبدع الفذ وقد نفخ أيضًا فى هذه الآلة شحنة خلاّقة ونفسًا طويلاً، وأكسبها قوة طاغية هيأتها لدور مرموق فى المواجهة حتى اقتحمت بدورها ـ وبقسوة ـ جحافل المجموعات الأوركسترالية وأجهدتها فى ملاحقتها لها، وبصورة بالغة الوضوح قرب انتهاء الحركة الأولى بوجه خاص، ولا سيّما عندما صالت وجالت فى استعراض حافل لقدراتها الفنية فى الجزء المعروف بالقفل «كادنزا» . . وحتى تركت فى النهاية لآلة «الأوبوا» الحزينة مهمة الحوار والتعاطف مع فرقة الأوركسترا فى مستهل الحركة الثانية، بينما استعادت هى هدوءها الشاعرى ورقتّها الحالمة، ثم تأهبت لمواجهة جديدة فى الحركة الثالثة والأخيرة، والتى تستهلها فى تحفز للمبادأة وطوال جولة يسودها التوازن الكامل بين القوتين، وحتى الانتهاء من إقامة الصرح المتحفى الكبير فى قمة من قمم «برامس» السامقة!

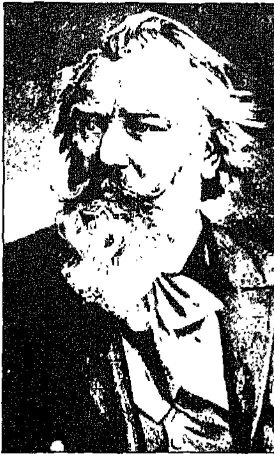
. . وفى سبيل المزيد من وضوح الروية والاقتناع بما انتهينا إليه من رؤية ومفاهيم حول هذه القضايا ومثيلاتها قفلنا باب المناقشة، وطلبنا الحكمة وفصل الخطاب شأن كل مستمع حصيف إلى أروع النماذج لدى أستاذ الأساتذة: بيتهوفن، وبوجه خاص إلى سيد الأقمار الخمسة وخاتمها فى سلسلة مؤلفاته من نوع «الكونشيرتو» للبيانو، حيث تجتمع بكل التوازن عذوبة الشعر مع قوة الدراما وروعة الإبداع فى أكمل صور الندية بين بطلى المباراة! فلقد استهل الجانبان معا: الأوركسترا وآلة البيانو، العمل الفنى بنغمات ممتدة مرقومة الإيقاع فى الضربات الأولى، وذلك فى تكامل مشوق ينذر بموقف كبير، سرعان ما بدا فى انتفاضة جياشة من مجموع الأوركسترا، وكأنها إفاقة الحاشية مع مفاجأة الظهور للإمبراطور يجرر أذيال عباءته . . أو الجيش بعدته وعتاده، يخطو خطواته الأولى فى مسيرة النصر! . . وقد قيل إنه كان بين رواد الحفل الموسيقى عند تقديم هذا العمل الفنى لأول مرة، ضابط لم يتمالك مشاعره فور الاستماع إلى هذه الانتفاضة، فهب واقفًا فى القاعة وصاح: الإمبراطور! ومن ذلك اكتسب «الكونشيرتو» اسم الشهرة!

. . وتتوالى مواقف الإثارة وقمم المهارة فى استعراض كل جانب لقدراته فى إطار من الدراما الشاعرية، مع روعة الإخراج للأدوار الفردية والجماعية أو العازف السوليست والأوركسترا، ومن وراء ذلك كل العظمة فى روعة الإبداع!


بيتهوفن


شوبان
(بريشة صديقه دلاكروا)


ليست


برامس

• الجمعية المصرية لهواة الموسيقى:

وكانت هذه الجمعية تعتبر من العلامات البارزة فى حياتنا الموسيقية، عندما اتخذت لنفسها من الاتجاهات الفنية، ترجمة الأغانى الأوپرالية إلى اللغة العربية، مستعينة فى أدائها بأكثر الأصوات ملاءمة لذلك مثل الفنانة كارمن زكى من الأصوات النسائية . . وهذا بالإضافة إلى رسالة لها أهميتها العامة، اضطلعت بها من سيدات الجمعية بهيجة صدقى رشيد؛ وهى جمع تراثنا من الأغانى الشعبية - وكانت الجمعية تضم مع رئيسها رجل العلم وأحد أبرز الجامعيين د. على مصطفى مشرفة باشا [(١)] ومن مؤلفى الموسيقى: حسن رشيد ويوسف جريس ومعه من الأسرة لويس وماتيلدة، العضوة البارزة فى التنظيمات النسائية أسوة بزميلتها الاجتماعية النشيطة أستاذة الموسيقى بثينة فريد . . ثم المؤلف أبو بكر خيرت وصديقه رشاد بدران، والشاعر كامل كيلانى!

وفى أوائل الستينيات، شهدنا تطويراً لفكرة الترجمة، عندما قام المهندس إبراهيم رفعت من جامعة الأسكندرية بنقل أوپرا «لاتراڤياتا» إلى العربية، مع رفيقة التجربة منار أبو هيف التى قامت بالتبادل مع غيرها، بدور البطولة على مسرح الأوپرا!

• جماعة نشر الثقافة الموسيقية:

. . وكانت هذه الجماعة قد اتخذت مقراً لها فى شارع طلعت حرب، واستمعنا فى بعض حفلاتها الطارئة إلى أكثر من عازف زائر، نذكر منهم أستاذ وعازف البيانو الإيطالى «جوارينو» مدير كونسيرڤتوار الإسكندرية، يصاحبة الألمانى «يوهانس زنكر» المتزوج بمصرية (أرمنية) التقى بها عند حضوره إلى مصر فى عام ١٩٥١، ضمن أعضاء فيلهارمونية برلين بقيادة أستاذهم الشهير «فورتڤنجلر» ثم انتقل إلى أوركسترا «بامبرج» بألمانيا، ومنه جاء إلى مصر رائداً لأوركسترا القاهرة السيمفونى فى سنواته الأولى! ومن ذكرياتنا عن هذا الحفل مع الجماعة كان الاستماع لأول مرة إلى ثنائى «سيزار فرانك» المعروف لآلتى الڤيولينة والبيانو (فى مقام لا الكبير) بما فيه من حوار

---

(١) أستاذ بكلية العلوم بعد أن شارك فى إنشائها فى عام ١٩٢٥، ثم عميداً لها ليكون أول عميد مصرى فى الجامعة المصرية (١٨٩٨ - ١٩٥٠) وفى الذكرى المئوية لمولده، أتاحت لنا صفحة الأدب بالأهرام (١٠/ ٧/ ١٩٩٨) الإضافة إلى ما نعرفه عن اهتماماته وذلك فى قصيدة كان قد نظمها عن موسيقى «مندلسون» نقلا عن الألمانى: هينريش هاينه - وفيها يقول:

بجناح من الأغانى ... كبراق يطوى الآفاق
سأقودك نحو الأمانى ... وأحلُّك أرض الأشواق
أرض أفنانها حاكت ... فى الحسن جنات رضوان
أغصانها لك قد تاقت ... إذ أنت والزهر صنوان
فى ليلة بدر سناها ... بالطَّل قد أسكر البان
ناشراً عطر شذاها ... من بين نور وريحان
همس النرجس فيها ... وأسرَّ للورد نجواه
وانثنت الغزلان تيهاً ... إذ بثها النهرِ شكواه
فى ظل النخل المترامى ... من فوق الزهر البسام
فلنرقد فى صمت سامى ... فى خلد من الأحلام

شجى ورقص مقدس بين الآلتين فى صيغة «الاتباع» كما يسميها د. محمود الحفنى فى ترجمته للكلمة الإنجليزية: Canon . . (بعد عشرين عامًا تقريبًا رأينا «جوارينو» عميدًا لمعهد كونسيرفتوار «پارما» موطن الفنان الكبير ڤيردى) . . وفى مناسبة أخرى فى حفلات الجماعة كان «جوارينو» مشاركًا للأرمنى المصرى: زاڤن خاتشادوريان (هاجر من الإسكندرية وشغل فيما بعد منصب عميد الكونسيرڤتوار فى إحدى مدن ولاية نيويورك) وذلك فى ثنائى لآلتى بيانو.

. . وحين نذكر جوارينو والإسكندرية، لابد لنا من استحضار ذكريات الأمسيات الموسيقية الرائعة فى أواخر الأربعينيات بمحلات «أتينيوس» و«راپاس» . . وكان معظم عازفيها من بقايا المرحلة الزاهرة فى المجتمع السكندرى القديم، مع أوركسترا الإسكندرية السيمفونى بقيادة «بونومى» فى الثلاثينيات بحديقة فندق «سان ستيفانو» ومن بعده «هوتيل» التشيكى مؤسس أوركسترا الإذاعة عقب إنشائها بالقاهرة، وفى برامج حفلاته قرأنا اسم «بيرجرين» كمؤلف لسيريناده مصرية . . وهو صاحب المعهد الذى كان معروفًا باسمه، وذكره الموسيقار محمد عبد الوهاب بين مصادر دراسته وعلاقاته مع الموسيقى العالمية!

- **ندوة الفن:**

وفى نظرة بانورامية للحقل الموسيقى فى آخر صوره ومحصلة الجهود فيه فى منتصف الخمسينيات، نجد مثلاً اللجنة الموسيقية العليا فى نشاطها غير المألوف، وقد بدت كهيئة شبه حكومية تدعو لرسالة لها أهميتها فى مرحلة التحول الكبرى . . ثم ظهور المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بطموحاته ومجالات اهتمامه وارشاداته . . وإنشاء أوركسترا الإذاعة تحت شعار «سيمفونى» بدلاً عن كلمتى: فرقة الإذاعة! ورأينا مصلحة الفنون الجديدة بوزارة الإرشاد القومى، وقد تحركت للالتحام بالجماهير فى لقاءات أسبوعية للاستماع الموسيقى تحت شعار «ندوة الفن» التى كان وراءها المهندس محمود النحاس المنقول حديثًا إلى المصلحة كى تسند إليه فيما بعد مسئولية مدير دار الأوبرا، مما عزز ضمانات النجاح للندوة، مساندًا لجهود الدكتور حسين فوزى وكيل الوزارة ومشاركًا فى تحقيق آماله! . .

وقد شاركتُ حينذاك متطوعًا فى كل مجهود له علاقة برسالة المجلس الأعلى ولجنة الموسيقى به، فتوليت الإشراف على تنفيذ برامج الندوة . . وتقديمها بقاعة مدرسة «الليسيه الفرنسية» إلى جانب عملى الوظيفى الرسمى! وكان د. حسين فوزى قد استهل لقاءاتها بحفل أقيم بقاعة «إيوارت» التذكارية بالجامعة الأمريكية، وقدم فيه أوركسترا الإذاعة السيمفونى الجديد لجمهور الرواد، مبتدئًا بالتعريف بآلات ومجموعات العزف، ثم تولى القائد النمسوى «فرانتس ليتشاور» معلم الأوركسترا قيادة الحفل الأول فى الثامن من فبراير عام ١٩٥٧!

وتوالت بعد ذلك اللقاءات التى شاركنا فى تقديم برامجها بكل الحماس الذى أثاره الإقبال الجماهيرى على الموسيقى السيمفونية فى أول تجربة من نوعها، حتى ضاقت القاعة بالرواد من الطلبة والشباب وكبار السن، ومن بينهم أحيانا الأجانب المقيمون، الأمر الذى اتضح منه كل الاطمئنان إلى تطلع المواطنين إلى الفن الجيد، والجديد من ألوان الموسيقى الجادة . . وكانت الإذاعة بدورها تقوم بخدمات الحفلات تحت الإشراف المباشر للمهندس المستنير طه نصر الذى لم يتوان فى تقديم معاونته لإنجاح هذه اللقاءات فى أفضل ظروف الاستماع!

هذا وقد جرت اللقاءات على الوجه التالى فى أولى مراحلها :

* أفلام موسيقية للأوركسترات العالمية فى عزف لمختارات من الموسيقى الراقية الشائعة، مثل افتتاحية ڤيردى : قوة القدر، والكرنڤال الرومانى لبرليوز، وكذا الفيلم التسجيلى للتعريف بآلات ومجموعات الأوركسترا من تقديم القائد الإنجليزى : السير مالكولم سارچنت . . وآخر عن «فيلهارمونية برلين» بقيادة الألمانى المخضرم : فورتڤنجلر، حين ظهر الأوركسترا فى الهواء الطلق وسط الأنقاض فى قاعته التى دمرتها قنابل الحرب العالمية الثانية!

* أفلام سينمائية عن مشاهير عازفى البيانو مثل المؤلف : پادريڤسكى، الذى تولى فى يوم ما رئاسة الوزارة فى بلده پولندا وآخر عن حياة «شوپان» قدمه حسين أمين!

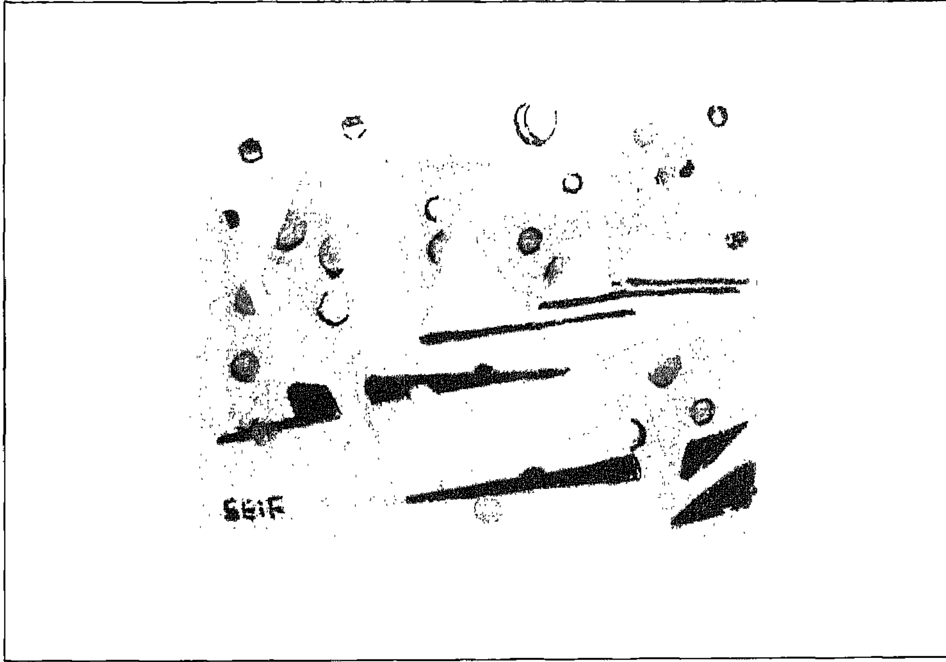
* محاضرة مصحوبة بالاستماع إلى التسجيلات الموسيقية عن بدايات الموسيقى المتطورة، ونماذج من أعمال الرواد مثل باخ وهيندل ـ تقديم د. أحمد حمدى محمود!

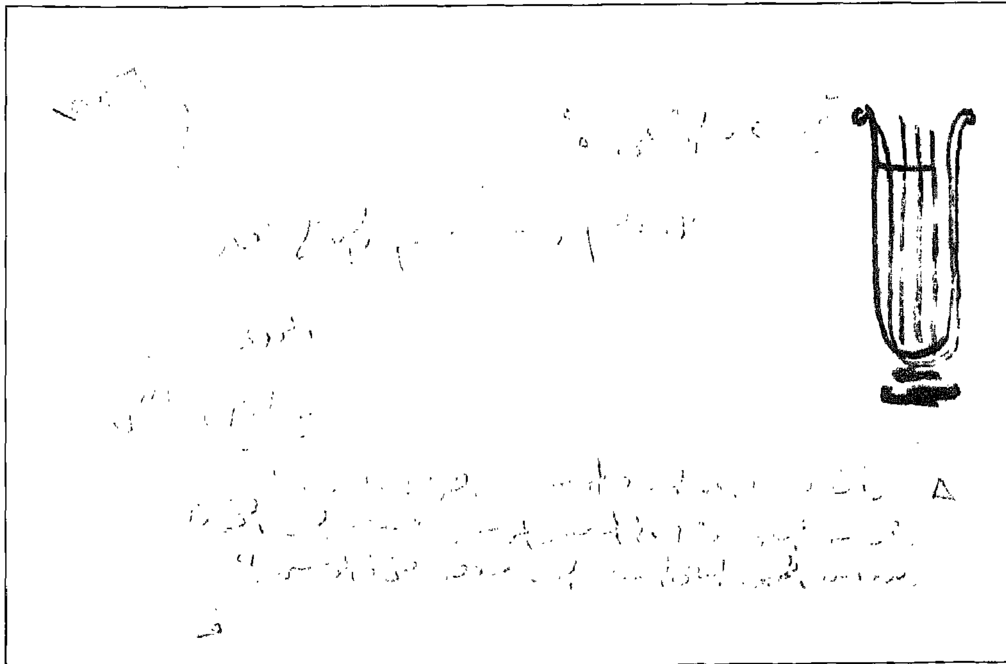
* محاضرة لشرح «صيغة السوناتا» فى البناء الموسيقى السيمفونى، مع العزف على البيانو لبعض النماذج من أعمال : سكالارتى وموزار وهايدن وبيتهوفن ـ تقديم د. سمحة الخولى!

* حفلات عزف بيانو «ريسيتال» قام بتقديمها :

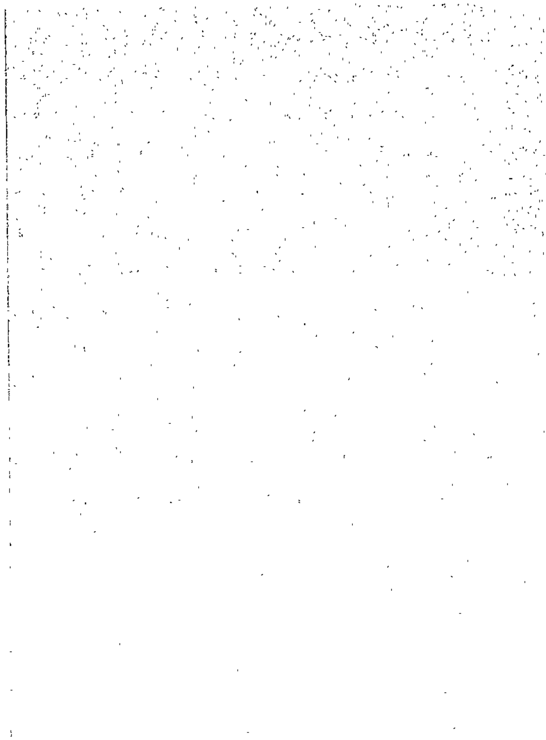
زاڤن خاتشادوريان من الإسكندرية ـ هرنادى من المجر . . پيرتيكارولى من إيطاليا . . بريندل من النمسا ـ بوكوف من بلغاريا ـ پلوتينيكوف من بقايا الروس البيض بالإسكندرية وحظى بشهرة واسعة فى الثلاثينيات كعازف (سوليست) فى حفلات أوركسترا الإسكندرية السيمفونى، وعازفة الڤيولينة اليونانية إيرين دراكيديس من الأسكندرية أيضًا واشتهرت فى الثلاثينيات بمعهدين لتعليم العزف بالقاهرة والإسكندرية تحت رعاية سفير بلچيكا، حيث تلقت دراساتها بمعهد كونسيرڤتوار : بروكسل، وحفل للرباعى الوترى «نوڤاك» من تشيكوسلوفاكيا!

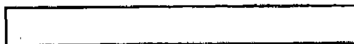






كتاب الثقافة الموسيقية وانطباعات الفنان سيف وانلى.





البــاب الثــانى

إنجـــــــازات



الفصـــل الأول

تـخـــطـيـــــط

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب:

جاء إنشاء هذا المجلس فى عام ١٩٥٦ وسط جو عام من الآمال والتطلعات الكبرى والشعارات الجديدة، كأن يقول مثلاً جمال عبد الناصر: إن ثورتنا بكل وجوهها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، يجب أن تؤدى بنا إلى ثورة فكرية تجعلنا أقدر على كشف المزيد من نواحى الخير والمحبة والجمال.. وعلى المشاركة فى تنمية الحضارة! وكان أن بدا المجلس الجديد وكأنه تطبيق عملى لبيان رسمى صريح من الدولة لتحديد سياستها وتوجهاتها فى بناء المواطن القادر على البحث عن الأفضل والأمثل فى نفسه ووطنه.. ووضحت بذلك الرؤية، وبرزت المعالم فى طريق المتطلعين إلى الأهداف الكبرى، وخاصة من ذوى التجارب والمبادرات والجهود، ولمن طال انتظارهم لمثل هذا النداء من جانب السلطات التى تتبنى آمالهم وطموحاتهم بكل الجدية والوعى والمسئولية.



▶ الأديب يوسف السباعى

وفى هذا الجو المشجع تهيأ لنا الانتقال الهادئ من صور الهوايات والتطلعات الفردية الخاصة إلى واجبات الرسالة العامة، فحملت نسخة من خلاصة التجربة التى تضمها صفحات كتابى «الثقافة الموسيقية» إلى أستاذنا فى الجندية الأديب يوسف السباعى، الأمين العام للمجلس الجديد! وبدأت عملى معه فى الحياة المدنية بالجهاز الفنى فى ديوان عام المجلس، أمينًا للجنة الموسيقى، ثم أمينًا لشعبة الفنون التى تضم لجان المسرح والموسيقى والسينما والفنون التشكيلية والعمارة، ولكل منها مقررها!

وكان نظام العمل يقضى بأن يلتقى الحكماء من مقررى اللجان فى جلسات المجلس الأعلى، ومن ورائهم «برلمانات صغيرة» تقوم على التحضير لها من أهل الاختصاص أمثال: عبد الرحمن الشرقاوى، ورشدى صالح،

وأنيس منصور، ويوسف الشاروني، ود. جمال محرز، وعبد الكريم أحمد، وعبد العاطي جلال، وحمدى غيث وغيرهم . . وكان أحمد مظهر وشفيق أبو عوف مساعدين للأمين العام . . ولقد كان من الطبيعى ألا يخلو هذا الجو الحكومى الجديد من النوادر غير المألوفة، نذكر منها ما حدث فى فترة متأخرة، حين جاء الممثل الظريف صبرى عبد العزيز أمينًا للجنة المسرح، مع مقررها توفيق الحكيم، وكانت له النوادر معه! وكان الكاتب الكبير قد عين عضواً متفرغًا بالمجلس بدرجة وكيل وزارة مثل يوسف السباعى، وذلك بأمر مباشر من جمال عبد الناصر، كما قيل، بعد أن قرأ له «عودة الروح» . . وذلك بعد محاولة لإحالته إلى المعاش بدار الكتب، كموظف غير منتج !! ففى أحد الأيام أعد صبرى عبد العزيز جدول الأعمال لجلسة قادمة للجنة المسرح بالمجلس، وذهب لعرضه على المقرر، الذى اعتاد الجلوس بمفرده فى حديقة المجلس، لا يقرأ ولا يكتب! وهنا ثار توفيق الحكيم قائلاً: يا أخى تعالى لما تشوفنى فاضى! فقال له صبرى: أنا شايف سيادتك الآن فاضى !! فانفجر فيه قائلا: يا أخى أنا بفكر!

. . ومن الطريف أن جاء لقائى الأول بالمجلس مع يوسف السباعى فى ظروف حوار صحفى ساخن بينه وبين الكاتب محمد محبوب على صفحات جريدة «الجمهورية» حين رأى الأخير أن ما جاء فى كتابى عن الموسيقى يعتبر مرجعا يعتد به فى دعم رأيه حول قيمة البناء العلمى للأعمال الموسيقية الكبرى، وذلك على أثر تقديم تجربة جديدة من المسرح الغنائى العربى بدار الأوبرا، قام بتأليفها فى الإطار العالمى المؤلف الموسيقى «كامل الرمالى» . . وبدت حينذاك فى صورة غير مألوفة لدى الكثيرين، ولم تلق قبولاً لدى يوسف السباعى الذى قال بأسلوبه الظريف المعهود، إنه لا يهتم بطريقة الإعداد وخلفياته قدر اهتمامه بالنتيجة النهائية، كأن يتلذذ مثلاً بأكل دجاجة شهية على المائدة، ولا يهمه بعد ذلك أن يعرف شيئا عن طريقة طهيها فى المطبخ!

ونضيف إلى ذلك موقفًا شخصيًا بينى وبينه ربما ظل عالقًا فى ذاكرته رغم مرور السنوات! ففى يوم ما فى أثناء حصة التاريخ العسكرى بالكلية الحربية طلب منى أن أقول شيئًا عن موقعة « ووترلو» التى هزم فيها نابليون . . وكنا للتو عائدين من طابور ركوب الخيل المهلك . . ومن شدة التعب وفرط الجوع، التهمنا وجبة الإفطار بما فيها من عدس وحلاوة طحينية فى توليفة تفوق صلابة الخرسانة المسلحة فى قفل أبواب المخ! فتحدثت بكلام فهم منه أنى على وشك الشطط عن الموضوع، فقال: أرى أنك تنتقل بنا إلى الأدب والشعر ولعلك تقول إن القائد المنتصر أخذته النشوة واستخف به الطرب وكذا وكذا . . وضحك زملائى مما زاد فى حرجى، فلم أتقبل الدعابة فى رفض واضح! ومرت الأيام وجمعنا طابور السير الليلى فى صحراء «ألماظة» التى أصبحت الآن من الأحياء السكنية . . وخلال فترة الراحة، افترشنا الأرض وتسامرنا، فعدت إلى الموقف السابق محاولاً الاعتذار، فقلت: والله يا حضرة اليوزباشى لقد أخذتَ وقتًا طويلاً من تفكيرى . . وقبل أن استطرد، ضحك وقال: الله الله إيه ده . . إنت بتتكلم كده فى ضوء القمر بالصحراء والنجوم ساطعة، وكأنك بتحبنى، وبتقول كلام غرامى . . وضحكنا! وهكذا بعد سنوات تتكرر بوادر أزمة بيننا فى الحياة المدنية، حين زج باسمى فى معركة صحفية معه، لذا فقد استعنت فى المواجهة الجديدة بيننا بالمجلس برفقة صديقه الرجل الصالح «الحاج عبده» أو الأميرالاى عبد الرحمن أمين [1] المشهور بأنه كان كابتن مدرسة فؤاد الأول بالعباسية فى كرة القدم فى

---

(١) كان رئيسًا لاتحاد القوات المسلحة للألعاب الرياضية، وكنت المعاون له لشئون الاتصالات الخارجية، وخاصة عند تبادل المراسلات لانعقاد المجلس الدولى للرياضة العسكرية عقب إنشائه والذى انتخب وكيلاً له ـ ثم توليت تنظيم البطولة الدولية العسكرية للشيش بالقاهرة فى عام ١٩٥٥، باعتبارى من اللاعبين السابقين .

أيام مجدها فى الثلاثينيات! وقدمت إليه ، كتابى عن الموسيقى ، كعربون محبة وصداقة . . واطمأن لمؤهلاتى غير العسكرية ، وبدأنا العمل معًا بالمجلس بكل ألوان الثقة المتبادلة!

ولكن لم يفته فى هذا اللقاء الأول بالمجلس ، أن يداعبنى بأسلوبه القصصى وقد رأى أمامه شابًا يافعًا يحال إلى المعاش بالقوات المسلحة وهو فى مثل هذه السن المبكرة فقال لى : والآن حتى يحين موعد استلامك العمل بالمجلس الأعلى فى الشهر القادم ، عليك أن تقضى وقتك فى مقهى أرباب المعاشات الحكومية بحى المالية (ميدان لاظوغلى) مرتديًا الطربوش الأحمر وقد تدلت من الجانبين «مقاصيص» طويلة ، وتلعب الطاولة وفى فمك مبسم الشيشة ، ولكن لا تلاحق المارة من السيدات بنظراتك!

وأذكر من مواقفه الإنسانية خلال مرحلة العمل معه بالمجلس ، غضبته الشديدة وانفعاله ، عندما علم أننا بعد الانصراف من اليوم المرهق فى العمل خارج المجلس مع أعضاء مؤتمراته من الضيوف العرب والإفريقيين والآسيويين ، كنا نعود مساء إلى منازلنا دون تناول طعام العشاء معهم بالفندق . . وأمر باللازم وعنف المسئولين!

وفى يوم ما من أوائل عام ١٩٥٩ ، عندما استبد بى الإرهاق من العمل والتنقل بين المجلس وما فيه من أنشطة خاصة بالمؤتمر الإفريقى الآسيوى للشباب ، حينما كنت مقررًا للجنة الفنون فيه [1] ، ووزارة الثقافة الحديثة عندما تولاها الوزير ثروت عكاشة واستعان بى فى بعض أعمالها ، اضطررت لملازمة الفراش بسبب المرض . . وفى نفس اليوم جاءتنى الخادمة فى غرفة النوم لإعلان وصول زائر قال إن اسمه : يوسف السباعى!

أما الذى لا ينسى فى الحقيقة من إبداعات يوسف السباعى فى تلك الفترة ـ بالإضافة إلى إنتاجه الأدبى الغزير ، فهو فيلم «رد قلبى» الذى سجل فى تلك الأيام أكبر إسهام لفن السينما فى مسيرة ثورة ٢٣ يوليو الجديدة ، صوب أهدافها الوطنية والإنسانية المعلنة . .



ورافقنا وفود المؤتمر الأول لتضامن الشعوب الإفريقية والأسيوية إلى قصر عابدين لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر ، الداعى إلى المؤتمر.

(١) شاركنا فى العام السابق فى تنظيم المؤتمر الأول للتضامن العربى مع الشعوب الإفريقية والآسيوية (١٩٥٨) .

أعضاء لجان مجلس الفنون والآداب

لجنة المسرح

مقرر اللجنة : السيد الأستاذ توفيق الحكيم
اعضاء اللجنـــة :

١ ـ السيد الأستاذ مدير الفرقة المصرية
٢ ـ » » زكي طليمـــات
٣ ـ » » عبد الرحمن صدقي
٤ ـ » » محمـــد الشريف
٥ ـ » » محمـــد حسن
٦ ـ » الدكتور محمـــد مندور
٧ ـ » الأستاذ محمـــود تيمور

لجنة الاتصال العـــام

مقرر اللجنة : السيد الأستاذ يحيى حقي
اعضاء اللجنـــة :

١ ـ السيد الأستاذ نقيب الصحفيين
٢ ـ » » مدير الاذاعـة
٣ ـ » » مدير السياحة
٤ ـ » » احمد الصاوي محمد
٥ ـ » » أنور أحمـــد
٦ ـ » » نكري أباظة
٧ ـ » » محمد التابعي
٨ ـ » الدكتور محمد مصطفى

لجنة الموسيقى

مقرر اللجنة : السيد الدكتور حسين فوزي
السســكرتير : السيد الصاغ صالح عبدون
اعضاء اللجنـــة :

١ ـ السيد الأستاذ ابو بكر خيرت
٢ ـ الدكتور سامحة الخـولي
٣ ـ البكباشي محمد شفيق ابو عوف
٤ ـ الدكتور محمود احمد الحفني

لجنة الشـــعر

مقرر اللجنة : السيد الأستاذ عباس محمود العقاد
اعضاء اللجنـــة :

١ ـ السيد الأستاذ زكي نجيب محمود
٢ ـ » » عبد الرحمن صدقي
٣ ـ » » عزيز أباظة
٤ ـ » » علي أحمد باكثير
٥ ـ » » كامل الشناوي
٦ ـ » » محمود عمـــاد

لجنـــة الفنـــون التشكيلية والتطبيقية والزخرفية

مقرر اللجنة : السيد الأستاذ محمود سعيد
اعضاء اللجنـــة :

١ ـ السيد الأستاذ احمـــد يوسف
٢ ـ » » حامد ســعيد
٣ ـ » » رمسيس ويصا واصف
٤ ـ » » صدقي الجبخانجي
٥ ـ » » صـــلاح طاهر
٦ ـ » » عبد السلام الشريف
٧ ـ » » عبد القادر رزق

لجنـــة النشر

مقرر اللجنة : السيد الدكتور محمد مهدي علام
اعضاء اللجنـــة :

١ ـ السيد الأستاذ أحمد حسن الزيات
٢ ـ » » خالد محمد خالد
٣ ـ » » سعيد العريان
٤ ـ » الدكتور عبد القادر القط
٥ ـ السيد الأستاذ محمد خلف الله أحمد
٦ ـ » » محمد عبد الحليم عبد الله
٧ ـ » » نجيب محفـــوظ

لجنة آداب اللهجات الدارجة

مقرر اللجنة : السيد الدكتور حسين مؤنس
اعضاء اللجنـــة :

١ ـ الدكتورة سهير القلماوي
٢ ـ السيد الأستاذ أحمـــد رامي
٣ ـ » » بيرم التونسي
٤ ـ » الدكتور خليل عساكر
٥ ـ » » عبد الحميد يونس
٦ ـ » » عبد العزيز الأهواني
٧ ـ » الأستاذ عبد العزيز عتيق

لجنـــة الســـينما

مقرر اللجنة : السيد الأميرالاى (أ ٠ ح) يوسف السباعي
اعضاء اللجنـــة :

١ ـ السيد الأستاذ احسان عبد القدوس
٢ ـ » » احمـــد بدرخان
٣ ـ » » حسن رمزي
٤ ـ » » صلاح أبو سيف
٥ ـ » » محمـــد كريم
٦ ـ » » موسى حقي
٧ ـ » » ولي الدين سامح

لجنـــة العمـــارة

مقرر اللجنة : السيد الأستاذ محمود محمد الحكيم
اعضاء اللجنـــة :

١ ـ السيد الأستاذ حسن فتحي
٢ ـ » » علي لبيب
٣ ـ » » علي نصـــار
٤ ـ » » محمد خالد سعد الدين
٥ ـ » » محمد شريف نعمان
٦ ـ » » محمـــود رياض

لجنة الترجمة والتبادل الثقافي

مقرر اللجنة : السيد الدكتور طـه حسين
اعضاء اللجنـــة :

١ ـ السيد الأستاذ حسن محمـــود
٢ ـ » » محمـــد بدران
٣ ـ » » محمد شفيق غربال
٤ ـ » الدكتور محمد عوض محمد
٥ ـ » » يحيى الخشـــاب

اقتراحات اللجان في صفحات ١٢-١٣-٤٤-٤٥

ـ ٩ ـ

مجلة الرسالة الجديدة (العدد ٣١ ـ أكتوبر ١٩٥٦)
المدير العام: أنور السادات ـ نائب المدير العام: جلال الحمامصي
ـ مدير المجلة: يوسف السباعي

لجنة الموسيقى:

وكانت تجربتى فى المشاركة فى أعمال لجنة الموسيقى فور تكوينها، من أهم التجارب المبكرة للإلمام والإحاطة بما يدور فى حقل الموسيقى وأبعاد التحرك الممكن لما يحتاج التغيير فيه . . والهدف كان دائما النظر فى وسائل الدعم والتطوير والإضافة لما يحتاجه النشاط الموسيقى بمختلف أوجهه من مقومات حضارية، يفيد منها الدارس والفنان المثقف، والمتلقى الواعى والمجتمع المتطلع إلى الأفضل! وفى ضوء ذلك لم أضع وقتًا ولم أدخر وسعًا فى الإعداد لأولى اجتماعات اللجنة، حتى يتصف عملها بالموضوعية وعدم التكرار لما قيل وبكل السطحية فى الاجتماعات الأولى للمجلس الأعلى عند إنشائه، وقبل وضع تصور شامل لأسلوب ومجالات عمله، والبدء بتكوين لجانه التخصصية، حين اكتفى المجلس مثلا بالتوصية بأن تقوم فرق الشرطة للموسيقى النحاسية بالعزف فى الحدائق والتجمعات الجماهيرية؛ بينما كنا فى الحقيقة نستمع إليها بالفعل، وتقوم بهذا النشاط قبل أكثر من عشرين عامًا من إنشاء المجلس!

وهكذا خلال أسبوع واحد من ممارستى للعمل، كنت قد أعددت مسحًا شاملاً لما فى حياتنا الموسيقية من أنشطة تعليمية وثقافية رسمية وأهلية مما أدهش مقررها وساعد على بدء اللجنة لأعمالها بصورة إيجابية فعالة فور انعقاد اجتماعاتها واتخاذ القرارات وعرضها على المجلس.

وبفضل ما حظى به أعضاء اللجنة من العلم والتجربة وما كانوا يتحلون به من إخلاص وطموح، وما تهيأت به للمهمة بكل حماس، فقد اكتمل التوافق فى جو العمل وتحقق التكامل وتيسر التبادل لوجهات النظر بين أصحاب الرسالة الواحدة.

مقرر اللجنة:

وكان الأديب والعالم والفنان د. حسين فوزى مقرر اللجنة معروفًا بثقافاته المتشعبة ومجالات تخصصه المتنوعة - إن جاز التعبير - من طب «عيون» وعلوم البحار وأدب وهواية جادة للموسيقى عزفًا للفيولينة وكتابة عن الموسيقى السيمفونية، حين أصدر فى عام ١٩٥٠ كتيبًا عنها، يعتبر الأول من نوعه بالمكتبة العربية . . وكانت قد أتيحت له المعايشة للحياة الموسيقية المتميزة فى باريس، وظهرت تجاربه فى مجال كتابة الرواية للمسرح الغنائى المصرى منذ العشرينيات، وكانت آخر وظائفه الجامعية هى منصب عميد كلية العلوم بجامعة الإسكندرية، وتولى بعدها فى الخمسينيات منصب الوكيل الدائم لوزارة الثقافة والإرشاد القومى فى أولى مراحل التغيير لتوجهاتها الثقافية بعد أن كانت مهمتها تقتصر على الإعلام والإرشاد!

وفى هذه الوزارة أنشأ أول أوركسترا سيمفونى شبه مستديم بالإذاعة، واستقدم لتولى مسئولية تكوينه وتدريبه واستقدام العناصر اللازمة لاستكمال وتقوية مجموعاته، القائد النمساوى «فرانتس ليتشاور» صاحب التجارب والخبرات فى هذا المجال، وخاصة فيما يتعلق بالمدرسة الكلاسيكية فى تاريخ الموسيقى! وبدأ تقديم حفلات الأوركسترا الجديد بدار الأوبرا فى عام ١٩٥٧، حيث كان يقدم حفلاً صباحيًا للطلبة والشباب وآخر فى المساء للجمهور، مرة واحدة كل أسبوع!

وعن تكوين فرقة الغناء الجماعى (الكورال) بدار الأوبرا، روى د. حسين فوزى كيف أن الوزير فتحى رضوان، صاحب الشهرة فى المجالات السياسية والأدبية لم يتحمس كثيرًا للاستمرار فى تخصيص الاعتمادات المالية لإقامة الموسم التقليدى للأوبرا واستقدام الفرق الوافدة لإحيائه، فاقترح عليه كوكيل للوزارة توجيه هذه الاعتمادات المتواضعة التى يشارك بها الجانب المصرى فى تكاليف الموسم، لصالح تكوين فرقة مستديمة بالدار، من المواطنين والأجانب المقيمين بمصر، لفن الغناء الجماعى (الكورال) وكانت العادة أن يستقدم معظم هذه الفرق ضمن الفنانين الوافدين لإحياء الموسم! . . ولما حظى الاقتراح الذكى بموافقة الوزير، أسندت المهمة من جميع نواحيها الفنية للإيطالى السكندرى «كوردونى» الذى كان فى يوم ما مديرًا لمعهد كونسيرفتوار الإسكندرية وكان ذلك محققًا لتطلعات المدير الجديد للأوبرا المهندس المثقف محمود النحاس للبدء فى استكمال المقومات الرئيسية للدار على غرار مثيلاتها فى مختلف الدول.

وكان النحاس أستاذًا جامعيًا يعمل من قبل مستشارًا ثقافيًا لمصر فى باريس، وعاش الحياة الموسيقية الراقية المتميزة هناك، ثم عاد بطموحات هائلة ربما كان آخرها اقتراح - جاء مبكرًا - لإنشاء معهد «كونسيرفتوار» كبداية للنهوض بموسيقانا على أساس علمى، وكان يستقبلنا فى مكتبه بدار الأوبرا لعقد اجتماعات اللجنة المشكلة لوضع تفاصيل المشروع!

وربما كان أبرز ما تبقى لنا فى مجال الموسيقى من إنجازات د. حسين فوزى فى تلك المرحلة من الخمسينيات، هو برنامجه الإذاعى الأسبوعى الذى سجل لنا فيه شرحًا وتحليلاً لبعض الروائع السيمفونية وذلك فى إطار برنامجه الثقافى الجديد والمسمى بالبرنامج الثانى، والذى انبثق عنه فيما بعد البرنامج الموسيقى الحالى بما فيه من موسيقى جادة، وبمساحة كافية لنشر الثقافة الموسيقية بمختلف صورها إن أحسن استغلالها!

ومن الطرائف فى حياته الخاصة أنه كان يقتنى فى منزله قطة من النوع «السيامى» . . ولما أبديت له إعجابى بهذا النوع، روى لى كيف توطدت العلاقة العاطفية بينهما حتى استلقى إلى جوارها وأسند رأسها إلى ذراعه حين جاءتها آلام المخاض حتى تمت عملية الولادة!

أعضاء اللجنة:

وكان مع د. حسين فوزى فى عضوية لجنة الموسيقى د. محمود الحفنى أكبر الأعضاء سنًا وأقدمهم علمًا بالموسيقى وأغزرهم إنتاجا فى المكتبة العربية فى شتى موضوعاتها، وكان أشهر الأسماء فى كل ما يتعلق بالتعليم الموسيقى بمصر منذ الثلاثينيات حين رئى اختياره أمينا عاما للمؤتمر الدولى الأول للموسيقى العربية بالقاهرة فى عام ١٩٣٢!

ومن «لباقته» تعلمنا فن«المرونة» فى عرض الموضوعات وما فيها من أمور كانت تبدو فى هذا الوقت المبكر غير مألوفة، فأوصانا مثلاً بتفادى القطع والتحديد فى الألفاظ، واختيار البديل لها مثل: أحياناً . . عادة، فقد كان فى شبابه من أهل السياسة والواقعية!

* ويجئ بعد ذلك من الأعضاء المهندس أبو بكر خيرت من رواد التأليف السيمفونى والذى كان فيما بعد أول من كرمته الدولة، سواء فى مجال التأليف أو العطاء فى مجال النشاط الموسيقى العام - وذلك بأن قدمت وزارة

الثقافة بعض مؤلفاته فى حفل خاص بدار الأوبرا فى حضور رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر ، حيث شارك فى عزف «كونشيرتو» للبيانو والأوركسترا من مؤلفاته!

وقد تولى فيما بعد الأعمال الهندسية لتصميم معاهد الفنون وقاعة سيد درويش للموسيقى ، وكان أول من شغل منصب عميد معهد الكونسيرڤتوار!

. . وفى مجال الموسيقى العربية التقليدية كانت آخر تطلعاته هى التطوير لآلة القانون العربية لتكون قادرة على المشاركة مع الأوركسترا فيما يقدم من أعمال سيمفونية! وقد أنجز الفكرة بالفعل ثم سجل التصميم بمصلحة الشهر العقارى؛ وكان ذلك موضوع حديثنا فى لقائنا الأخير بمكتبه حين أهدانى نسخة من المشروع ، تركتها سهوا عند الخروج من آخر اجتماع لمجلس المعهد معه ، فقد وافته المنية فجأة فى اليوم التالى بمكتبه [1]! ولو كانت هناك بقية فى عمره لتحقق التطبيق العملى لفكرته فى أحد الأعمال الجديدة ، ولأضاف شيئًا إلى تجربة سابقة لآلة العود مع د. يوسف شوقى فى عام ١٩٥٤ ، الأمر الذى دعانى إلى محاولة تكرار التجربة ـ بعد عشرين عامًا ـ مع الفنان الكبير رياض السنباطى ، على إثر اقتراح من السفير الكويتى الفنان على زكريا الأنصارى! وبعد أن التقيت معه واقتنع بالفكرة وتحمس لها فإنه لم يقم بالتنفيذ رغم تأكيدى له من تنسيق كامل مع أوركسترا القاهرة السيمفونى [2]!

* أما الضابط أحمد شفيق أبو عوف من أعضاء اللجنة فقد كان من خريجى معهد الموسيقى العربية ، وتحرك بزيه العسكرى قبل غيره للحصول على الصلاحيات الرسمية لإنشاء لجنة عليا للموسيقى بالدولة ، وكانت له فيها إنجازات أوردناها فى غير هذا المكان!

* ومع هذه النخبة من الأعضاء كانت د. سمحة الخولى من أعضاء هيئة التدريس بالمعهد العالى لمعلمات الموسيقى والعائدة من إحدى البعثات الدراسية فى تاريخ الموسيقى العربية بإنجلترا! وكانت معروفة بسعة الاطلاع مع المهارة فى العزف على آلة البيانو ، وتميزت دائمًا بالاستعداد للمعاونة فيما يخدم قضية الموسيقى والتأهب لمواجهة المواقف الصعبة ، وقت أن كان كل جديد فى عملنا له صعوبته وأحيانًا خطورته! وكم شاركتنى حماس الشباب وجرأة المواجهة والفداء ، حتى بقيت لى معها بين الذكريات تلك اللحظة اليائسة حين اصطدمت طموحاتنا بما هو أقوى منها من صعوبات ، أضاف إليها مقررنا عبارته المشهورة : ريّح نفسك! وحسمتُ حينذاك الحوار بينى وبينها مقترحًا وبكل رعونة الشباب ، أن نسير فى مظاهرة تجوب شوارع القاهرة ، فغمرتها السعادة بصورة لا أنساها!

. . ولقد كان مثلاً أكثر ما يخشى منه فى بعض حالات التوتر التى تكررت خلال السنوات الفاصلة بين الوزارة الأولى للثقافة فى عهد ثروت عكاشة ووزارته الثانية ، هو المساس باستقرار أوركسترا القاهرة السيمفونى وربما مبدأ وجوده!

---

(١) فى ٢٥ من أكتوبر عام ١٩٦٣ .

(٢) خاض التجربة بعد عشرين عامًا تقريبًا قائد الأوركسترا سيد عوض ، عندما كتب «فانتازيا» للعود والأوركسترا ، بينما سبقه رفعت جرانة فى كونشيرتو لآلة القانون بصورتها وإمكاناتها الراهنة ! أما المخضرم عطية شرارة ، فلم يتخلف عن الموجة الجديدة وكتب الكونشيرتو المصرى لآلة الفيولينة !

فعندما احتلت مثلاً الفنانة الكبيرة أم كلثوم مكانها بين أعضاء لجنة الموسيقى فى تشكيل انقلابى جديد بعد غياب ثروت عكاشة عن الوزارة، وما رئى من مراجعة لسياسته فيها، وكانت المناقشة لبعض الموضوعات الخاصة بالأوركسترا السيمفونى الوحيد بالدولة، وفاجأتنا أم كلثوم بالسؤآل عن مبررات وجود هذا الأوركسترا، طالما كانت الفرصة متاحة للاستماع للموسيقى السيمفونية من خلال الأسطوانات المسجلة! وكان أن جاءها الرد المباشر من د. سمحة الخولى، فى التزام وهدوء وشجاعة أدبية، فتساءلت بدورها عن سبب إقامة الحفلات الغنائية للسيدة أم كلثوم، طالما توفرت للمستمعين تسجيلاتها!! وكان أن وقعت الواقعة.. وتكهرب الجو.. وفوجئت الفنانة الكبيرة بمن يواجهها بالرأى والحجة والمنطق، فقالت بانفعال: «بُصّى إنتى بتكلمى مين».. وكان الرد الهادئ: «بأكلم السيدة أم كلثوم!».

.. وكان أن انتفضت أم كلثوم من مقعدها وانسحبت من الاجتماع!! والموسيقار محمد عبد الوهاب يهرول وراءها ويقبل يديها راجيًا بقاءها.. ولكن دون جدوى؛ وانصرفت دون عودة بعد ذلك إلى المجلس، بينما ظل الأستاذ الكبير بيننا، وبكل تواضع يمارس واجباته فى اللجنة كأحد أعضائها!

.. وربما بقيت الذكرى لدى الفنانة الكبيرة، حتى عاد ثروت عكاشة إلى الوزارة فى عام ١٩٦٦، وجاءت إلى دار الأوبرا لحضور أحد العروض، حيث استقبلناها بتقبيل الأيادى وفتحنا لها أبواب المقصورة الملحقة بمقصورة رئيس الدولة، إلا أننا فوجئنا بإصرارها على الجلوس للفرجة فى المقصورة الرئاسية! وطلبت فتح الباب للدخول إليها، ثم تكرر رفضها لاقتراحنا بالجلوس فى مقصورة الوزراء أو وزير الثقافة.. وطال الجدال حتى قبلت فى النهاية باقتراحنا الأول!

.. وقد لاحظ الأديب الفنان د. حسين فوزى، الذى تصادف وجوده بين رواد الحفل، أن هناك أمرا غير عادى فى جو الأوپرا، فاقترب منى فيما بعد وعرف بتفاصيل الموضوع، وأوصانى بالحذر وترقب ما لا أتوقع من توابع لهذا الموقف، إلا أن ذلك كله لم يقلل من اهتمامنا بواجبات الزيارة، فودعناها فى نهاية الحفل بمثل ما قوبلت به من حفاوة حتى باب السيارة التى اختصت بموقع متميز لانتظارها داخل سور الدار أمام المدخل الرئيسى!

.. وفى صباح اليوم التالى، نقلت الصورة بكل تفاصيلها إلى رئيس هيئة المسرح والموسيقى د. عبد العزيز الأهوانى، تحسبًا لأى اتصال خارجى يتم معه حول نفس الموضوع.. ولم يمر وقت طويل حتى أعاد الاتصال بى وقال ضاحكًا: يا سيدى الوزير يطلب حضورنا سويًا لمقابلته بالمكتب.. وهنا قال الوزير: إن السيدة أم كلثوم أبلغته بذهابها إلى دار الأوپرا فى الليلة السابقة، وساءها كثيرًا أن الدار غير نظيفة لدرجة أنها كانت ترتدى حذاءً أسود اللون، وعند مغادرتها فى نهاية الحفل كان قد أبيض لونه من كثرة التراب داخل الدار! ولاحظ الوزير أننا فى أثناء كلامه نتبادل النظرات والابتسامات، فسألنا عن السبب وعرف بالقصة، ولكنه أدى واجبه كوزير، فطلب مضاعفة الاهتمام بنظافة الدار! وانصرفنا أخيرا من جلسة المحاكمة، ولسان حالى يقول: سامحك الله يا سمحة يا بنت الشيخ أمين الخولى!

* وتعود بى هنا الذكريات إلى حرصى الدائم على استقرار جو اللجنة وتحقيق الانسجام بين أعضائها قليلى العدد، وما لمسته فى يوم ما من توتر بين المقرر من جانب، ويشغل فى نفس الوقت منصب وكيل وزارة الإرشاد

المنوط به الإشراف على الإذاعة وأوركستراها السيمفونى، والمهندس أبو بكر خيرت من جانب آخر كمؤلف: الأول يشعر بالالتزام نحو رواد الحفلات وتقديم روائع التراث لهم، والتى تمثل أساسًا فنيًا لتدريب الأوركسترا الجديد وتكوين حصيلته والإضافة إلى خبراته الفنية، ومن إنتاج المرحلة الكلاسيكية بالذات قبل غيرها إلى جانب التجارب المحدودة فى موسيقانا المحلية، والثانى كمؤلف يطمع فى تخصيص أكبر مساحة زمنية ممكنة لتقديم أعماله الجديدة!

. . وأملاً فى تهدئة وتلطيف الجو بين الطرفين بقدر الإمكان، فقد شاركنى الرأى المهندس محمود النحاس مدير دار الأوبرا، فى اصطحابهما إلى رحلة خارج القاهرة، بحجة مرافقة الأثرى الفرنسى الشاب «چان يويوت» إلى ريفنا بالشرقية، لإعادة فتح وتشغيل المنطقة الأثرية فى صان الحجر (تانيس سابقًا) (١)- والتى كانت مقصدنا أكثر من مرة فى رحلاتنا المدرسية فى صبانا! - إلا أن صديقنا أبو بكر تخلف عن الرحلة دون اعتذار، وبقيت الأمور على حالها بين الطرفين، حتى تم التغيير سريعًا فى المجلس مع الوزارة الجديدة للثقافة وتركنا د. حسين فوزى، ليتولى أبو بكر خيرت العمل كمقرر للجنة الموسيقى، وفى عهده كان الموقف المذكور مع السيدة أم كلثوم!

أبحاث لجنة الموسيقى:

ونعود إلى اللجنة فى محاولة لحصر أبرز إنجازاتها التى استجيب للكثير منها على الرغم مما كان يقال حينذاك من أن المجلس أنشىء ليوصى ولا يقرر، إذا استثنينا بالطبع ما كان يدخل فى اختصاص وزارة التعليم التى كان وزيرها كمال الدين حسين بحكم وظيفته رئيسًا للمجلس وكانت التوصيات تجد طريقها للتنفيذ، وقد شملت ما يلى:

* استقلال تفتيش الموسيقى بالتعليم العام عن إدارة الأناشيد بوزارة التربية والتعليم، ومراجعة مناهج الدراسة الموسيقية، وإدخال التعديلات اللازمة عليها (تم التنفيذ).
* تخصيص عشر بعثات خارجية سنويا لدراسة الموسيقى بمختلف فروعها (تم التنفيذ لأربع بعثات).
* نقل المعهد العالى لمعلمات الموسيقى من مقره المتهالك بشارع المبتديان إلى مكان أفضل (استقر بالفعل بأحد القصور بالزمالك).
* تنظيم حلقة بحث لعلوم الموسيقى العربية (كانت الأولى من نوعها منذ المؤتمر الأول فى عام ١٩٣٢، وأقيمت بالفعل الحلقة وسجلنا أبحاثها).
* نقل أوركسترا الإذاعة السيمفونى الجديد إلى دار الأوبرا (لم ينفذ).
* إعفاء حفلات الموسيقى السيمفونية من ضريبة الملاهى (لم ينفذ). وبعد أربعين عامًا صدرت القوانين بالتنفيذ!!
* إحياء تراث سيد درويش من المسرح الغنائى.

---

(١) من الطريف هنا، منظر اللقاء: بالأحضان بين العالم «يويوت» والشيخ «باز» من أهل المنطقة!

مشروع فصول الموهوبين:

وكما يبدو من أبحاث الفترة السابقة، فإنها قد خلت من التوصيات التى تنص على إنشاء معهد «الكونسيرڤتوار» للموسيقى، لأن الجو العام لم يكن مهيئًا لذلك وسط سيادة الشعارات القومية، الصادقة أحيانًا والزائفة فى كثير من الأحيان، الأمر الذى دعانى إلى التفكير فى مشروع لا يتحدث عن هذا الأمل صراحة، ولكنه فى نهاية الأمر ـ وبصورة تدريجية ـ وبدون تكاليف مالية تذكر يؤدى إليه بصورة أو بأخرى! وهكذا قدمت ـ بصفتى أمينًا للجنة الموسيقى ـ اقتراحًا راجعته تفصيلاً مع تفتيش الموسيقى بوزارة التربية والتعليم (١)، كجهة منفذة له عند إقراره . . وقد أفرغت فيه خلاصة النظم المتبعة فى أوروبا بعد دراسة تفصيلية لما تلقيناه بالمجلس من تقارير ومعلومات عن ذلك.

وكان المشروع يقضى بإنشاء فصول محدودة العدد من الموهوبين موسيقيًا من الأطفال طوال المرحلتين الإعدادية والثانوية، يتلقون فيها خارج المنهج، دراسات مركزة فى الموسيقى دون تعارض بين الدراستين! وتختار لتنفيذ المشروع من المدارس ما تتوافر فيها الإقامة بالقسم الداخلى، بواقع فصل واحد من كل منطقة تعليمية، يلتحق بها من يقع عليه الاختيار من الأطفال مع نهاية المرحلة الابتدائية!

وكانت لجنة الموسيقى قد رحبت بالمشروع وعرضته على المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، والذى أقره بكل اقتناع فى جلسة (٢) عشت خلالها لحظات لا تنسى فى مستهل حياتى الوظيفية المدنية، وقد بدت وكأنها تستقبلنى من بابها الكبير فى عالم الفكر والفن! فقد استمعت من وراء حجاب إلى مناقشات أعضاء المجلس وتعليقاتهم والأسلوب الرائع الذى قدم به الأديب د. حسين فوزى المشروع باعتباره مقررًا للجنة الموسيقى، حيث أثنى على الفكرة وكأنها كما قال: بيضة كولومبس! وسمعت حينذاك لأول مرة فى حياتى هذا التعبير . . ثم ما رآه توفيق الحكيم من أنه مشروع جدير بالتنفيذ، ثم دفاع د. طه حسين فى مواجهة الأديب يحيى حقى مدير مصلحة الفنون الذى قال: إن التجربة فشلت فى تركيا عندما اتجهت إلى الموسيقى العالمية فى عهد أتاتورك، ثم انصرفت عنها بعد وفاته، بعد إنشائه لمعهد «الكونسيرفتوار» وغيره من أجهزة الموسيقى الرفيعة (٣) ـ وقد علمت فيما بعد ـ من زميل العمل بالمجلس: الأديب يوسف الشارونى أن د. طه حسين (٤) طلب الإطلاع على كتابى «الثقافة الموسيقية» . . بصفتى صاحب الاقتراح.

---

(١) كان الموسيقار عبد الحليم على رئيسًا للتفتيش، وشهد مثل هذه النظم فى فرنسا إبان دراسته فى البعثة التى أوفد فيها بين الرواد من أمثاله فى الثلاثينيات .

(٢) ٢ من مارس ١٩٥٧ .

(٣) لا أدرى إن كان الأستاذ يحيى حقى قد شاهد فى القاهرة بعد سنوات فى برامج حفلات أوركسترا القاهرة السيمفونى نموذجًا رائعًا من ألمع الفنانين الأتراك: المؤلف عدنان سيجون الذى قاد عزف أعماله، وفنان الأوپرا أيهان باران الذى شارك فى رباعية الغناء الفردى فى السيمفونية التاسعة لبيتهوفن مع الأوركسترا وكورال الأوپرا ومن بعده غيره من مواطنيه! ولكن مع مرور الأيام والسنوات وتعاقب الأجيال ينبغى أن نعطى لأديبنا الكبير بعض الحق فيما أبدى من تحفظات !!

(٤) كان د. طه حسين هو أكثر من استقبلتهم من أعضاء المجلس بعد سنوات، مستمعًا لأوركسترا القاهرة السيمفونى، وقرأنا على لسان زوجته السيدة سوزان أنه كان محبا للفنون متذوقًا لها خاصة الموسيقى الكلاسيكية التى شغلت مساحة كبيرة فى أساليبه الوصفية! وعن حبه للموسيقى وافتتانه بها، تصفه فى أثناء حضور الحفلات فتقول: إنه كان يبدو غائبا عن القاعة وعن كل ما يحيط به، منفعلاً مستلسمًا لهذه الموسيقى القوية العذبة (١٣ / ١١ / ١٩٩٦ ـ د. طه والفن ـ سلوى العنانى).



الأديب يحيى حقى مدير مصلحة الفنون والمخرج زكى طليمات والمطربة شهر زاد . . وسعد عبد الحفيظ مستشار المصلحة وعماد أبو طالب مراقب عام الأوبرا.

ونحن حينما نسرد مثل هذه التفاصيل، فالغرض منها هو مجرد عرض لقطات مما كان يسود حياتنا الفكرية من تيارات مواتية وأخرى معطلة، مرجعها أساسًا بعض هؤلاء الكبار فى مناصبهم من أهل الثقة، ومنهم على سبيل المثال، ذلك الوكيل من ذوى الحظوة فى وزارة التربية والتعليم الذى أوقف العمل بمشروعنا لرعاية الموهوبين بعد سنوات قليلة ثبت خلالها نجاحه، وذلك احتجاجًا على قيام وزارة الثقافة فى تشكيلها الجديد بإنشاء معاهد السينما والموسيقى والباليه والمسرح . .

ولنتخيل الآن وزارة التعليم لو كانت هى المسئولة عن هذه الفنون، إلى جانب أعبائها المتزايدة طرديًا مع الانفجار السكانى، حتى قرأنا مؤخرًا عن حاجتها للحاصلين على أية مؤهلات عليا للعمل كمدرسين!

المهم أن مشروعنا كان قد حظى فى وزارة التربية والتعليم، باهتمام نخبة من رعاة العلم وبناة الأجيال من رؤساء التعليم الثانوى أمثال د. أحمد زكى وكريمة السعيد، ثم المربية الفاضلة «روز» ناظرة المدرسة الثانوية للبنات بمصر القديمة (على شاطئ النيل) والتى أبدت استعدادها، عند الاقتضاء للتنازل عن غرفة مكتبها لصالح المشروع!

وهكذا عشت التجربة من أولها وشاركت مع اللجنة المشكلة لتنفيذها بالوزارة حيث ذهب الحماس بالمسئولين هناك إلى تخصيص فصل للبنين فى حلوان، وآخر للبنات فى العباسية، ثم بعُد ذلك للباليه بعد الموسيقى!

ومن ذكريات هذه الفصول ما رواه لى فيما بعد قائد الأوركسترا يوسف السيسى، وكيف أنه كان فى شبابه الأول يتوجه إلى حلوان للتدريس فيها وهو راكب الدراجة البخارية «الموتوسيكل» وذلك قبل سفره فى إحدى بعثات المجلس لدراسة القيادة فى النمسا.

دراسة عالية وطموحات:

وبعد إجازة المشروع وما لمسناه من استجابة وحماس لدى بعض المسئولين بوزارة التربية والتعليم، فقد استكملناه بآخر لدراسات التخصص فى الموسيقى مستعينين بخبرة أفضل الأساتذة بالمعاهد الأجنبية بالقاهرة

والإسكندرية، إذ كان المشروع الأول يقضى بأن يخير الطالب فى نهاية المرحلة الثانوية، إما الالتحاق بدراسات عالية فى الموسيقى كطريق للعمل بالفن، أو ممارسة الموسيقى بعد ذلك كهواية وثقافة إلى جانب الدراسة الجامعية وما بعدها فى الحياة العامة، وبذلك تستكمل منظومة الدراسة الموسيقية علماً وثقافة منذ الطفولة وحتى سنوات النضج! وقد أقرت لجنة الموسيقى اقتراحى الجديد، وبدأ إعداد الدراسات التفصيلية للجوانب العلمية فى التنفيذ وضم ذلك إلى قائمة توصيات اللجنة!

.. هذا وفى كلمة أخيرة عن محور أبحاث ومشروعات اللجنة حول التعليم الموسيقى المبكر للأطفال، كضرورة ملحة، وخاصة فى مجال العزف، فإن الدراسات لا تتوقف حول جدوى ذلك من وجهات نظر جديدة فى المجال التربوى بوجه عام، فتنقل إلينا مثلاً الباحثة المصرية سهير أحمد السكرى بجامعة چورچ تاون بواشنطون شيئًا من أحدث هذه الدراسات، إذ تقول: إن ذلك يعزز قدراتهم [١] على الاستيعاب والتكامل مع غيرها من العلوم وخاصة عند تعلم العزف على آلة البيانو، وتستند فى ذلك إلى أبحاث حديثة أثبتت أن أغلب البشر يرجحون بطبيعتهم استعمال الجانب الأيسر من الدماغ، أى الجانب الذى يتصل بالتفكير واستخدام اللغة ويتحكم فى اليد اليمنى والرجل اليمنى، وبذلك ينمو هذا الجانب على حساب الجانب الأيمن الذى يتصل بالعواطف من فرح وحزن وخوف، ويتحكم فى اليد اليسرى والرجل اليسرى، ويستثنى من ذلك الأعسر أو «الأشول» الذى تضطره حالته إلى استعمال الجانبين بالدرجة نفسها تقريبًا، ولهذا فإنه عادة ما يكون أكثر ذكاء! ولما كان تعلم الموسيقى، وبخاصة آلة البيانو، يجبر الطفل على استخدام يده اليسرى بحركات قد تتوافق أو تتعارض مع اليمنى أو بسرعة قد تساوى سرعة اليمنى أو تزيد أو تقل عنها، فإن من شأن تعلمها أن تنمى الجانب الأيمن من الدماغ مما يجعل الطفل قادرا على التحكم فى عواطفه وانفعالاته وتجنب الانصياع لدواعى الطيش والتهور، فيصبح بذلك إنسانًا متزنًا وأكثر ذكاءً من غيره .. ويلاحظ فى هذا الصدد أن الموسيقى تشكل جزءا، لا يتجزأ من تنشئة الطفل الغربى وفى جميع مراحل حياته.

أحلام الكبار:

وفى يوم ما من أواخر عام ١٩٥٨، بعد أن عاشت لجنة الموسيقى أكثر من عامين فى مشقة الوصول إلى أهدافها، بالتسلل إلى معظمها دون إفصاح عن خلفيات المبادرات التى اعتبرت حينذاك من الممنوعات، فقد فوجئت، كغيرها من لجان المجلس بتكليف صادر من جهات عليا بأن تقدم بيانًا بأقصى ما تتمناه فى مجال عملها من مشروعات طموحة، مهما كانت قيمة التكاليف ونفقات التنفيذ، ودون إيضاح المبررات والأسباب والمصادر لهذا الثراء المفاجىء الذى هبط على مصر! ولم نجد تفسيراً لذلك سوى مجرد الاحتمال بأن يكون ذلك من ثمار العلاقات السياسية المتنامية مع الاتحاد السوفيتى، عقب مشروع السد العالى بتكاليفه الباهظة! وكان أن قدمت بالفعل اللجنة اقتراحها فى إطار سياسة عامة - كما قيل - لتنشيط الجهود الفنية مع التنفيذ خلال خمس سنوات أو عشر! وقد شملت ما يلى [٢]:

---

(١) الأهرام فى ٩ / ٢ / ١٩٩٨ .

(٢) محضر الاجتماع فى ٢٦ / ١٢ / ١٩٥٨ .

أولاً:

١ ـ إنشاء معهد للدراسات الموسيقية والغناء حتى مراحل الدراسات العليا، وكذلك معهد للباليه؛ وروعى هنا التحفظ فى ذكر كلمة «كونسيرفتوار» بصراحة!

٢ ـ بناء دار للأوبرا بالقاهرة.

٣ ـ بناء دار للأوبرا فى مدينة الإسكندرية.

٤ ـ بناء قاعة للموسيقى تتسع لعدد يتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف شخص.

٥ ـ بناء قاعة للموسيقى فى مدينة الإسكندرية.

٦ ـ بناء قاعة للموسيقى فى مدينة أسيوط.

٧ ـ وضع التراث الموسيقى القومى فى إطار الفن الموسيقى السيمفونى وجمع التراث القديم.

٨ ـ إنشاء مكتبة موسيقية (كتب عن الموسيقى ونوتات موسيقية وأسطوانات وأشرطة) فى كل من الإسكندرية وأسيوط، وتعزيز المكتبة الموسيقية التابعة لدار الكتب المصرية بالقاهرة.

٩ ـ إنشاء أوركسترا سيمفونى لمدينة الإسكندرية على غرار أوركسترا الإذاعة السيمفونى.

١٠ ـ دعم الإمكانات الفنية لدار الأوبرا بحيث يشمل ذلك فرقة الكورال وفصول للباليه وفصول لتجويد العزف.

ثانياً: وزارة التربية والتعليم:

١ ـ التوسع فى إنشاء فصول الموسيقى للموهوبين، التى أوصى المجلس بإنشائها، بحيث يؤدى ذلك مستقبلاً إلى استقلاق هذه الفصول بمدارس إعدادية موسيقية خاصة ليمكن تأهيل أكبر عدد ممكن من الطلبة والطالبات منذ سن مبكرة للدراسات الموسيقية العالية.

٢ ـ تخصيص خمسين بعثة سنوياً للموسيقى لعشر سنوات، يوفد فيها المؤهلون موسيقيّاً من حملة الشهادة الثانوية العامة وما يعادلها.

ثالثاً: وزارة الداخلية والبلديات:

تعزيز فرق الموسيقى العسكرية فى العواصم والأقاليم، وتنظيم التعليم الموسيقى فيها، والإفادة من الاتفاقيات الثقافية مع الدول الأجنبية فى استقدام المعلمين لها.

رابعاً: دار الإذاعة:

تدعيم أوركسترا الإذاعة السيمفونى.

مشروع جديد لمعهد الكونسرفتوار:

وعلى الرغم من هذه الطموحات، وحتى لا تتوقف المسيرة . . ووسط هذا الجو المتغير، مع الحرص فى نفس الوقت على اتباع سياسة الخطوة . . خطوة . . والتسلل إلى أقرب الصور التى تحقق أهداف اللجنة، فقد تلقت اللجنة مشروعًا صريحًا يعتبر مبادرة أخيرة فى مجالات إنشاء معهد موسيقى بالصورة المنشودة، وجاء ذلك من مدير دار الأوبرا المهندس محمود النحاس، بصفته وكيلاً لمصلحة الفنون بوزارة الثقافة والإشاد القومى! ولكى يصل اقتراحه إلى اللجنة دون عراقيل، سواء من جانب رئيس المصلحة الأديب يحيى حقى، أو من جانب الوزير فتحى رضوان، فإنه قدم مشروعه مباشرة إلى الوكيل الدائم للوزارة د. حسين فوزى، كمقرر للجنة الموسيقى بالمجلس الأعلى للفنون والآداب! وقد شكلت لجنة لبحث التفاصيل وصياغة المشروع فى صورته النهائية، وشاركنا فى عضويتها، مع د. محمود الحفنى ومديرى معهد الإسكندرية: عازف البيانو الإيطالى جوارينو وإيناس تيجرمان صاحب المعهد المعروف باسمه القاهرة، ومعهما د. بريجيت شيفر التى شغلت فى يوم ما وظيفة العميد لمعهد معلمات الموسيقى، ود. سمحة الخولى والمؤلف جمال عبد الرحيم [1] العائد من دراساته الموسيقية فى سويسرا، والذى ظل صادقًا مع نفسه محترمًا لعلمه معتزًا بثقافته ومثله، وفيًا لفنه، معتدلاً فى قوميته، وكان له فضل السبق فى اختيار اسم «أكاديمية» للمشروع من بين اجتهادات عديدة لاستحداث غير المألوف فى نظامنا التعليمى للتخصص فى الموسيقى فى الإطار الحكومى، وذلك مع صاحب المشروع المهندس محمود النحاس مدير الأوبرا . . وتلاحقت بعد ذلك الأحداث حتى تولى الوزارة ورئاسة المجلس صاحب الحسم والإنجاز المثقف الكبير ثروت عكاشة!



(١) (١٩٢٤ - ١٩٨٨).

الفصـــل الثانى

تنفـيــــذ

تمهيد:

أولاً: الموسيقى فى الجو العام:

وكانت الوزارة الجديدة للثقافة والإرشاد القومى قد جاءت فى أواخر عام ١٩٥٨، وسط جو عام يحمل المؤشرات والعلامات الموحية بالأسبقيات فى مسئولياتها القريبة، وخاصة فى الحقل الموسيقى بسلبياته المختلفة! وحتى تخطو وتتقدم على أرض ثابتة، وتطمئن إلى التأييد العام بقدر الإمكان لمشروعاتها ووجهات نظرها، كانت النظرة والمراجعة للجهود التى وجدت طريقها إلى البقاء وغيرها مما لا يزال يتعثر .. ثم البحث عما يلزم استحداثه! .. وفى نظرة عامة لأبعاد الحقيقة والواقع فى مجال الموسيقى، برزت أمامها الجهود التالية:

١ ـ الوصول بموسيقانا العربية إلى قمة من الإبداع والتجديد وخاصة فى روائع الموسيقار محمد عبد الوهاب الذى أدى الرسالة على أكمل وجه وعلى مستوى العالم العربى!

٢ ـ استقرار الوجود الموسيقى الأوركسترالى فى مجال التسجيل الإذاعى والأفلام السينمائية، تحت عصا محمد حسن الشجاعى وصحبه من أمثال عزيز صادق وإبراهيم حجاج وعطية شرارة وعبد الحليم على وعبد الحميد عبد الرحمن وأحمد عبيد ..

٣ ـ جمعية الموسيقى المصرية: بدأت طوراً جديداً من أطوار اضمحلالها بعد أن كانت الوريثة لجمعية الفنون المصرية، التى قرأنا اسمها فى صفحات الماضى البعيد، كمنظم رسمى لمواسم الأوبرا الكبيرة .. فقد بدأ التأرجح وعدم الاستقرار، والتعثر فى نشاطها المنعش لحياتنا الموسيقية الراقية، بتقديم حفلات المشاهير من العازفين، وتركهاالمسئولون عنها من قدامى المواطنين والأجانب المقيمين، ليتولى أمورها المؤلف أبو بكر خيرت كعنصر وطنى تهمه رسالتها، ويقدر على مواجهة مشاكلها فى المجتمع الجديد!

٤ ـ ظهور باكورة الأعمال السيمفونية المصرية من إبداع أبو بكر خيرت، داخل ستوديوهات الإذاعة، دون قواعد واضحة لتنمية هذه الاتجاهات الجديدة!

٥ ـ تحرك «اللجنة الموسيقية العليا» على نطاق ملموس فى مجالات تسجيل التراث وإقامة الحفلات السيمفونية الجماهيرية، وتنظيم المسابقات فى العزف، ولكن دون تحديد للكيان الرسمى للجنة، واختلاف وجهات النظر فى صورة استقرارها، حتى انتهت إلى شكل الجمعية الأهلية التى تتسول الإعانات الحكومية!

٦ ـ انتظام «مكتبة الفن» المنبثقة عن دار الكتب بوزارة التعليم فى أداء رسالتها نحو نشر الموسيقى التراثية والعالمية من خلال الاطلاع والاستماع للأعداد المتزايدة من الرواد!

٧ ـ ازدهار لقاءات «ندوة الفن» المنبثقة عن مصلحة الفنون، رغم عدم الاقتناع الكامل بدورها من جانب القيادات الإدارية التى تنتمى إليها وتقدم نشاطها الأسبوعى تحت شعارها!!

٨ ـ التقدم والتعثر فى تنفيذ قرارات لجنة الموسيقى بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، حتى ظل أكثرها معلقًا رغم أهميته البالغة فى تحقيق رسالة المجلس، بحجة أن المجلس يوصى ولا يقرر! ولعلنا نذكر هنا على سبيل المثال ما كانت تتناوله الصحافة الفنية بإسهاب حول مشروع فصل الموهوبين، كوسيلة لمواجهة الرفض لإنشاء معهد «كونسيرڤتوار» باعتباره كما قالوا: دخيل على حياتنا الموسيقية وله ضرره على موسيقانا القومية!

٩ ـ اجتياز الدكتور حسين فوزى لأكثر من عقبة فى سبيل إرساء مبدأ اقتناء الدولة لأوركسترا سيمفونى، سرعان ما احتل موقعه فى حياتنا الثقافية، بعد انتظام الحفلات الأسبوعية للشباب صباح الجمعة وللجمهور مساء السبت، ثم ظهور فرقة للغناء الكورالى بدار الأوپرا ولكن دون قواعد ثابتة معترف بها وظيفيًا، وتضمن استمرار العلاقة بين الفنان وجهة العمل طوال العام سواء للعازفين بالأوركسترا أو المنشدين بالفرقة!

١٠ ـ وجود معاهد موسيقية أجنبية على وشك أن تغلق أبوابها؛ وتعليمنا العربى للموسيقى يكاد ينحصر فى معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية، ومعهدى الموسيقى للمعلمين والمعلمات.

١١ ـ ظهور تجارب «مصلحة الفنون» فى الأوپريتات الشعبية أو المسرح الغنائى العربى والتى أسفرت عن تألق أسماء: عبد الحليم نويرة، ومحمد العزبى، ومحمود رضا وفريدة فهمى وغيرهم!

ثانياً: بين الفنان والمجتمع:

وفى هذا الجو العام، قضى منطق التاريخ ببداية مرحلة الحسم والصراحة فى مواجهة الأمور وذلك فى عهد الوزارة الجديدة التى تولاها فنان الأدباء وأديب الفنانين ثروت عكاشة .. فتتابعت المشروعات!

وكانت الوزارة قد استهلت عهدها بعقد لقاءات للمشاهير فى مجالات اختصاصها، ومنهم على سبيل المثال فى مجال المسرح والموسيقى: يوسف وهبى وبديع خيرى وبيرم التونسى ومحمد القصبجى وعبد الحميد عبد الرحمن ومحمد عبد الوهاب وعبد العزيز فهيم وأبو بكر خيرت وعبد المنعم الصاوى (وكيل الوزارة) وغيرهم.. وقد بدا الجميع فى قمة السعادة والترقب إذ يرون أخيراً قوة السلطة فى خدمة الفن.. وكنا فى هذه اللقاءات نتلمس فى الحقيقة جو الرزانة والتحفظ والجدية ـ وكان من الطبيعى أن لا تخلو بصورتها غير المألوفة وما جمعت من مشارب ومفاهيم ما بقى من الذكريات والطرائف أمام تجربة جديدة فى حياة المجتمع..

فلما كنت أصغر الأعضاء سنًا وأكثرهم قربًا إلى الصورة العامة لحياتنا الموسيقية كمسئول عن الموسيقى وغيرها بشعبة الفنون بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والاداب، فقد كنت بدورى أحرص على الإسراع إلى قاعة الاجتماعات قبل الموعد بساعة تقريبا، لمراجعة أوراقى وما فيها من أمور متعلقة بأبحاث لجنة الموسيقى بوجه

خاص بالمجلس المشار إليه ، وذلك لعرضها عند الاقتضاء أو الاستناد إليها كنموذج لما يحتاج الإنجاز . . أذكر فى أحد اللقاءات أن فوجئت بوصول الفنان الكبير محمد عبد الوهاب قبل الموعد المحدد بنصف ساعة أو أكثر . . وتعجب من عدم وجود باقى المدعوين للاجتماع ، فأوضحت له بهدوء بأنه قد وصل مبكرًا ، وذلك أفضل من أن يصل متأخرًا عن الموعد ، إلا أن ذلك ضايقه كثيرًا ، بينما تعجبت بدورى ولم أفهم السبب فى غضبه . . وسألته . . وجاءنى منه رد غريب وكأنه يؤكد شيئا من الأمور المنطقية ، إذ يقول : «عشان لازم أوصل متأخر!» وضحكنا وكأنها «نكتة» ـ وتساءلت فى نفسى إن كان كلامه هذا يعبر عن شعور داخلى فى نفسه كاستشعار العظمة والأهمية كفنان كبير اعتاد أن ينتظره الآخرون وليس العكس ، ولو اعتلى خشبة المسرح ولم يجد الجمهور فى انتظاره والصالة خاوية ، لتشاءم ووجد فى ذلك معنى الفشل والسقوط! وتساءلت من جديد إن كان ذلك يرجع إلى اعتبارات أخرى ، وخلفيات تتعلق مثلاً بوضع الفنان على خريطة المجتمع على المستوى الرسمى!

وربما كانت المسألة مجرد رواسب قديمة ، أو فلنقل عقدة الفنان مع حقوق المواطنة حين لم تكن شهادته تقبل أمام المحاكم . . أو عقدة «مصلحة الفنون» عند الدكتور حسين فوزى وأحس بها محمد عبد الوهاب حين جئ به وكيلاً لوزارة الإرشاد القومى ، وأرادت حكومة الثورة أن يكون للفن دوره فى المجتمع الجديد ، فأنشأت المصلحة المذكورة بين فروع هذه الوزارة ، وبدا الأمر حينذاك كبدعة لا سوابق لها . . وكانت موضوعًا للأخبار الصحفية فى كل صغيرة وكبيرة ، بينما رأى وكيل الوزارة أن الجو الحكومى له حدوده كبيت له أسراره . . فيه يدور الكلام والحديث والتفكير بصوت عال حتى يتم الانتهاء إلى قرار يكتسب صلاحياته قبل أن تتناوله الصحف ، ثم ينشر على الملإ! أذكر حول ذلك ، مّا كنت أسمعه منه ـ منذ لقائنا الأول عام ١٩٥٦ ـ عندما كان يقول ويكرر إن «مصلحة الفنون» بابها مفتوح على الشارع! . . وحول العلاقات الرسمية بين الفنان والسلطة ، فإنه عندما أنشئ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، وشكلت لجانه كأول تنظيم رسمى من نوعه يختص بشئون الأدب والفن ، فقد راعى مثلاً الدكتور حسين فوزى فى تكوين لجنة الموسيقى التى عين مقررًا لها ، الاقتصار على أقل عدد ممكن من الأعضاء ، بما لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة ، من ذوى المؤهلات الفنية والمركز الأدبى !! وفى ضوء رؤيته ومفاهيمه لم يكن بينهم الموسيقار محمد عبد الوهاب ، كمجرد مبدأ لو تخلى عنه لفتح الباب أمام الآخرين من أهل الفن ، ولايمكن القول أبدًا بأنه كان مقصودًا بذاته ، لتميزه دون منازع وشهرته كأستاذ فى الجد والهزل!

وعندما أراد ـ مثلاً ـ بعد مرور السنوات ، أن ينتقد ترشيح الدكتور حسين فوزى لجائزة الدولة التقديرية فى فرع الفنون ، فإنه كان متحفظًا فى أسلوبه ، فنقل عنه فى بعض الصحف أنه دخل فى رهان مع أحد محدثيه على موضوع التحديد لفرع الجائزة التى رشح لها وهل هى فنون أم آداب؟!

ود . حسين فوزى بدوره لو كان حيا ، وناقشنا معه الأمر لبرر موقفه من الفنانين ، بمجرد نموذج شهدناه فى إحدى جلسات «حلقة بحث الموسيقى العربية» التى كانت لجنة الموسيقى بالمجلس الأعلى قد قررت تنظيمها كحلقة علمية لمراجعة وحصر المقامات والإيقاعات والقواعد والنظريات ، وصيغ التأليف الموسيقى ، وغير ذلك من أركان بنائها كفن له أصوله التى ينبغى تحديد معالمها أمام الدارسين والمبدعين ، وذلك كامتداد للمؤتمر الدولى

الأول للموسيقى العربية فى عام ١٩٣٢ ، ولم يكن بين أعضاء المؤتمر الموسيقار محمد عبد الوهاب، الذى كان يعتبره معظمهم «خواجة» غير تقليدى وغير ملتزم بالأشكال الجامدة لموسيقاهم التراثية واستبعدوه من جلسات المؤتمر المشار إليه . . كما طردوا حينذاك آلة «التشيللو» السيمفونية من التخت العربى!

ومن جانب آخر، فقد كانت جلسات هذه الحلقة التى توليت عمل الأمين العام لها وسجلت وقائعها وقراراتها فى الكتاب الصادر عن المجلس، لها صفتها الرسمية فى جو له هيبته ومقامه العالى، ومع ذلك لم تخل أحيانًا من الخروج على الجو الوقور، والتحرر والشطط من جانب البعض كالفنان زكريا أحمد - على سبيل المثال - والذى كان يذهب فى انسجامه عند عرض بعض النماذج من ألحانه إلى هز «الكرش» و«طقطقة الأصابع» لضبط الإيقاع . . ويضحك الجميع . . ود. حسين فوزى ينظر إلىَّ بطرف عينه، كأنه يريد أن يقول: وهذه هى جلسات أهل الفن والطرب!

يذكرنى ذلك بإحدى رعايا فرق التليفزيون (ق. ش) عقب إنشائه وضم الكثيرين منهن إلى فرقه العديدة، وسمعت حينذاك من رئيس الهيئة الرجل الصالح والقاضى المهيب أمين حماد فى إحدى المرات أنها طلبت مقابلته لتقديم شكوى ضد زميلها الفنان الذى شتمها بلفظة نابية لم تستح فى ذكرها أمامه بصراحة فاضحة وأسرّ لى بنص الكلمة!

فالمسألة مع محمد عبد الوهاب يمكن القول أنها كانت مجرد - صدام عقد - ولا يمكن الإدعاء بأنه كان رافضًا، كما تصور الكثيرون لاتجاهاتنا الجديدة حول إثراء حياتنا الثقافية بالموسيقى السيمفونية العالمية، التى كانت فى يوم ما من روافد إبداعه . . بل كان سعيدًا بذلك، وأسف على فوات الفرصة للمشاركة فى الدعوة الصريحة لها، كما نجد فى تصديره لأحد الكتب الداعية لها حيث يقول: حينما اطلعت على كتاب «كيف تتذوق الموسيقى» (١) للموسيقار الكبير آرون كوبلاند، حسدت شباب الجيل القادم، وأسفت لسنوات أضعتها من عمرى . .

. . وعموما فقد حظى محمد عبد الوهاب بالتكريم، وأحس بأن الأمور قد عادت إلى نصابها وخاصة بعدما سمعه عن تكريم الوزير ثروت عكاشة لأعضاء أوركسترا القاهرة السيمفونى الجديد فى عام ١٩٥٩ ، وذلك فى حفل رائع بحديقة قصر عابدين . . ونال الشكر عليه فى ختام الحفل بمعزوفة قدمها عازف البيانو الشهير واليونانى المصرى «چورچ تميلى» ثم تسلم عبد الوهاب الدعوة لحضور اللقاءات مع الوزير، وفى قاعة ربما كانت فى يوم ما «قاعة العرش» بقصر عابدين، وجاء يجرر أذياله بين غيره من عمداء الفن، ودخل القصر من الباب الكبير وليس من الكواليس، كمطرب للملوك والأمراء كما قال عنه الملك فؤاد الأول!

. . ونعود إلى هذا اللقاء القصير، وما كان من حديث مع الفنان الكبير، حيث لمست المحاولة لتناول بعض أخبار لجنة الموسيقى بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والتى لم يكن عضواً بها، إلا أننى ذهبت بعيدًا فى أعماق الماضى حيث تكمن أحلى الذكريات مع باكورة أفلامه «الوردة البيضاء» . . ورويت له للتسلية كيف أن المخرج الظريف محمد كريم فاجأنى أخيرًا فى إحدى جلسات لجنة السينما بالمجلس الأعلى، فأشار إلىَّ وقال

---

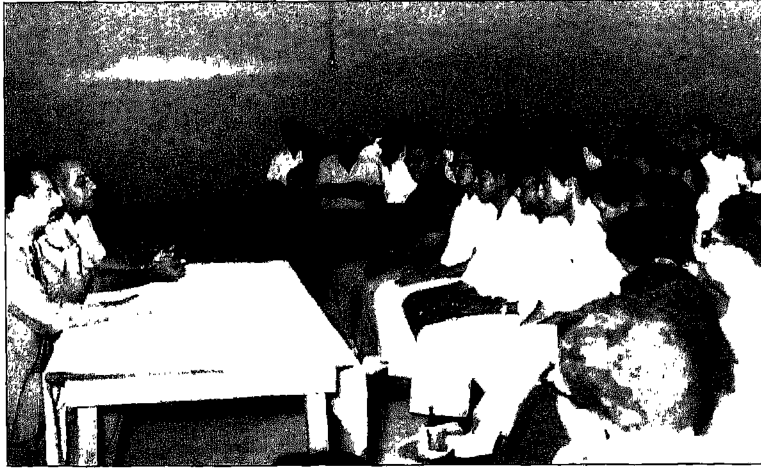
(١) ترجمة: محمد رشاد بدران - الناشر مؤسسة فرانكلين ١٩٥٨ .

للمجتمعين : الأفندى ده كان عندى كومبارس فى «الوردة البيضاء» ، وتأكيداً لكلامه جاء فى الجلسة التالية بمجموعة من الصور التذكارية لبعض اللقطات فى ريفنا البعيد عن القاهرة وتركها لى للذكرى . .

مع ثروت عكاشة:

ومع هذه اللقاءات كان الوزير الجديد ثروت عكاشة ، ينتقل بين الوزارة وكرسى الرئاسة للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب . . ويعود إلى الوزارة وفى معيّته الجمل بما حمل من الأفكار والتوصيات ، ويبدأ العبد لله مشواره معه ، وفي الجعبة أبحاث وقرارات وآمال وطموحات لجنة الموسيقى ، وحصيلة عامين من عمرها بالمجلس ، ثم تجيء اللجنة برمتها ، توصى وتفكر في المجلس وتقرر فى الوزارة التي بدت بدورها فى سباق مع الزمن ، خلال مراحل التنفيذ لما يتقرر أو ما تمليه حصيلة الوزير من ثقافات متنوعة ! وهل هناك أروع من تلك المفاجأة حين دعتنا الوزارة إلى حفل شاى في بقعة من حقول محافظة الجيزة ، غير بعيد عن إحدى قراها النائية ، وصلنا إليها بالبوصلة وأجهزة الاستشعار ! وهناك وجدنا موائد الحلوى والمرطبات فى الهواء الطلق ، في مناسبة رفع القواعد من أهراماتها الثقافية ، بإرساء حجر الأساس لمعهد السينما ، وذلك علي أبواب مدينة للفنون بمعاهدها للموسيقى والباليه والمسرح . . وقاعة سيد درويش للموسيقى ، وفى أذيالها معهد الموسيقى العربية وآخر للفنون الشعبية !

ومع هذه العلامات الكبرى كان القرار الحاسم بنقل أوركسترا الإذاعة إلى وزارة الثقافة تحت شعار «أوركسترا القاهرة السيمفونى» ليمارس حرية العمل والتنقل بين أكثر من مكان داخل القاهرة وخارجها ، فى إطار رسالة شاملة للحفلات السيمفونية والمشاركة فى المواسم الأجنبية للأوپرا والباليه والتسجيلات . . والسفريات إلى الإسكندرية ودمشق وبيروت . . وبصورة جديدة مبهرة حرّكت فيما بعد الطموحات والآمال نحو حركة مماثلة بالمحافظات لخلق حياة مسرحية وموسيقية على رأسها أوركسترا سيمفونى للمدينة ، كما أراد مثلاً المحافظ أحمد كامل فى أسيوط ، وحمدى عاشور بالإسكندرية !



▲ مع المحافظ فى افتتاح الموسم الثقافى بجامعة أسيوط .
(محاضرة استماع موسيقى)

الفن والروتين الحكومى:

وتوالت الإنجازات فى أعقاب مرحلة شاقة من المعوقات الإدارية التى اصطدم بها الأوركسترا قبل غيره من الفنون المسرحية التي كانت لها جذورها شبه الحكومية كالفرقة القومية بمسرح الأزبكية؛ منها مثلاً ذلك النظام الإدارى الذى كان يحكم تصرفات الأوركسترا وتحركاته كجهاز حكومى جديد، يضم عناصر فنية لا ينطبق عليها نظام الوظائف المستديمة أو التشغيل المؤقت لبعضها عند الاقتضاء! وكان النشر عن إقامة الحفلات يقتضى مثلاً إرسال مادة الإعلان إلى إدارة فرعية بمصلحة الاستعلامات كى تقوم بنشرها عن طريقها فى أصغر مساحة ممكنة، وبأصغر خطوط الطباعة، وفى صفحة الإعلانات المبوبة، وفى الصحيفة التى يحل عليها الدور فى نشر الإعلانات الحكومية، كنظام البيع والشراء والممارسة والمناقصة! يضاف إلى كل ذلك انعدام حرية التصرف فى الإنفاق ولو فى أضيق الحدود لتسيير أمور العمل اليومي كالاستعانة بعازف إضافى لحفلة أو عدد محدود من الحفلات، ولا يستدعى الأمر التعاقد لمدة طويلة معه.. أو استئجار الة موسيقية كالبيانو لإحدى الحفلات.. ثم هناك إجراءات النقل والتنقل للفرقة داخل القاهرة وخارجها!

ولقد كان من الأمور المنطقية، أن يتم تذليل هذه العقبات وغيرها بالسرعة المطلوبة، على الرغم من بعدها عن المفاهيم الحكومية وسلطان الروتين، وما جاء فيها من نظم غريبة غير مسبوقة فى الجهاز الإدارى للدولة وكان تشغيل «أوركسترا القاهرة السيمفونى» في صدارة هذه الأمور الملحة، وكان الاهتداء إلى علاجها مؤشراً لغيره كسياسة لاستحداث غيره من الأجهزة، حتى انتهى الأمر إلى التفكير فى إنشاء مؤسسة ذات حجم أكبر لفنون المسرح والموسيقى، تستقل بكيانها داخل النظام الحكومى مع التحرر فى نفس الوقت من قيوده المتوارثة.

ففيما يتعلق بعازفى الأوركسترا، وفى حدود الاعتمادات المتاحة كانت عقود تشغيلهم مؤقتة لمدة عشرة شهور فقط فى العام، وذلك فى إطار ميزانية متعددة المصادر تتحمل فيها كل من الإذاعة والسياحة ومصلحة الاستعلامات بمبلغ عشرين ألف جنيه فى العام.. وكان ذلك هو أقصي ما أمكن الوصول إليه بمبادرة ذكية من وكيل الوزارة الدكتور حسين فوزى! ومن الطبيعى إن كان ذلك يخلو من جدية الاعتراف بالعناصر الرئيسية فى حياتنا الثقافية وضمان بقائها لأداء رسالة يؤمن بها المجتمع.. أما فى ظل الوزارة الجديدة فقد رصد اسم الأوركسترا لأول مرة بين أبواب الصرف الحكومى في ميزانية الدولة، وذلك فى إطار اعتماد مالى قدره ثمانين ألف جنيه! ويعود هنا إلى الذاكرة ما قرأناه فى صحف اليوم التالى لمناقشة الميزانية بوزارة الخزانة، عن تألق الوزير الجديد ثروت عكاشة فى دفاعه الحار عن الاعتمادات التى تحتاجها وزارته فى مشروعاتها الحيوية الطموحة، حين تكلم وكأنه يلقى محاضرة زاخرة بكل اللباقة ومبررات الإقناع بأهمية الثقافة وأثرها فى الارتقاء بالمجتمعات وبناء الحضارات، حتى انحنت أمامه رؤوس المال وفتحت الخزائن تصديقًا بالرسالة الجديدة!

وفى محاولة لتصور الموقف الصعب، يحضرنا هنا من السوابق مع وكيل وزارة الخزانة سعد الدين طه، الذى جلس فى هذه المرة إلى جوار وزيره الدكتور عبد المنعم القيسونى مطمئنًا إلى مؤازرته له فيما يذهب إليه، وربما كان يتصور مواجهة ثروت عكاشة تحت نفس الظروف التى أحاطت بتجربته الناجحة قبل ذلك مع أعضاء المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب حين أجهض أحلام المتنورين منهم، فيما ذهبوا إليه مثلاً من اقتراح استغلال موقع فندق «شبرد» بشارع إبراهيم باشا، بإقامة دار جديدة للأوبرا هناك، قائلاً إن الموقع محجوز لمشروع مبنى إدارى.. فانفجر توفيق الحكيم قائلاً: «أيوه عشان تبنوا فيه دكاكين فول وطعمية!! وانتصرت بعد ذلك جبهة الفول والطعمية، وعزّزت انتصارها فيما بعد بإقامة «جراج» للسيارات فى موقع الأوبرا الخديوية!

وظيفة مدير الأوركسترا:

وهكذا بدأت مرحلة حيوية في تاريخ الأوركسترا، فتم تثبيت العازفين بعقود سنوية شاملة للإجازة المدفوعة. وتحقيقًا لاستكمال الجانب الفنى فى توافق أصوات الآلات الموسيقية، تم استيراد مجموعة النفخ الخشبية من مصانع «سيلمر» الشهيرة بفرنسا، والنحاسية من مصانع «كون» والإيقاعية من «لودڤيج» بالولايات المتحدة الأمريكية.. وواكب كل ذلك إصدار القرارات الإدارية للتفويض بالسلطات فى الصرف وما شابه ذلك من الأبواب والإجراءات التي تكفل استقرار الأوركسترا كجهاز له تقاليده المعروفة لدى غيرنا وضمانات إحاطته بأفضل الظروف لتفرغه لرسالته! ولا ندعى هنا السير على طريق مفروش دائمًا بالحرير، وخاصة عندما أريد استكمال الهيكل التنظيمى له باستحداث وظيفة: مدير الأوركسترا، لممارسة المسئولية، وبكل وجوه الاتقان على غرار سواه فى عالم الفن والثقافة.

وكما سبق أن تعرضنا لقوة السلطة، حين تسخّر لخدمة الفكر والفن، وفى دفع الجهود وصدق النوايا بمجرد مؤشرات وردت مثلاً فى كلمات لجمال عبد الناصر بين ما رفع من الشعارات فى سنواته الأولى، فإن ثروت عكاشة ذهب بعيدًا، وبكل الوعى فى استعداده للتضحية بكل شيء فى سبيل تلك الشعارات وما يحققها! وفى ضوء ذلك، وبعد أن نجح مثلاً فى تنفيذ القرار السابق بنقل الأوركسترا السيمفونى الجديد من الإذاعة إلى دار الأوبرا، فإنه لم يشأ أن يترك مسئولية هذا الأوركسترا الجديد الذى يعتز به كل الاعتزاز، لمصادفات النجاح والفشل، فلا أنسي ذلك اللقاء الحار الخالد معه في مكتبه بالوزارة، حين فاجأنى فى نهاية أحد اللقاءات باقتراحه تعيينى مديرا للأوركسترا.. ولم أتحمس لذلك متعللاً بأن ما فضلته دائمًا من مسئوليات في مجال الفن، ينحصر فى البحث والتخطيط وتنظيم الأنشطة العامة وتقديمها، امتدادًا لعملى بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، وبرامج: ندوة الفن، بمصلحة الفنون! ولا استبعد هنا أن كان فى أعماقي شيء من عقد د. حسين فوزى حول جو الفن!

وهنا أسكتنى الوزير الفنان وأقنعنى بأقل الكلمات فى أصدق العبارات، حين قال: لو لم يكن من الأمور غير المألوفة، أن يمارس الوزير بنفسه مهام هذه الوظيفة إلى جانب عمله ومسئولياته، لتوليتها بكل ارتياح! وابتسمت مصدقًا لما يظهر ويبطن، سعيدًا بلقائنا علي الحب الكبير للموسيقى الرفيعة والتقدير لرسالتها السامية فى مجتمعنا الجديد. ولكنى أضفت كلمة سمح لى بها، فعدت إلى اللقاء الأخير بحضوره فى اللجنة الفرعية للموسيقى بالوزارة، عندما فرغ من الحديث عن تطلعاته وما يتوق إليه من رسالة لها أهميتها فى واجبات الأوركسترا نحو حياتنا الفنية، وطلب من الأعضاء التفكير فى اختيار الشخص المناسب لترشيحه لوظيفة: مدير الأوركسترا.. وأردف قائلاً إنه يتوقع اتفاق الجميع على نفس الشخص! وهنا فوجئ عندما قلت له إن أحدهم[1] وسمّيته له، أسرّ فى أذنى فورًا بأن الوزير يقصده بالذات، وطلب منى اقتراح اسمه، فوعدته بذلك.. الأمر الذى يضعنى الآن فى موقف حرج!

وبانفعال شديد، نفى الوزير ثروت عكاشة ذلك مؤكدًا أنه لم يقصده ولم يتحدث معه أبدًا فى هذا الشأن! وكان رد الفعل المباشر، هو إصداره للقرار الوزارى[2] بتنظيم شئون الأوركسترا وإدارة أنشطته من خلال لجنة قمت فيها بعمل العضو المنتدب والممثل لها لحين إتمام الإجراءات الوظيفية للتعيين.

---

(١) نقيب الموسيقيين.

(٢) قرار رقم ٥٨ فى ١٧/ ٢/ ١٩٥٩.

مرحلة حاسمة:

وهكذا بدأت مرحلة حاسمة في مشوار العمر، بما فيه من إنجازات حكومية رائدة فى نطاق الموسيقى الرفيعة ومشروعات فنية جديدة حرص الوزير دائمًا على متابعتها عن قرب!

ورغم أعباء العمل والمسئولية الملقاة على عاتقى، فقد كانت هناك شخصيات تأنس إليها كما يأنس المسافر لظل وارف ونسمة باردة، ومن وراء الكواليس مواقف وطرائف، طالما واجهتها بين مكاتب وزارة الثقافة، بقى منها في الذاكرة، ذلك الحديث مع أستاذى الأسبق بمدرسة حلوان الثانوية، وكيل الوزارة المالى عبد العزيز وصفى، الذى سألته عن حدود سلطاتى فى الصرف من الاعتماد الرسمى المقرر للأوركسترا بميزانية الدولة، فقال: لو وقّعت أنت على فاتورة لشراء «فجل وجرجير» لتم صرفها. . ولكن أريد فقط سؤالك عن حكاية «الهارِب» الذى تكرر ذكره فى مكاتبات سابقة، فضحكت وقلت له إنه «الهارْب» آلة موسيقية فى الأوركسترا، بسكونِ الراء وليس بكسرها! وانتهى اللقاء كالعادة، فى جو من الود والصفاء؛ خاصة عندما كنت أصرّ على تقبيل يده فى الكبر بعد أن علّمنى حرفًا فى الصغر!

أضيف هنا أن هذا الرجل الكبير كان يتحمل فى عهد ثروت عكاشة، ما يفوق طاقته من أعباء، مثل ذلك اليوم من عام ١٩٦٧، فى أثناء عطلة العيد، وكنت غارقًا فى متابعة العمل بقاعة سيد درويش الجديدة، لإعدادها للافتتاح فى ٢١ من مايو ١٩٦٧، حين فوجئت به يقف أمامى هناك، بناءً على اتصال هاتفى من الوزير، ليرى إن كنت فى حاجة لمعاونته. . فشكرته وانصرف!

دار الأوبـرا:

هذا، وبعد مرور عام تقريبًا على المعايشة القريبة لجو الفن فى تجربتنا الجديدة مع أوركسترا القاهرة السيمفونى وما فيها، وخلف الستار من طرائف وشطحات ومواقف وأزمات، لا يلمسها المتلقى لثمار الفن والجمال، أضاف لى ثروت عكاشة اختصاصات الوكيل لدار الأوبرا!

وكان فى الحقيقة قرارًا موضوعيًا، ينم عن فهم كامل لطبيعة العمل الفنى فى دور الأوبرا حيث يعتبر الأوركسترا السيمفونى هو العنصر الأساسى فيه، والذى يمكنه فى بعض الحالات، بمشاركة العنصر الغنائى من مجموعات وأفراد تقديم الأعمال الأوبرالية للاستماع دون مشاهدة مسرحية. . وبدون الأوركسترا تتساوى الدار مع أى مكان للعرض المسرحى. . ومن ناحية أخرى، فإن وجود الأوركسترا بمبنى الدار ييسر له ما يحتاجه من خدمات فى موقع العمل - وفى مرحلة متأخرة، انضمت أيضًا فرقة الباليه الجديدة من خريجى المعهد الخاص بهم، إلى مكونات الدار حتى بدت فى النهاية ولأول مرة فى تاريخها مستكملة لكل عناصرها على غرار الدور المماثلة فى العالم! أما ما كانت تقدمه الدار طوال عهودها السابقة، فكان يقوم على العناصر الوافدة بكل تخصصاتها - وفي أوائل الخمسينيات نذكر أن صادفنا مشهد طابور العازفين الإيطاليين بآلاتهم الموسيقية لحظة نزولهم من الباخرة بميناء الإسكندرية للمشاركة فى الموسم السنوى التقليدى للأوبرا!

وفى دارالأوبرا، بدأت مرحلة جديدة من العمل، اقتربت خلالها أكثر فأكثر، ليس فقط من الفنانين الأجانب الزائرين والمحليين، ولكن أيضًا من فئة ذات نوعية خاصة من العمال! أذكر من المسنين منهم مثلاً «عصفور» العملاق و«عبد السِّيد» ذى البشرة النوبية السمراء، من المسئولين عن خدمات المقصورات الرئاسية، وكانا حتى ذلك الوقت يرتديان الطربوش والجلباب الأزرق الطويل، الموشى بزخارف القصب وخيوط الذهب، على غرارزأمثالهم بالقصور الملكية.. وكان ثانيهما قد خصص لنفسه غرفة ملحقة بإحدى المقصورات وأطلق عليها اسم: المتحف.. أرضها مفروشة بالبساط الأحمر وحوائطها مكسوة بالحرير من نفس اللون، وقد كساها فى معظم مساحاتها بطريقة بدائية بقصاصات من الصحف القديمة المصورة، يتخيّل فيها تاريخ مصر الذى يرويه للزائر، فى حدود فهمه، لتعريفه بتاريخ بلده! وليجعل فى النهاية من هذا الركن الخفى بالدار، منطقة حرامًا لا يقربها أحد!

والجو العام بالدار، كان يوحى إلى حد ما بأنها لا تزال «أوبرا ملكية» لا تخضع للنظم الحكومية.. وفى يوم ما روى لى الزميل عبد اللطيف سابق من المخضرمين بالدار، كيف أن المدير سليمان نجيب، حين كان ينوى السفر إلى الخارج، لعقد الاتفاقات مع الفرق الأجنبية لتقديم مواسمها بمصر، لم يكن يكتب مذكرة يرفعها لمعالى وزير المعارف العمومية للاستئذان فى القيام بالمهمة، ولكن يخطره فقط بذلك قائلاً: «إن صاحب الجلالة مولانا الملك قد تفضل بإصدار أمره السامى بسفرى..».

ولقد كان من الأمور المنطقية فى هذا الجو أن يصيبه القلق حول مصيره بين الملكية التى عايشها طويلاً ومنحته رتبة «البكوية» والثورة التى لم يكن قد تبيّن موقفها من الأوبرا: ملتقى الأرستقراطية! وكان القدر رحيمًا به، إذ توفى بغتة فى آخر عام ١٩٥٤.. وتحدث فى نفس العام المواجهة بين النظامين تحت قبة الدار، كما علمنا تفصيلاً بعد بضعة سنوات من رفيقى المشوار الطويل هناك: شكرى راغب وعبد اللطيف سابق، حين عادا إلى ذكرى تلك الليلة التى جاء فيها الرئيس محمد نجيب لحضور إحدى حفلات الموسم السنوى للأوبرا الإيطالية.. وخلال الاستراحة لم يتوجه إلى المقصورة المخصصة لرئيس الدولة، ولكنه دخل إلى غرفة الصالون الخاصة بالرواد من شاغلى مقصورات الدور الأرضى، حيث كان يجلس السفير الأمريكى «كافرى» المعاصر للبدايات الأولى من الثورة، ومعه السفير التركى! ووقف الأول فورًا للتحية وصافحه محمد نجيب، بينما بقى الثانى جالسًا لا يعيره أى اهتمام، رغم وقوفه أمامه للتحية، فقد كان يشعر بالمرارة بعد أن صودرت أموال زوجته التى تنتمى إلى الأسرة المالكة بمصر! وهنا تحرّك وزير الإرشاد القومى صلاح سالم المرافق للرئيس.. واتجه إلى أقرب مكتب على خشبة المسرح، واتصل هاتفيًا بوزارة الخارجية.. وطرد السفير المتغطرس من مصر خلال ٢٤ ساعة!

وفى ضوء هذا الجو السائد، بدت الدار وكأنها جزيرة منعزلة عن الدولة والحكومة.. لها تقاليدها التى أعطت مثلاً الحق للمسئولين فيها، بفتح أبوابها لحفلات الفرق والجمعيات الأهلية لقاء مقابل مادى، بلغ على ما أذكر خمسة عشر جنيهًا للحفلة الواحدة، ويتم توزيع الحصيلة من مجموعة الحفلات لكل فرقة على العاملين بالدار، بفئات متدرجة حسب المستويات الوظيفية، وكأنها قطاع خاص! وكان لى نصيبى من أعلى الفئات..

ولكنى أضمرت فى نفسي النية على التغيير الصعب، رغم مرور السنوات على توارث هذا النظام من الكسب غير المشروع! ومع أولى خطوات المواجهة لذلك، تأزم الموقف . . فقد زُجَّ بمجموعة من العمال للتصدى لى بكل صراحة ووضوح . . وتحرّكوا نحو غرفة مكتبى فى مظاهرة صامتة . . وتكدّسوا خارجها في الممر الموصل إليها فى ركن من سراديب الدار . . وفى أيديهم «الشاكوش والمطرقة» وغيرهما من الأدوات المستخدمة في العمل . . أو فى المآرب الأخرى؛ ودخلوا . . وربما كان فى أذهانهم صورة من هو أكبر من هذا الضابط الشاب الذى يريد أن يحرمهم من أرزاقهم! ألم يطلق غيرهم النار على قائده وكبير بلده جمال عبدا لناصر في ميدان المنشية؟ وفى لحظة خاطفة، عادت إلى الذاكرة صورة اللقطة التى كان يتندر بها صديقنا الطبيب السودانى الفنان عمر أبو بكر، حين توجهت حشود الثوار المهديين إلى قصر الحاكم الإنجليزى «غوردون» لقتله، وعندما فاجأهم بالخروج إلى شرفة القصر وأطل عليهم، تراجعوا خطوة قبل أن توجه له السهام! وهكذا تراجع الثائرون علينا خطوة وخطوتين حين فاجأتهم بالترحيب بسماع شكواهم، فتحدث زعماؤهم من أصحاب خشبة المسرح؛ ووعدتهم بالعرض فوراً لشكواهم على الوزارة للنظر . . وتوجهت إلى حكيمنا وكيل الوزارة : عبد المنعم الصاوى، والذى ـ لا أدرى ـ لماذا أصيب بعد مشوار طويل من التعاون المثمر، بعقدة الكراهية للضباط! ولقيته حينذاك وفى جيبى من المال ما رضيت بقبوله مرغمًا، وقلت له : هذا مال حرام أتقاضاه من دار الأوپرا وشرحت له الموضوع، وكان الحل البطئ هو العودة إلى ما انتهينا إليه من قبل عند الاصطدام بمشاكل الروتين الحكومى عند بدء تشغيل أوركسترا القاهرة السيمفونى، وهو الإسراع باستصدار القانون الذى يقضى بإنشاء مؤسسة، تستقل بلائحة العمل الملائمة للأنشطة الفنية دون شطط عن المفاهيم الحكومية، وتضم الأوركسترا ودار الأوپرا وغيرهما مما يستجد ويستحدث من أجهزة!

مؤسسة للمسرح والموسيقى:

وهكذا ولدت أخيراً مؤسسة فنون المسرح والموسيقى التى كنت أصغر الأعضاء سنًا فى مجلسها الموقر، فور إنشائها فى عام ١٩٦٠، بينما شغل عبد المنعم الصاوى منصب الرئيس، والأديب الكبير د. على الراعى منصب المدير العام! وبين أول القرارات، كان تشكيل لجنة فرعية من أعضاء المجلس، لوضع مشروع اللائحة لتنظيم العمل وفئات الأجور . . ومن الطريف هنا، أن كان ممثل وزارة الخزانة فى المجلس، عضواً بهذه اللجنة، وفوجئ بأن عازف الأوركسترا أو منشد الكورال يتقاضى مكافأة شهرية متميزة عن موظف الحكومة، وكان تعليقه : «ما نروح إحنا كمان نشتغل كورال!» وكان ردى المباشر عليه : «ما تنفعش يا بيه!!» وقد ظللت بعد ردى هذا من وجهة نظر وزارة الخزانة، الخارج على القانون، ومحطم الهيكل المقدس للروتين . . حتى إذا ترك ثروت عكاشة الوزارة الأولى، فوجئت بما لم يكن فى الحسبان : مطالبتى برد مبلغ كبير إلى وزارة الخزانة، يمثل جملة أربع سنوات تقريبًا لمبلغ خمسة جنيهات كان الوزير قد أضافها لمكافأتى الشهرية، عندما أسند لى منصب وكيل دار الأوپرا بالإضافة إلى وظيفتى الأصلية كمدير لأوركسترا القاهرة السيمفونى!

وبعد شد وجذب ـ دون جدوى ـ مع وكيل الوزارة والفقيه فى الشئون المالية، عبد الرحمن

أبو العينين، نزلت عدالة السماء بعودة ثروت عكاشة فى وزارته الثانية، ليطلب من وزير الخزانة حفظ الموضوع . . وانتهى الأمر على خير(١).

أما الأهم من ذلك، فكان تعرض الأوركسترا دائمًا للهجوم عليه وطمس كل إنجاز لامع أو إضافة المزيد لنشاطه، كالمهرجان السنوى «٢٣ يوليو» لمؤلفات المواطنين والذى استحدثناه للتشجيع على التأليف السيمفونى، خلال الفترة الفاصلة بين وزارتى ثروت عكاشة! وتجددت الهجمات من قواعد جديدة ولا سيّما من جانب الحواريين من أعضاء نقابة المهن الموسيقية، بحجة إنقاذ المصالح العليا للوطن من تحرك «الخواجات» وأنصارهم في المجال الثقافى؛ وقد حيّروا آنذاك معهم السيدة المهذبة د. حكمت أبو زيد، أمينة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى ووزيرة الشئون الاجتماعية فيما بعد وأصابوها بالصداع المزمن من كثرة الكلام عن «شخصى الضعيف» عدو الاشتراكية الدخيل على الفن والخطير على الوطن، ثم انتقل الهجوم إلى جبهة الكونسيرڤتوار!

معهد الكونسيرفتوار:

وكانت وزارة الثقافة فى أول عهدها بين يدى ثروت عكاشة قد حسمت نهائيًا وبكل وضوح، كما سبق أن قلنا موضوع دراسات التخصص فى فنون الموسيقى، وسارت الأمور بكل صراحة وشجاعة دون حاجة للتحايل والبحث عما يقنع الجاهل قبل المثقف . . وأصبح معهد الكونسيرڤتوار حقيقة واقعة رغم صورته المتواضعة، حين اقتصر فى البداية على القسم الإعدادى . . وحتى بدا فى النهاية كل شىء نموذجيًا مشابهًا لنظم الدراسة فى الخارج، وخاصة بعد أن اكتمل البناء.

وكنا قد عايشنا مولد الفكرة قبل سنوات، عند تنفيذ مشروعنا لرعاية الموهوبين بمدارس وزارة التربية والتعليم فى أواسط الخمسينيات، وما تلاه من إضافات مكملة للمشروع . . ثم شاركنا فى مرحلة الحسم بوزارة الثقافة، وحتى آخر الاجتماعات لمجلس المعهد مع عميده أبو بكر خيرت فى اليوم السابق لوفاته المفاجئة فى ٢٥ من أكتوبر ١٩٦٣ . . وعانينا فى أعقاب ذلك، ما بدأ ظهوره من بوادر الردة التى كانت لها جذورها القديمة! وفى مواجهة هذه الردة كان التكتل لأسرة المعهد فى اجتماع عاصف بالمدرج الذى أطلقوا عليه فيما بعد اسم عميدهم الأول: أبو بكر خيرت . . وجاءنى حينذاك بإدارة أوركسترا القاهرة السيمفونى مندوبون عنهم يمثلون الأساتذة والطلبة، برئاسة أستاذة الغناء: چيلان رطل، ينقلون رغبتهم فى ترشيحى لمنصب العميد، فرفضت! وفى نفس اليوم، اتصل بى هاتفيًا الكاتب الصحفى سامى داود، من أقرب المتعاطفين مع القضية، طالبًا منى عدم إعلان الرفض، ومن بعده الصديقان جمال عبد الرحيم ود. سمحة الخولى، رفيقا الطريق الشاق لتحقيق فكرة مشروع المعهد؛ وكل ذلك وسط جو يسوده القلق والخوف من تحركات المنتفعين الذين لا علاقة لهم بجو المعهد ولا تعنيهم رسالته الجادة!

---

(١) شاءت الأقدار أن يتم اللقاء مع الوكيل بعد أكثر من عشر سنوات، مع فوج الرجل الصالح والوزير الأسبق عبد الرحمن الشاذلى فى رحلة الحج . . واسترجعنا الذكريات . . وكان الصفح والتصالح فى أكرم مكان: على جبل عرفة!

وفى الجو العام بين أخبار الصحف بعد ذلك ترددت أسماء د. حسين فوزى والمهندس محمود النحاس المدير الأسبق للأوبرا ورئيس العلاقات الثقافية الخارجية وكاتب هذه السطور مدير أوركسترا القاهرة السيمفونى وعضو مجلس المعهد . . وذلك للاختيار من بينهم لشغل المنصب!

ولا أنسى هنا الموقف النبيل للقاضى العادل أمين حماد، منذ أخطرته هاتفيًا بخبر وفاة العميد، وجاءنى فورًا إلى منزل الفقيد، وأمر بكل الإجراءات حتى آخرها[1]، وذلك كرئيس لهيئة الإذاعة والمشرف بصفة مؤقتة إلى جانب ذلك على كل ما يتعلق بالمسرح والموسيقى، حتى إذا فرغ من ذلك، استجاب لوجهة النظر المحققة للصالح العام، وتم بعون الله استئناف المسيرة، حين شاركنا مع د. حسين فوزى فى لجنة برئاسته لمراجعة شئون المعهد، الذى أوحى إليه المغرضون بأن كل أموره تسير فى جو من الفوضى والجهل! وانتهى الرأى إلى استقدام خبير لتولى مسئولية المعهد من ذوى الشأن بالمراكز الموسيقية فى أوروبا . .

وجاء ضيفنا الإيطالى العجوز «نورديو» بعقل غير متفتّح شأن معظم مواطنيه بالمنطقة غير المتوسطية بين شمال إيطاليا وجنوب النمسا، إلا أن الأخطار المحيطة بالمعهد كانت قد تبددت وسارت الأمور فى أجواء طبيعية!



وانصرفنا بدورنا إلى ما يضمن استقرار الجانب الآخر من حياتنا الموسيقية : أوركسترا القاهرة السيمفونى، ونجحنا فى الامتداد باهتمامات رئيس هيئة الإذاعة والمسرح والموسيقى : أمين حماد إلى هذا الجهاز الحيوى، وتعاطف معنا فى سرعة تدبير احتياجاته بما لا يعرقل انتظام نشاطه، سواء بالتفويض بالسلطات فى موقع العمل أو دعم المقومات واستقدام العازفين لتقوية المجموعات، الأمر الذى كانت له أهميته فى ظروف إعادة التنظيم لأجهزة المسرح والموسيقى، وإسناد رئاستها إلى الأديب الفنان والناقد الكبير وصائد اللآلئ فى بحار القصة د. على الراعى، والإدارة العامة للكاتب السياسى اللامع والمدير الأسبق للفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى بمسرح الأزبكية أحمد حمروش، الأمين على فكر جمال عبد الناصر حتى أبعد طموحاته نحو تضامن عربى مع الشعوب الإفريقية والآسيوية والتى أسفرت مع مرور الأيام على انتشار حركات التحرر وظهور دول كثيرة على خريطة القارتين! وواجه الاثنان مرحلة الانفجار فى عالم المسرح بمصر حين كثر المؤلفون وكثرت الفرق السرحية! وذلك مع أعضاء المجلس الفنان أحمد سعد الدين والكاتب رشدى صالح والمحاسب عبد الخالق ثروت!

واستأنفت قافلة الثقافة مسيرتها مع وزارة جديدة لثروت عكاشة، وفى معيتها الإضافات التاريخية التى كانت قد ولدت فيها من فرق ومعاهد للسينما والمسرح والباليه، وللموسيقى معهد كونسيرفتوار جلسنا بين أعضاء أول مجالسه، وحياة موسيقية مترامية الأطراف، يواكب ذلك الافتتاح الكبير لقاعة سيد درويش للموسيقى!

---

(١) تم إطلاق اسم أبو بكر خيرت، على الشارع المجاور لمقر الإذاعة .

قاعة سيد درويش للموسيقى:

وكانت هذه القاعة الجديدة، تمثل إضافة غير مسبوقة فى مصر، لأهم المنشآت الثقافية كقاعة متعددة الأغراض، لم يكن هناك ما يقدم خدماتها الثقافية سوى قاعة «إيوارت» التذكارية بالجامعة الأمريكية[1]. . وعلى نطاق أكبر: قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة. . وفى مجال الاستماع الموسيقى: دار الأوبرا المحدودة فى عدد مقاعدها! وكانت قاعتنا هذه قد أقيمت بين غيرها من المعاهد الفنية التى تولى تصميمها والإشراف على تنفيذها الفنان المهندس أبو بكر خيرت، ثم مات قبل إنجازها وإعدادها لمهمتها، بينما كانت أبنية المعاهد قد فتحت أبوابها لاستقبال الدارسين! وقد ظلّت القاعة أربع سنوات على حالها من الهجر والنسيان، وترتع على آلة الأورغن الخاصة بها والجديدة على حياتنا الموسيقية، فئران الحقول المحيطة بها، وسط بيئة زراعية كانت لا تزال تخترقها القنوات المغمورة بمياه الرى!

. . ومع بداية عهد الوزارة الثانية للدكتور ثروت عكاشة فى عام ١٩٦٦، استؤنف العمل بها بكل همة وحماس، فى مرحلة جديدة من الإنجاز الثقافى العام، وأسندت لى خلالها إلى جانب عملى الوظيفى، مهمة الإشراف على أعمال استكمال الصرح الفنى، حيث واصلنا الليل بالنهار والنهار بالليل، ونسينا العطلات الرسمية والأعياد، وكأننا فى سباق مع الزمن، بعد أن تولى وضع خطة العمل الداخلى بتفاصيلها مكتب الخبرة الفرنسى «كوردونييه» الذى استدعى لهذه المهمة، تحقيقًا لأقصى درجة من المحسنات الصوتية طبقًا لمفاهيم العصر! وقد تولى حينذاك مهندس الديكور القدير: مدحت شاهين وضع التصميمات التنفيذية حتى أدق التفاصيل فيها. . وحتى أحواض الزهور التى بالغ فى الاهتمام بها على غير المألوف فى الجو الحكومى! أما فريق العمل فقد جاء من خيرة السينمائيين فى ستوديو مصر، تحت إشراف مهندسى الديكور: أنطون پوليزويس، وظريف عزيز الذى لا يكل ولا يمل، وكان له دوره الممتد بعد الافتتاح وطوال السنوات التالية؛ وكل ذلك فى إطار عمل متشعب شمل الكثير مما نذكر بعض جوانبه هنا كمجرد تجربة هندسية، قد تفيد من يتعرض لمثل ظروفها:

أولاً:

١ - سد جميع النوافذ والفتحات الخارجية للقاعة، وخاصة الواجهة الأمامية التى تمّت تغطيتها بلوحات زخرفية تمثل وحدات موسيقية متكررة. .

٢ - تبطين الأبواب الجانبية للقاعة على وجه يحقق العزل الصوتى الكامل لها، وفرش البهو الرئيسى بمدخل القاعة والممرات الجانبية والدرج (السلالم) بالسجاد والموكيت، مع تبطين الحوائط الداخلية أيضًا فى مقصورات الدور الأرضى، بتجليدها بالصوف الزجاجى. .

٣ - إضافة ستائر سميكة من لون الموكيت، أمام النوافذ بالبهو الخارجى، مع اختيار أنسب التصميمات لمقاعد الرواد فيه، وكذا معلقات الإضاءة التى اختيرت لها أشكال زخرفية موسيقية!

---

(١) أضيفت هذه القاعة إلى مبنى الجامعة الأمريكية، بعد إخلائه من الجامعة المصرية (فؤاد الأول) فى عام ١٩٠٨، وانتقالها إلى أبنيتها الجديدة فى الجيزة. . ويرجع المبنى فى أصله إلى «سراى چاناكليس» بميدان الخديوى إسماعيل (التحرير).
. . وفى صورة تذكارية لمجلس الجامعة المصرية، نجد الأمير أحمد فؤاد ومن العلماء والشخصيات البارزة: ماسبيرو (مدير الآثار المصرية) ومرقص حنا، وعلى بهجت، ويعقوب أرتين باشا، وعبد الخالق ثروت باشا، وحسين سعيد باشا. وكان بين أساتذتها حفنى بك ناصف، والشيخ محمد الخضرى (مؤرخ).

ثانياً :

١ ـ تزويد خشبة المسرح بعواكس خشبية كبيرة، تحقق ارتداد الصوت من ركنيها إلى وسط الصالة . .
٢ ـ إضافة مدرجات خشبية فى خلفية خشبة المسرح تصطف فوقها فرقة الغناء الإجماعى (الكورال) بدلاً عن الشرفات المعلقة إلى الجانبين، بعيدًا عن السيطرة المباشرة لقائد الفرقة، ودون ضمان لتجمع الكتلة الصوتية فى مصدر واحد .
٣ ـ استبعاد الستار الرئيسى من مقدمة خشبة المسرح، حيث يأخذ المنظر شكلاً مسرحيًا أكثر منه شكلاً موسيقيًا، مع احتمال امتصاصه للصوت المنبعث من الفرقة، بينما ينبغى إفساح المجال لها كى تمتد فى صفوفها إلى الأمام بقدر الإمكان فى مقدمة المنصة، فينطلق الصوت بكامل قوته نحو قاعة المستمعين .
٤ ـ امتداد خشبة المسرح إلى الأمام، لتقليل المسافة بين الأوركسترا والمستمعين بالقاعة .

ثالثًا :

١ ـ استحداث مقصورة فى الدور العلوى لكبار الزوار، مع استراحات مزودة بدورات المياه . . و غرف للفنانين .

رابعًا :

١ ـ استكمال وتجديد وتقوية شبكات الكهرباء .　　٢ ـ مراجعة شبكات الصرف .
٣ ـ مراجعة محافظة الجيزة لغرس الأشجار على جانبى الشارع الموصل إلى القاعة من شارع الهرم .

لوحة الواجهة

هذا، وقد تم تكليف فنان النحت الكبير أحمد عثمان بتصميم لوحة جدارية للواجهة الخارجية للقاعة! وهنا تعود بنا الذاكرة إلى اللقاءات والجلسات الطويلة معه فى صيف عام ١٩٦٦ . . وقد جلس القرفصاء فى غرفة الصالون، حيث تكدست حوله أهم مقتنياتنا من المراجع لاستلهام الفكرة . . ويقلّب الصفحات . . ويستسلم للتفكير، تكاد تأخذه سنة من النوم . .



الفنان أحمد عثمان أمام الجزء الرئيسى من اللوحة التى صممها لواجهة القاعة .
(مؤسس كلية الفنون الجميلة بالأسكندرية ـ ١٩٥٧)

وكان فى البداية قد عرض فكرة مبدئية لم يقتنع بها الوزير ثروت عكاشة، فقال له: أريد بإيجاز من «ميكلانجيلو» المصرى إبداع لوحة معبّرة عن المبنى، ولا تحتاج إلى وضع لافتة على باب القاعة للتعريف برسالتها! وهكذا أتحفنا أخيراً باللوحة الراهنة، ممثلة لأطوار الفن الموسيقى عبر الحضارات من مصر القديمة إلى العربية.. وحتى النهضة الأوروبية!

الإعداد الفنى لبرنامج الافتتاح:

وكان قد تقرر ليوم الافتتاح ٢١ من مايو ١٩٦٧، حيث تبدو القاعة على أكمل ما تكون تصميمًا وتجميلاً وإعدادًا فنيًا، روعى فيه ظهور كل إمكاناتنا الموسيقية من أوركسترا وكورال فى أروع حالاتها، تحت عصا الفنان المرموق على المستو العالمى: شارل مونش! وحتى يتيسّر تذليل كل العقبات أمام زيارته لنا فى ظروف كبر سنّه، وعدم إمكان بقائه لدينا فترة طويلة، فقد سبقه إلينا القائد اليوغسلافى چيكا زدراڤكوڤيتش، قائد فيلهارمونية بلجراد، وصديق القاهرة منذ جاء فى معيّة الضيف الكبير «تيتو» للمشاركة فى الحفلات المشتركة للترحيب به فى زيارته الأولى لجمال عبد الناصر، وكان فى الحقيقة قد جاء قبل ذلك فى عام ١٩٥٤، بصحبة أوركستراه وفنانهم الكبير: بارانوڤيتش الذى قاد عزف بعض مؤلفاته فى دار سينما قصر النيل!

.. هذا، وقد قام «زدراڤكوڤيتش» بإجراء التدريبات اللازمة على فقرات البُرنامج المقرر للافتتاح، بعد أن اصطحب معه بعض العازفين من مواطنيه لتعزيز المجموعات فى أوركسترانا ـ وراعينا من جانبنا توفير سبل الراحة للفنان الكبير شارل مونش وتحركاته المحسوبة بالقاهرة، بما يزيدها قبولاً وتسلية وتهيئة نفسية لمهمته الفنية، وبقيت لنا من ذلك بعض الذكريات معه، حين نظر مثلاً إلى إحدى الصور المعلقة بمنزلى، وتأملها قليلاً ليتساءل فى النهاية إن كانت لملكة اليونان! وكانت فى الحقيقة لقطة من التصوير الضوئى الرائع للفنان الهاوى: ينى كناريس، الذى لم تتعارض مشاغله فى مطعمه اليونانى «تاڤرنا» بالقاهرة، مع سرعة التنقل بين «كواليس» دار الأوبرا، لترقب أجمل ما كان يظهر فى مواسمها من لقطات فنية رائعة!



الوزير د. ثروت عكاشة مع القائد شارل مونش والعازفة نيكول أنريو ◄

• مفاجأة الافتتاح:

وأخيراً حانت لحظة الافتتاح، بعد أن أخذت القاعة زخرفها وازّينت، وظننا أن لم يعد فى الإمكان أفضل مما كان، حين حدث ما لم يكن فى الحسبان: لقد كانت الساعة قد جاوزت الثانية بعد الظهر، ولم يبق أمامنا سوى الانصراف لنتزيّن نحن أيضًا لاستقبال الليلة الكبيرة، حين حدثت المفاجأة! ففى نظرة شاملة وسريعة على أنحاء المبنى بأطرافه المترامية وجيوبه السحرية، اكتشفنا التسلل والتكاثر السريع للمياه الجوفية المتسربة من الحقول المحيطة بالقاعة دون سابق إنذار، ولتبلغ أكثر المستويات انخفاضًا بالمبنى: ذلك الخندق الذى تقبع فيه موتورات تشغيل آلة «الأورغن» عروس الحفل التاريخى وضيف الحقل الموسيقى. . وبدونه تتجرد سيمفونية «سان صانص» التى تقدم بمصر للمرة الأولى، من أهم مقوماتها وأسباب شهرتها، كما لو جرّد شمشون من شعر رأسه وفيه سر قوته!!

ودون أن ينتظر الجندى المجهول م. ظريف عزيز، كلمة منى، انطلق إلى محافظة الجيزة، عائداً على الفور بالنجدة بكل عدتها وعتادها! وتّمت السيطرة على الموقف، ولكن قبل فتح الأبواب للجمهور بلحظات، ظللت بعدها على قلقى من تجدد الكارثة، والرصاصة فى جيبى لو غرقت السفينة!!

. . وربما لو حاولت الآن الاسترجاع من الذاكرة لترتيب فقرات البرنامج التى سبقت ظهور آلة الأورغن فى السيمفونية، بصوتها المتهادى فى عظمة ووقار، لتداخلت فى ذاكرتى احتفاليات هاندل مع استعراضات فرانتس ليست وموشحات أبو بكر خيرت! المهم أن الحفل انتهى بسلام وتمنيت لو أذن لي ثروت عكاشة بالإنصراف قبل أن ينتهي من تقبل هذا السيل من التهانى على إنجازه الكبير، وقد أضاف هرمًا جديداً إلى حياتنا الموسيقية. . إلا أنه رغم كل شىء، لم ينس الفنان خلف الستار، فطلب منى دعوة قائد الأوركسترا المرموق: شارل مونش إلى الاستراحة الرسمية فى الدور العلوى لتقديم واجبات التكريم له! . . وفى الطريق إلى هناك فوجئ الشيخ الكبير أمامه بسلالم يتحتم صعودها للوصول إلى المكان المقرر للاستقبال، فتوقف أمام أولى الدرجات، وألقى نظرة إلي أعلاها وكان ما يزال يتصبب عرقًا بعد أن استنفد ما تبقى لشيخوخته من قوة فى وقفته العملاقية أمام الأوركسترا، وقد تطاول فى البنيان ما وسعه التطاول، مع الصعود السامق فى ختام السيمفونية!



▲ مع قائد الأوركسترا شارل مونش، والإرهاق يجمع بيننا!

وسمعته يهمس فى تأوهات يائسة بكلمتى: أوه. . سلالم؟

. . وهنا تجددت أمامى المخاوف من المأزق. . ولكن الله سلم، حين نجحت فى إقناعه بأن المناسبة التاريخية تستحق كل عناء، طالما كان الوزير يستقبله بصفته ممثلاً لرئيس الدولة، كى يقلده أرفع الأوسمة فى أروع مناسبة فى حياتنا الموسيقية!

. . وأخيراً غادرنا القاعة، ووراءنا شهور وأيام من الجهد والعرق والقلق ـ وبعد أسبوعين فوجئنا بنكسة ١٩٦٧، وتأملنا الموقف مليّا لو كان الاحتفال بعدها لكنا كمن يعزف على القيثارة وروما تحترق. .

وانتقلنا من الجهاد الأصغر فى بناء البيت والمقر، إلى الجهاد الأكبر فى بناء البشر! وفى دار الأوبرا، كانت رحلة الإضافة للجديد فى مجال الموسيقى والأوبرا، وكان الأمل فى تكوين الفرق الطليعية للأوبرا ومعها الباليه بعد حسن الإعداد لبراعم المعهد الخاص بها تحت رعاية متميزة للعميدة عنايات عزمى، والموسيقى العربية التى سرعان ما جعلت من القاعة الجديدة مقراً لحفلاتها الرائعة تحت عصا أستاذها عبد الحليم نويرة، بعد أن آزره فى مراحل تنشئتها من قدامى الزملاء أحمد شفيق أبو عوف ود. سمحة الخولى، والجهود كلها فى تأهب واستعداد لمناسبتى ألفية مدينة القاهرة والعيد المئوى لدار الأوبرا في عام ١٩٦٩!

. . وكالعادة عقب كل إنجاز كبير يمر سريعًا شريط الذكريات، وعدنا، إلى مولد فكرة إنشاء المعاهد الفنية، مما كان مفاجأة للمجتمع مثل كل جديد. . والحديث عن ذلك فى مختلف الأوساط وتواتره إلى أعلى القمم حتى قبة البرلمان، تشعل نار المعارضة لها، قوتان: وزارة التربية والتعليم، وتحتج على مبدإ إنشاء وزارة الثقافة الجديدة للمعاهد، كاعتداء على اختصاصاتها التعليمية، دون أن تبدى سببًا لعدم السبق فى استحداثها لها، بل وعرقلة جهودنا، حين اضطررت مثلاً للتحايل والتسلل إلى فكرة إنشاء فصول للموهوبين فى عام ١٩٥٧ وبصورة تدريجية، تضيع معها السنوات من عمر الثقافة! ومن جانب آخر فى: نقابة الموسيقيين بحجة أن المعهد المقترح يعتبر تهديداً لموسيقى التراث، على الرغم من أن نقيبها، كان قد استمد شهرته الفنية بعد أن تخصص فى عزف الڤيولينة على الطريقة العالمية، بعد إيفاده فى أول دفعة للبعثات الموسيقية إلى فرنسا فى الثلاثينيات. . ولكن كانت لموقفه خلفيات!



مجلة آخر ساعة فى موكب التعبئة فى أعقاب النكسة.

. . وكان ثروت عكاشة قد وقف أمام المحاكمة البرلمانية، يبشّر بكل منطق وحجة وإقناع، برسالته الجديدة لترسيخ الدراسة العلمية الراقية للفنون، بعد قرون من الارتجال. . . وجلستُ حينذاك بين المصفقين له من شرفة الزوار، التى شهدتها لأول مرة، وعادت بى الذاكرة إلى حكايات أمى، حين جاءت من ريفنا لتجلس بين سيدات الوفد برئاسة أم المصريين «صفية زغلول» حيث كانت ترقب موقع أبى فى القاعة بين المعممين القليلين وسط النواب. . والذى احتل مكانه فى جيلنا ابنه إسماعيل، ولكن دون عمامة أو طربوش، وقد شارك فى جلستنا لمحاكمة الفن الرفيع وأهله، مزوداً بكل الحقائق والخلفيات المؤيدة للوزارة! ولو خسر ثروت عكاشة القضية لما حظيت مصر بمثل هذه القاعة الفريدة فى نوعها بين صروح أخرى عديدة!

فرق مصرية للأوبرا والباليه:

وفى مواجهة جادة مع تجربة كاملة لتقديم الأوبرات العالمية بأصوات مصرية، كانت البداية فى عام ١٩٦٨، بتقديم «أورفيو وإوريديتشى» لجلوك، وتمثل أولى المحاولات فى تاريخ دار الأوبرا، مما دعا بعض الصحف الأجنبية كجريدة «نيويورك تايمز» إلى الإشارة إليها والكلام عنها! والطريف هنا أن مراسل هذه الجريدة «إيريك پيس» فاجأ حينذاك رئيس مصلحة الاستعلامات د. محمد حسن الزيات بالسؤال عن هذا الحدث الثقافى، فى أثناء اللقاء السياسى الأسبوعى مع مراسلى الصحف، فجاء رده دبلوماسيًا لبقًا لمجرد التخلص من المأزق كما قال، ثم جاءنا فى المساء لمشاهدة العرض والتزود بما يريد من معلومات!

وبعد أوبرا «جلوك» التى اخترناها كمقدمة لهذا النشاط لعدم حاجتها لأكثر من ثلاثة أصوات رئيسية مع فرقة الباليه والجميع بقيادة أحمد عبيد، جاءت روائع پوتشينى «لابوهيم» و«بترفلاى» فى أواخر السيتينيات، الأمر الذى أدى إلى استقرار فرقة الأوبرا المصرية كتقليد جديد.. أما فرقة الباليه، فقد انطلقت فى سلسلة من الروائع مثل «نافورة بخشى سراى» و«دون كيشوت» و«چيزيل»، وتوجت جهودها مع الفنان العالمى «سيرچ ليفار» أشهر المشاهير فى فرنسا وخارجها فى عالم الباليه آنذاك، مع الاستعانة بالمناظر المسرحية من تصميم الفنان الكبير «شاجال» للباليهات الفرنسية «دافنيس وكلويه» لراڤيل و«طقوس الربيع» لستراڤنسكى و«إله الغاب» لديبوسى!



▲ مع سيرچ ليفار بدار الأوبرا

وفى فن الأوپريت جاءت بعد الأرملة الطروب: حياة فنان!

العيد المئوى لدار الأوبرا مع ألفية مدينة القاهرة:

وفى عام ١٩٦٩، شهدت مدينة القاهرة حشدًا هائلاً من فرق الأوبرا والموسيقى والباليه والمسرح الدرامى، والتى جاءت من فرنسا وإنجلترا وإيطاليا وغيرها للمشاركة فى مهرجانات احتفال وزارة الثقافة بمرور ألف عام على إنشاء مدينة القاهرة ومائة عام على افتتاح دار الأوبرا، وامتدت العروض إلى مسرح أبى الهول فى منطقة الصوت والضوء. وجادت فيها كل دولة بأفضل ما يشرّف تراثها فى عالم الفن والثقافة سواء بمفردها أو بمشاركة مصرية من أوركسترا وكورال وباليه.. ومن جانبنا فقد شاركت أيضًا مصلحة البريد بإصدار طابع تذكارى للدار.

العيد المئوى لأوبرا عايدة:

ولما كان عام ١٩٧١ يتفق ومرور مائة عام على العرض العالمى الأول لأوبرا «عايدة» بالقاهرة، فقد أجريت الاستعدادات لإقامة مهرجان دولى يبدأ فى ٢٤ من ديسمبر وتشارك فيه أكثر من فرقة أوبرا من مختلف الدول الأوروبية، واتفق بالفعل على تفاصيل عروض المهرجان ومواعيدها وصدرت المطبوعات شاملة لكل ذلك، لولا احتراق الدار فى آخر شهر أكتوبر!

الفصـــل الثالث

مـرحـــلة جـــديـدة

تمهيد:

وفى أذيال أكثر من مرحلة من عملى الوظيفى فى جو الفن . . وفى أواخر السبعينيات بوجه خاص، ثم فى أعقاب مرحلة من العمل الدائب طوال عامين، ممثلا لوزراة الثقافة فى لجنة عليا بوزراة الإسكان، مع المهندس ظريف عزيز من هيئة السينما، شاركنا خلالها مع المهندس الألمانى «بورنمان» فى التصميمات المطلوبة لمشروع طموح لدار جديدة للأوبرا . . ثم الهبوط بمعنوياتنا بعد هذه الجهود، عندما تجمد المشروع، رغم الانتهاء من كل التفاصيل، وما أصابنى من إحباط، راودنى إحساس مليح بالحاجة إلى وقفة هادئة مع النفس. وتأمل الوقت الضائع فى حياتى الخاصة، بعد إنجازات لها شهرتها طوال عشرين عاماً، وما كان يستلفت النظر من تجميد لوضعى الوظيفى! وفى محاولة لتعليل ذلك، لم أجد تفسيرًا سوى الحيرة من وجهة النظر الحكومية فى توصيف قدراتى وقيمة الجديد وغير المألوف مما بذلته فى مجال عملى، إلى الدرجة التى دعت المسئولين ـ مثلاً ـ فى أكثر من مناسبة إلى إعطاء الأسبقية للسيرك قبل الأوبرا والموسيقى . . والدرجة الوظيفية المخصصة بالميزانية لمدير أوركسترا القاهرة السيمفونى، شغلتها فى أوائل الستينيات إحدى الإذاعيات المحظوظات!

. . وكنت قد تناولت الموضوع فى فترة سابقة مع رئيس جديد فى سلسلة قيادات هيئة المسرح والموسيقى، هو الكاتب والمفكر المرموق محمود أمين العالم، والذى اقتنع تمامًا بوجهة نظرى، وقال بكل حماس: هذه قضيتى مع الوزارة، وأرجو أن لا تشغل بالك بها وأن تترك الأمر لى! وبعد ظهر نفس اليوم، تم اعتقاله سياسيًا !!

وهنا رضيت بحالى وسط هذا الجو الذى تكاثرت فيه صور اللامعقول على أعلى المستويات، سواء فى منح الثقة أو سحبها بنفس السرعة! وآثرت الانتظار وفى النفس شىء من اليقين بأن سبع سنوات تقريبًا من التحرك دون الاهتداء إلى بصيص من النور، منذ احتراق دار الأوبرا، لابد وأن تكفى لأن يقضى منطق التاريخ بشىء من التغيير! وجاءت مقدمات هذا التغيير بكل بساطة، مع مصادفة قراءة إعلان بإحدى الصحف يشير إلى موعد بدء العام الدراسى فى معهد الدراسات الإسلامية، القريب فى موقعه من مكان سكنى، حيث تفتح أبواب الالتحاق به أمام حاملى المؤهلات العليا من جميع الأعمار!

وهناك صارت النفس مهيأة لنظرات أوسع فى مسيرة الحياة، مع إضافة لها أهميتها فى مجال الفكر الدينى بآفاقه اللانهائية . . وأبعاد شرائعه وفرائضه ومفاهيمه! ومعها تضاءلت اهتمامات كثيرة فى الماضى والحاضر، وكأنها عملية تثبيت للقلب وتجديد للفكر وإنعاش للذهن وتزكية للنفس . . مع الانصراف إلى أفضل ما يفرج

الكروب ويقرب من علاّم الغيوب! وبالتزود بهذه الجرعة الروحية تهيأنا لكل جديد فى الحياة دون الأسى على ما فات أو الفرح بما هو آت!

ونسترجع هنا الذكريات مع أستاذنا الإمام الأكبر د. عبد الحليم محمود الذى كان يفضل تسمية مادته بالفكر الفلسفى فى الإسلام بدلاً عن «الفلسفة الإسلامية» ويبدأ بالتعريف بكلمة «الفيلسوف» بأنه من يجعل الوكد من حياته طلب الحكمة! وينتهى إلى الحديث عن الأحوال والمقامات!

وفى كلمات موجزة يعدد لنا الصفات التى وهبها الله للأنبياء، وكيف اجتمعت كلها فى رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، مثل مثابرة نوح وكرم إبراهيم ووفاء ابنه إسماعيل وقوة موسى وتواضع عيسى وصبر أيوب وداوود وحكمة سليمان وتفانى هارون. . ويعلمنا أستاذنا من أحسن التسابيح: سبحان الله وبحمده . . سبحان الله العظيم . . استغفر الله.

ومن أفضل الدعاء لتفريج الكروب: اللهم صلى على سيدنا محمد، الحبيب الشفيع الرءوف الرحيم . . الذى أخبر عن ربه الكريم، أن لله تعالى فى كل نفس مائة ألف فرج قريب . . وسلم.

وفى حوار قصير عن حرية الفكر، أنه فى أثناء وجوده فى باريس للدراسة، قرأ كتابًا للمفكر الفرنسى «شارل جينيبير» يشكك فيه من مجرد وجود شخصية السيد المسيح عليه وعلى نبينا السلام! ويضيف أستاذنا أن المؤمن ينبغى أن يتوقف فى بحثه عن الذات والصفات أمام الآية: ليس كمثله شىء - ويتقبل كل شىء «على مراد الله».

وفيما يذهب إليه فى حديثه العذب عن العقيدة، يروى قصة «حى بنى يقظان» لابن طفيل، حيث التوحيد الفطرى فى عقل الإنسان وقلبه، منذ نشأ وحيدًا على ظهر الأرض، ثم تبين بالهداية حاجته للشرائع السماوية . . وكان إمامنا يؤخر صلاة المغرب قليلاً عندما يؤذن لها فى أثناء الدرس، لنتبعها بصلاة العشاء فى جماعة معه بعد صلاة المغرب فى وقتها!

ثم الشيخ زكريا الزوكة، يعلمنا أنواع ودرجات الصحة فى الأحاديث، ومن بينها ما كان يسبق غيره إلى العقل والقلب، ويناسب حالنا من المعاناة، كالحديث القدسى الذى يقول:

عبدى . . إذا رضيت بما قسمته لك، أرحت نفسك وبدنك، وكنت عندى محموداً، وإن لم ترض بما قسمته لك، جعلت الدنيا تقبل عليك، فتركض فيها كما تركض الوحوش فى البرارى، ولا يكون لك منها إلاّ ما قسمته لك . . وتكون عندى مذموما!

والشيخ أحمد حسن الباقورى (مؤسس المعهد) يحدثنا عن الشريعة والشرعة والمنهاج، منطلقًا من الآية الكريمة ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصينا به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾.

وكل ذلك فى عبارات أخاذة، ما بين معلومة وكلمة وفقه فى اللغة!

ورابعهم الدكتور كمال الخربوطلى، يغوص بنا فى أعماق الزمان والمكان، ويطوف بنا بين مراكز العالم الإسلامى فى العصور الوسطى والحديثة . . وذلك فى سرد هو أقرب إلى نغمة الترتيل القرآنى!

وشيخنا العالم السيد أبو المجد، يحدثنا فى الدراسات اللغوية عن مدارس البصرة والكوفة وبغداد، وكيف كانت هناك حريات فكرية فى حضارة الرافدين وقت أن كانت أوروبا تتخبط فى عصور الظلام، موضحًا أن العرب بالمعنى الحضارى هم أصحاب الثقافة العربية أو الإسلامية بصرف النظر عن الدين، وأن اللغة هى ما أثر أو حفظ أو سمع عن العرب بينما النحو هو ضوابط ومقاييس لصحة التعبير . . وحكاية «الكسائى» شيخ الكوفة الذى تعلم النحو على الكبر، واستدعاه المهدى ليعلم قواعد اللغة العربية لابنه هارون الرشيد، بعد أن امتحنه فى معرفة فعل الأمر من «السواك» فقال: سُكْ!

والدكتور رفعت المحجوب، يحيرنا فى تعريفات الاقتصاد كعلم الثروة أو المبادلة أو الندرة النسبية، قائلاً إن المشكلة الاقتصادية نشأت منذ خلق الإنسان، حين أكل آدم ما ليس له حق فى أكله!

ومع هؤلاء وغيرهم من العلماء الدكاترة: إسماعيل الدفتار، صوفى أبو طالب، صبحى عبد الحكيم، عشنا الجو الذى لم يمهلنا كثيراً لمجرد التفكير وعقد النية لزيارة الأراضى المقدسة، عندما التقطنا الخيط فى أول فرصة سنحت للقيام بالرحلة لأداء شعائر الحج والعمرة فى عام ١٩٧٨ .

الأكاديمية المصرية بروما

وعدت من الرحلة سعيداً شاكرًا لأنعم الله وقانعًا راضيًا بكل شيء فى حياتى! وبعد فترة استجمام كافية، مررت ـ سريعًا ـ على زملاء العمل الحكومى، للتحية والوداع فى ختام المشوار الذى فضلته لنفسى فى سلك الوظائف الرسمية؛ وكانت الوقفة الأولى فى أقرب الأماكن لمنزلى: مكتب وزير الثقافة، الذى لم أكن قد قابلته قط ولكنى سمعت عنه الكثير! وهناك استقبلنى الوكيل الأول للوزارة سعد الدين وهبة ـ رحمه الله ـ رجل المبادئ وأديب المسرح والموسيقى وراعيهما . . والكاتب الصحفى صاحب المقالات الموجعة، حيث فاجأنى بخبر اختيارى مديراً للأكاديمية المصرية بروما، وأن الوزير والعالم النزيه د. حسن إسماعيل، قرر توقيع القرار بتعيينى فى نفس اليوم، بعد أن تعذّر اللقاء معى طوال الأيام السابقة لغيابى!

وكانت أولى الانطباعات لدىّ، هى الارتياح لتحقيق ظروف معيشية وفكرية هادئة، تتيح لى العمل فى جو أحبه، ولى علاقات سابقة معه فى مجال العمل الوظيفى أو الإنتاج الفكرى وما تبع ذلك من تكريم شخصى؛ يسبق ذلك كله احتمال حدوث التغيير الحاسم فى الجو الثقافى فى أثناء غيابى عن مصر والوصول إلى قرار نهائى بإعادة بناء دار الأوبرا والحاجة لوجودى للمشاركة فى ذلك بخبراتى السابقة! إلا أن الفرحة لم تتم، فما كاد القرار يصدر، حتى بدا وكأنه إعلان للحرب، اشتعلت معه معركة لم تكن فى الحسبان، حين زج بى فى مواجهات لا يخلو النصر فيها من الفوز بغير القليل من مباهج الحياة وثمار الكفاح الطويل فى أداء الواجب وإثراء التجربة . . والأكثر من ذلك: سيادة القانون وإرضاء الضمير الحكومى الضائع وإيقاظ الجهود النائمة، بعد أن لوحظ ولفترة ممتدة طمس النشاط الرسمى للأكاديمية، مقابل نشاط دائب فى مجال الخدمات الشخصية والمجاملات لمن له علاقة بها من الرئاسات، وخاصة وقت الانغلاق بمصر!

وكانت وزارة الثقافة فى مختلف عهودها، تتقاعس أحيانًا ـ تحت ضغوط فوقية ـ فى إنهاء خدمة مدير الأكاديمية فى موعدها القانونى، بعد سنوات فى موقعه، ربما تزيد على ربع القرن، يسبقها عشر سنوات تقريبًا

فى عمله بالجهاز الإدارى هناك . . وبعد عامين من بلوغه سن التعاقد! ومع محاولة الحسم للموقف بصدور القرار الأخير، دارت رحى المعركة فى مواجهة غير متكافئة بين ثلاثة من المنتفعين من الأوضاع الخاطئة، إثنان منهم شغلا أعلى المناصب فى مستويات السلطة وأقربها إلى جو الحاكم، وثالثهما وكيل الوزراة السابق، الذى لم يقعده التقاعد عن مزاولة هوايته ولم يقلل من خفة حركته، يعينه على ذلك قصر قامته! وأمامهم الضعفاء ومعهم سلطان الحق وحكم القدر، فى قضية من قضايا الحق والباطل! ووقفت بين الاثنين، وسلاحى الشخصى فى المواجهة لم يكن أكثر مما كان للزعيم الهندى غاندى فى مواجهته للظالم المحتل لبلده، مع رفضى التام لقول القائل بأن يجلس المظلوم على شاطئ البحر وينتظر، مهما طال به الانتظار، حتى يرى جثة عدوه طافية فوق أمواجه . . فالمنتفع بقوة الباطل فى حالتنا، صاحب رصيد وأثر باق له كل تقديرى . حين رفع علم بلاده فوق صرح ثقافى له أهميته فى حى الأكاديميات الأجنبية وسط عاصمة الفن روما، ثم أضاف تمثالاً للشاعر أحمد شوقى من صنع الفنان جمال السجينى، ورفعه بين أعلام الأدب والفن على المستوى العالمى، داخل حدائق ڤيلا بورجيزى الشهيرة، قريبًا من موقع الأكاديمية، وعلى قاعدته الضخمة نقش بيت من أشعاره باللغة العربية يقول:

قفْ بروما وشاهدِ الأمرَ واشْهدْ　　　　أنَّ للمُلْك مالكًا سبحانهْ (١)

وكلها علامات تعتز بالوجود المصرى فيها . . وكان فى غمرة أحلامه قبل عشرين عامًا قد اصطحبنى بنفسه لمشاهدة بعض أعمال حفر الأساسات للبناء الجديد للأكاديمية، رغم المعارضات المألوفة من جانب الكثير من الإيطاليين بحجة الحفاظ على البيئة وعدم قطع الأشجار خشية المساس بالمساحات الخضراء وسط روما!

ولقد كانت هذه حجتهم أيضًا لمقاومة بناء المركز الإسلامى والمسجد هناك على أرض مملوكة للملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - خصصها لهذا الغرض، وكانت المماطلة فى تنفيذ ذلك عامًا بعد عام، وصدمنا طوال السنوات بقراءة الشعارات الحمراء على جدران الحوائط المواجهة للموقع، إعلانًا عن المعارضة للمشروع . . حتى فوجئنا فى وقت متأخر من عام ١٩٨٤ خلال رحلة سياحية إلى روما، بتوجيه الدعوة إلينا فى يوم وصولنا، وذلك لحضور حفل إرساء حجر الأساس فى نفس اليوم للمركز والمسجد (٢) وذلك بحضور رئيس الجمهورية الإيطالية، الرجل الظريف: ساندرو پرتينى!

---

(١) مع ترجمة إيطالية لهذا البيت من كلمات المستشرق الإيطالى الشهير فرانشيسكو جابرييلى.

(٢) نقلت إلينا جريدة الأهرام فى ١٥ / ١ / ١٩٩٨ - أخيرًا من أخبار هذا المركز الذى يقوم الآن بدور إيجابى فى حوار الأديان، أن سكرتير عام المركز: ماريو شالويا الإيطالى المسلم والسفير الأسبق لإيطاليا فى السعودية، استقبل بناء على ترتيب وتنسيق من بابا الفاتيكان، وفدًا من يهود أمريكا الذين يمثلون منظمة معاداة التشهير والافتراء على الشرائع الدينية (مؤسسة عام ١٩١٣) وذلك لتبادل الرأى حول فكرة الحوار بين الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، ووصفت الزيارة بأنها زيارة تاريخية! وفى مواجهة مباشرة مع النظام الحاكم فى كوبا، طلب البابا التغيير والعودة إلى الأديان وحرية ممارسة العبادات!

ومن أقصى الشمال الأوروبى، نقلت الصحافة السويدية أخيرًا أخبار الترجمة لمعانى القرآن الكريم، يقوم بها سفيرهم السابق بالمغرب: كنوت محمد بيرنستروم، المسلم منذ عام ١٩٨٣، وذلك بدعم مالى من حكومته، لصالح أربعمائة ألف شخص من المسلمين بالسويد (الأهرام فى ٢٥ / ٤ / ١٩٨٣) - وفى لقاء وكيل الأزهر مع بابا الفاتيكان فى إطار لجنة حوار الأديان، قال البابا إن توقيع الاتفاق مع الأزهر حدث تاريخى يهم أكثر من نصف البشرية (الأهرام فى ٣ / ٦ / ١٩٩٨).

ونعود إلى أصحابنا من أهل الثقة والمناصب الكبيرة بمصر، رحم الله أمواتهم وسامح أحياءهم، حين ظلوا على عرقلتهم لتنفيذ القرار بسفرى لممارسة العمل الرسمي بروما . . ولو صدقت نياتهم نحو صديقهم المدير السابق وتحلوا بشيء من الحكمة والنزاهة، لما سايروه فى السعي وراء مغريات المناصب الزائلة وإرضاء ضعفه البشرى، وفضلوا له ما يبقى له ذكراه ويمجد جهوده حيًا وميتًا، فطلبوا له ـ مثلاً ـ التكريم، ولو بلوحة جدارية بمدخل الصرح الذى أقامه لمصر على الأرض الأوروبية!

ومن سلسلة العراقيل التى وضعها هؤلاء فى طريقى، أن تأهبت أخيراً للسفر إلى روما، محرومًا من حمل جواز السفر الدبلوماسى، تلاحقنى بعد ذلك صور الحرب النفسية بالإيحاء أن عملى هناك موقوت وغير دائم، ريثما يعود المدير المتقاعد لوظيفته القديمة، وظل بالفعل مقر السكن الرسمى مقفلاً فى وجهى، ودام ذلك لمدة عام تتابعت خلاله بالقاهرة المساعى غير الحميدة، بينما شغلت المسكن زوجة وطفلة وكلبًا صغيراً مزعجًا فى نباحه المسموع فى مكاتب العمل الرسمية!

وهكذا مارست العمل من غرفة صغيرة دون التعرض لمكتب المدير، منعًا لاستغلال الموقف فى الأخبار الصحفية المثيرة، وما يحتمل معه المزيد من الإثارة بالإضافات المألوفة من ضياع للمتعلقات والمقتنيات التى تساوى الآلاف أو حتى المئات!

وفى حديث هادىء مع سفيرنا فى روما، روى لى كيف أنه ظل حائراً طوال شهرين، حين وافته السلطات الإيطالية بالأوراق الخاصة بمنحى وسام الاستحقاق من طبقة: كومنداتور، وذلك فى أعقاب ربع قرن من الممارسة لدور إيجابى فى العلاقات الثقافية بين مصر وإيطاليا! فلقد أوحى إليه حينذاك مَنْ بنفسه هوى أو فى قلبه مرض، بأنى لست المقصود بهذا التكريم! وفى النهاية، فإن كل ذلك لم يعرقل تأهبى الكامل لممارسة عملى تحت شتى الظروف بالأكاديمية، حين أعاننى على ذلك منذ البداية ودون حاجة للبحث والتأمل ودراسة الأرض والمعالم، سابق معرفتى بالإيطاليين وثقافتهم ومزاجهم، والكثير مما كان بين البلدين من علاقات ممتدة عبر السنوات فى شتى المجالات، وما كان لكل ذلك من أثر فى معرفتى لأقرب الطرق إلى عقولهم وقلوبهم وحتى طعامهم وشرابهم، مما يسر لى حسن التفاهم فى معايشتهم وتبادل المصالح معهم . . وفى النهاية اطمئنان المبعوثين من المقيمين بالأكاديمية إلى ما كانوا يفتقدونه فى غربتهم من أسباب الاستقرار النفسى والتفرغ الكامل لعملهم . . أما الأهم فيما تزودت به لرحلتى مع الفنون التشكيلية التى تمثل الأساس فى تاريخ الأكاديمية، فكان الاستيعاب للخلفيات البعيدة والقريبة، منذ البدايات الإيجابية للاهتمام بها، بعد أن كانت الصورة كاملة لدينا فى غير ذلك من مجالات ثقافية، قد تتعرض لها الأكاديمية فى أنشطتها وعلاقاتها بغيرها . . وكان أن رجعنا فى مصادرنا لهذا التاريخ، إلى الفنان العجوز وشاهد العصر راغب عياد، آخر الأحياء فى ثالوث الرواد فى مطلع القرن العشرين، مع المثال محمود مختار والمصور يوسف كامل!

وفى ذكرياته عاد بنا إلى الهوايات وأولى الدراسات، عندما أنشأ الأمير يوسف كمال مدرسة للفنون الجميلة فى حى درب الجماميز فى عام ١٩٠٨، والتى التحق بها فناننا بين أفراد الرعيل الأول الذى ضم معه بالإضافة إلى زميليه المذكورين وغيرهما: محمد حسن (١) وأحمد صبرى وعثمان دسوقى وأنطون حجار وفريد نجم وعلى حسن وأدهم وانلى الذى كان قد أتيح لى لقاؤه بالإسكندرية فى الخمسينيات مع شقيقه الفنان المشهور سيف فى

---

(١) آخر وظائفه: مدير عام الفنون الجميلة بوزارة المعارف العمومية، وكانت تتبعها دارالأوبرا.

مرسمهما الزاخر بلوحات الموسيقى والباليه كورثة لمدرسة الفنان العالمى «ديجا» . . واستأنف المهمة من بعدهما الصديق رشدى إسكندر!



▲ مدخل مدرسة الفنون الجميلة بحى درب الجماميز عام ١٩٠٨ بريشة الفنان راغب عياد.

ولا ينسى هنا راغب عياد أن يؤكد ما سبق لنا أن عرفناه عن طرافة العلاقة بينه وبين زميله يوسف كامل فى طموحهما لاستكمال الدراسة بإيطاليا، وتدبير تكاليف السفر بتبادل العمل بالتدريس، ليعمل كل منهما فى موقع الآخر بمصر، ويتولى صرف مرتبه الشهرى من المدرسة التى يعمل بها، ثم يقوم بتحويل المرتب له فى إيطاليا! وبعد نجاح الفكرة، فإن ذلك دفع بهما إلى آفاق الشهرة التى حظى بها كل منهما فى مجال اتجاهاته الفنية رافعين شعاراً له أهميته على المستوى الوطنى الأكثر أهمية، وهو العناق بين الهلال والصليب! ويضيف هنا راغب عياد إلى ذلك شيئاً عن الموقف الطريف بوزارة المعارف العمومية، حين تجمع لدى المسئولين عدد من الفنانين الدارسين فى عام ١٩٢٨ بعد عودتهم من إيطاليا وفرنسا، فرئى تحقيق التفرغ لهم لممارسة إنتاجهم وإطلاق العنان لمواهبهم الفنية كتجربة جديدة ولمدة عامين، يتحررون خلالها من التزاماتهم كمدرسين، وبلغوا بالفعل بالقرار . . ولكنهم فوجئوا بقرار لاحق لإلغاء ما جاء بالقرار السابق، وعودتهم فوراً إلى المدارس التى يعملون بها؛ باستثناء المثال مختار الذى رفض منذ البداية فكرة العمل الوظيفى! وتحضرنا هنا ذكرى أول عمل أبدعه فى باريس (١) وهو تمثال «عايدة» من وحى أوپرا ڤيردى!

إلا أن الفكرة أوحت فى النهاية بمبدإ التفرغ للفنان، على غرار الفترة التى تمتع بها هؤلاء الفنانون من المزايا خلال دراساتهم فى أوروبا وتقديم معارضهم الناجحة هناك، الأمر الذى لم يتردد حينذاك راغب عياد فى نشره على الملأ فى إحدى الصحف المصرية فى عام ١٩٣٢ كما قال، وعاصرنا الحديث عنه بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب عقب إنشائه فى الخمسينيات! أما ما كان قد نجح فيه، فهو مشروع إنشاء أكاديمية مصرية للفنون

---

(١) الأهرام-كمال الملاخ (٣/ ٥/ ١٩٨٣).

بروما، حيث أطلعنا على المذكرة التى قدمها فى عام ١٩٢٤ إلى الوزير المفوض المصرى فى روما أحمد باشا ذو الفقار والذى أحالها بكل التأييد إلى السلطات بالقاهرة، استناداً إلى ترحيب السلطات الإيطالية بمثل هذه المبادرات وما ذهب إليه موسولينى فى تشجيعه لدارسى الفنون والآداب من إعفائهم من مصاريف الدراسة مع خفض أجور السفر إلى نسبة تبلغ ٧٥٪ من قيمتها الأصلية . . وحضور ملك إيطاليا لافتتاح المعرض السنوى لطلاب الأكاديميات الأجنبية هناك!

ولما استجاب البرلمان المصرى للاقتراح، فقد اتفقت الحكومتان المصرية والإيطالية على تبادل قطعتى أرض فى عاصمة كل منهما لتحقيق هذا الغرض، فأقيمت المدرسة الفنية الإيطالية بشارع شبرا، بينما ظلت الأرض المملوكة لمصر فى إيطاليا خالية حتى أوائل الستينيات وانتقلت إليها بعد ذلك الأكاديمية فى مبناها الجديد، بعد أن كانت تشغل منذ عام ١٩٢٩ مقراً مؤقتًا فى منطقة روما القديمة، بالحى المعروف بحمامات الإمبراطور «ترايانو» والذى ظل حتى الآن مقراً لمكتب المستشار الثقافى!

وتحضرنى هنا من صور المجاملات المستمرة بين البلدين، ما كان من تخصيص أحد قصور الملك ڤيتوريو إيمانويل للسفارة المصرية بروما (ڤيلا ساڤويا) حيث رأيت سفيرنا يشغل الغرفة التى اعتقل فيها الملك الزعيم موسولينى فى مرحلة الصراع بينهما عند نشوب الحرب العالمية الثانية - ثم استقبلت مصر الملك الإيطالى بعد ذلك للإقامة المستديمة بالإسكندرية حتى مات ودفن فيها عام ١٩٤٧ . . وكنت حينذاك بين القوات العسكرية المشيّعة له فى طابور الجنازة، من منطقة ملعب البلدية وحتى ميدان المنشية (كنيسة سانت كاترين)، حيث كانت أسرته تجيء فى المناسبات للزيارة، مع رحلة قصيرة إلى مدافن العلمين بالصحراء الغربية!

هذا، ولا ينسى هنا راغب عياد فى حديثه عن القديم من تاريخ مصر، ذلك الدور الوطنى الرائد للزعيمة هدى شعراوى فى تشجيع الفنان التشكيلى الجديد وإقامة المعارض له وتسويق أعماله، وقد أيدته فى ذلك مما لمسته فى جيلى من رؤية قصرها الرائع فى تصميمه الفنى العربى عندما احتله متحف الفن الحديث قبل هدمه فى موجة إنشاء الفنادق وطغيان الأهداف السياحية على معالم تراثنا فى منطقة ميدان التحرير، حيث لا يزال الموقع خاليًا!.

ويعود بنا الراوى إلى ذكرياته مع المديرين للأكاديمية منذ إنشائها، حيث كان أولهم من زملائه الفنان سحاب ألماظ، الذى قرأنا فى الصحف عن مصرعه فى حادث سقوط طائرة إبان الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٤٤، ومن بعده المصور المشهور محمد ناجى حتى عام ١٩٥٦ . . ثم المثال عبد القادر رزق لمدة عامين، انتقل بعدهما صلاح كامل من العمل الإدارى بالأكاديمية والذى كان يتولاه منذ الأربعينيات إلى منصب المدير لها!

أما ما لمسناه من الصور الطريفة فى حياة شيخنا المعمر، فكان حرصه الدائم بعد أن تعدى الثمانين بكثير، على إحكام الصلة بين الماضى البعيد والحاضر القريب، فى تلك الحركة الدائمة التى دفعته أكثر من مرة إلى السفر إلى إيطاليا بسيارته المتناهية فى الصغر والمتناقضة مع قامته المتناهية فى الطول، تقودها زوجته الإيطالية الطاعنة فى السن، من القاهرة حتى باب الأكاديمية فى روما!

فى روما :

وفى أول الانطباعات بدت لنا روما كمتحف كبير مفتوح ، تضفى عليه الكتل البشرية من السائحين كل صور الحيوية ، يتجولون بين أقدم القديم من روائع الفن المبهرة ، من لوحات وتماثيل . . ومن بينها الأقدم من الإنسان نفسه : الماء الذى سبقه فى الخلق ، يتدفق من نافورات متناثرة فى أرجاء المدينة المسماة بملكة الأمواه ، كما قال لنا منذ أمد بعيد ، أستاذنا الإيطالى المستشرق «أمبرتو ريتزيتانو» فى مدرسة الألسن . . وليوحى المشهد المتكرر فى النهاية بأن الماء يسبح بكلمات الله تعالى إذ يقول إنه خلق من الماء كل شيء حى !

وكغيرنا من المصريين عند زيارتهم لروما ، وكنا من بينهم فى عام ١٩٦٠ ، سعينا لرؤية أكثر ما يشدنا من هذه النافورات فى ميدان «بياتسا ناڤونا» حيث تتجلى موهبة الفنان القديم «برنينى» فى نافورته لأكبر الأنهار الأربعة فى العالم ، ومن بينها النيل ، الذى لم تكن منابعه قد اكتشفت بعد ، فأخفى وجهه بحجاب ، وقد ارتفعت إلى جواره نخلة ، انحنى جذعها قليلاً بفعل حركة الرياح ! أما القاعدة التى ترتكز عليها رباعية الأنهار ، فهى صخرة هائلة يخفف من ضخامتها وقاعدة ارتكازها فراغ ممتد فى أسفلها بين الطرفين . . بينما تعلو التكوين الفنى فى وسطه مسلّة فرعونية سامقة . .

وتكررت زياراتنا إلى موقع النافورة ، وبقيت لنا من ألمع ذكرياتها فى ختام رحلتنا الطويلة إلى روما ، لوحة الإيطالى سيلڤيو بيكى ، من خريجى المدرسة الأولى للفنون الجميلة بالقاهرة فى درب الجماميز ، للنهر الإيطالى : التيبر Tevere والمجاور لنهر النيل فى رائعة برنينى !

وهكذا أتيح لنا أن نستنشق جرعة من أريج البيئة التى نفخت روح النهضة فى القارة الأوروبية ، وأنجبت أرضها ميكيلانچيلو ورافاييل وبرنينيى وصحبهم ، ودانتى صاحب الكوميديا الإلهية التى قيل إنه تأثر فيها برسالة الغفران للمعرى . . وآخرين مثل ڤيردى وپوتشينى وماسكانى من أصدقاء أوپرا القاهرة ، وطفنا بالمتاحف وتوقفنا أمام معالم الفن التى أثرت عالم الحضارة . . وتأملنا جمال الطبيعة فى موقع الأكاديمية المتميز فى قلب روما ، وفى الطريق إليها تمثال الشاعر أحمد شوقى من صنع الفنان جمال السجينى . . يشاركه ظل الشجرة


▲ الفنان فاروق حسنى مع زوار أحد المعارض بالأكاديمية .


▲ فى حفل تكريم المهندس حسن فتحى .

الضخمة تمثال آخر للشاعر الفارسى «الفردوسى» صاحب «الشاهنامة» أو كتاب الملوك . . وفتحت أمامنا الأبواب لزيارة المتحف القريب منا والخاص بأعمال الفنان الإيطالى «كانونيكا» الذى أطلق اسمه على الشارع الذى يقع فيه المتحف وسط حديقة : ڤيلا بورجيزى ، وفيه شهدنا نسخة من تمثال الخديوى إسماعيل بالإسكندرية إلى جوار تمثال ضخم للملك فيصل الكبير ممتطيًا صهوة جواده!

وهكذا بعد لقاءاتى المشبعة مع راغب عياد، فى أعقاب مرحلة طويلة من العمل فى جو المسرح والموسيقى، كان الانتقال إلى الفنون التشكيلية وغيرها فى أكاديمية ثقافية على حد تعبير الإيطاليين فى مكاتباتهم المبكرة عند إنشائها، دون أن تبدو فى هذا الانتقال غرابة، طالما آمنت دائمًا بوحدة الفنون وعرضت هذه المفاهيم بشرح موضوعى، قبل ذلك بربع قرن فى كتابى الأول عن الموسيقى وتذوقها كفن من الفنون الرفيعة!

ومع التركيز فى هذه المرحلة على مجالات العمل الجديد بصفة أساسية بالأكاديمية، تتابعت الجرعات بالتدريج لاستيعاب ما تيسرت مشاهدته فى أهم العواصم الفنية، إلى جانب ما قدمته مواهبنا الوطنية فى إطار برامج موسمية، تولى الدور الأكبر فى عرضها بحضور أصحابها من الفنانين: الفنان فاروق حسنى، زميل العمل بالأكاديمية، والذى أسهم بدور إيجابى فى إعادة ترتيب البيت بصورة لفتت أنظار جيراننا بالأكاديميات الأخرى، والذين سعدوا بزيارتنا وقالوا إنها المرة الأولى التى يرون فيها الأكاديمية منذ افتتاحها، ولم يكن هناك قبل ذلك ما يلفت أنظارهم إلا ذلك «الحصان» فى واجهة الأكاديمية من صنع الفنان صلاح عبد الكريم، يراه الرائح والغادى فى شارع «أوميرو» حيث توجد الأكاديمية!

ولقد شاهد ضيوفنامن الجديد فى حديقة الأكاديمية - مثلاً - كتلة صخرية ثقيلة تناولها فنان النحت آدم حنين بموهبته ليصنع من الحجر كهيئة الطير، وقد تأهب للانطلاق بكل الخفة والحركة الانسيابية! وأتبع عمله الضخم بسلسلة من المنمنمات البرونزية على أشكال الطير . . وأخيرًا طار بنفسه إلى أسوان بعد تحقيق آماله القديمة فى استحداث لقاء «سيمپوزيوم» دولى لفن النحت!



▲ معرض الفنان سعيد الصدر

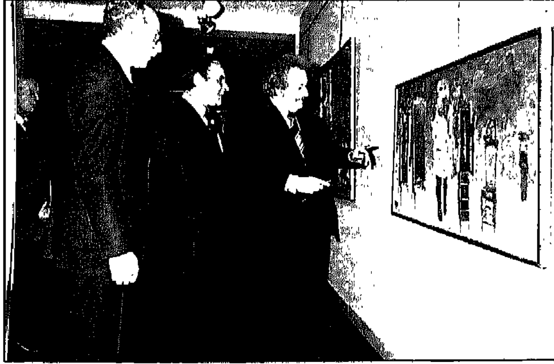


▲ فى معرض مدرسة ويصا واصف.

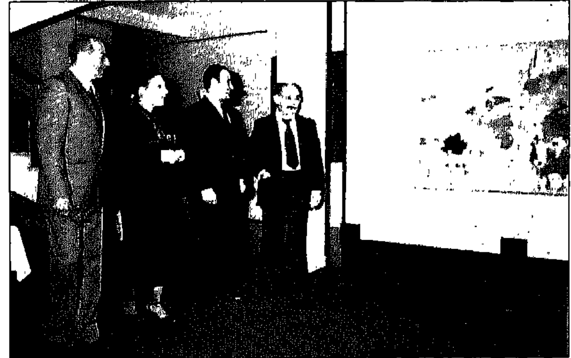
ومن بين الرواكد والمتروكات فى أقصى أركان المبنى، كان يقبع فرن الخزف الذى ولد ميتًا فى مخبئه، حتى جاء الفنان محيى الدين حسين لينفخ فيه الروح، ويفاجىء الزائرين لمعرضه بالأكاديمية بأجمل أعماله المتحفية.. ثم الفنان عبد العزيز صعب الذى بقى لنا من روائعه، تمثال برونزى (پورتريه) فاز فيما بعد بجائزة وزارة الثقافة!

وتظل الذكرى باقية لرحلتنا هذه مع الفنون التشكيلية بوجه خاص بين غيرها من أنشطة ثقافية للأكاديمية، لتلك اللوحة التجريدية القاجنرية للفنان فاروق حسنى، والتى أتبعها بعد عودتى النهائية إلى القاهرة، بأخرى لفتت نظرى فى أحد معارضه، وقد تمثلت فيها صورة الذى لفظه الحوت وهو سقيم، واستظل على الشاطئ بشجرة من يقطين، حين بدا فيها أثر المخزون الدينى الذى يكمن أحيانًا بالفطرة فى أعماق النفس البشرية، ثم يتجلى فى صورة تشكيلية متى وجد الطريق إلى العيون والقلوب، ولو اقتصر الشكل فيها على اللونين الأبيض والأسود!

وهكذا لم نضع وقتًا منذ بدء الممارسة الإيجابية للعمل بالأكاديمية والذى تتابعت فيه البرامج الثقافية من أفلام سينمائية وحفلات موسيقية ومحاضرات ومعارض سعد فيها الإيطاليون وغيرهم بمشاهدة إنتاج مدرسة ويصا واصف ولوحات حامد ندا ومنير كنعان وجاذبية سرى ومحيى الدين حسين ومحمود عبد الله ومحمد طه حسين وغيرهم.. ومن الإيطاليين أورتيجا (مارسيلى) وسيلڤيو بيكى.. وخزف سعيد الصدر..



في معرض الفنان حامد ندا. ◄



▲ فى معرض الفنان منير كنعان.



▲ فى معرض الفنان محمود عبد الله

ومن عازفي البيانو رمزي يسى وثريا معين ، وفرقة أوركسترا كونسيرفتوار القاهرة ؛ وفي الأمسيات الشعرية : إبراهيم صبري رئيس نـادي القصة بالقاهرة! وفي مقدمة الأحداث المشرفة لمصر بوجه خاص ، كان الحفل الذي قام فيه رئيس لجنة جائزة بلزان الدولية بتسليم هـذه الجائزة لشيخ المهندسين د. حسن فتحي بحضور عمدة روما والسفير المصري وغيرهما من كبار المدعوين ، حيث كانت اللفتة الطيبة لفناننا المهندس الكبير عقب كارثة الزلازل في منطقـة نابولـي والحاجة إلى إعادة بناء منازلهم ، أن قدم لهم هديته في صورة سقف لأبنيتهم ، خفيف الوزن قليل التكـاليف!

أما في مجال الأفلام السينمائية ، فقد استهلت بعرض لفيلم : دعاء الكروان عن قصة د. طه حسين!

▼ في معرض الفنان أورتيجا الإيطالي (مارسيلي) . ▼ في حفل أوركسترا كونسوڤتوار القاهرة .



إضافات شخصية:

هذا ، وإلى جانب متعة المشاهدة والإضافة إلى جعبتنا من معارف عن روائع تراث الحضارة بروما ، سواء داخل المتاحف النوعية أو بالشوارع والميادين ، أو ما كانت تقدمه أجهزة الإعلام في برامجها الثقافية فكانت فرصة الاستماع أحيانًا إلى كلمات بابا الڤاتيكان في لقاءات الأحد الأسبوعية ، و الذي عرف منذ بداية عهده بالتفاعل والتعاطف مع المشاكل الإنسانية في حياة الشعوب ، وما كان لذلك مثلاً من آثار نلمسها في التغيير الكبير في العلاقات الدولية على مختلف المستويات ، وجاءت بدايتها مع زيارته لمسقط رأسه پولندا وما تلى ذلك بوجه عام في الاتحاد السوفيتي!

ولقد قرأنا أخيراً ما قاله الموسيقار اليهودي العالمي لورد : يهودي مينوهين (٩٠ عاماً) في نصيحته لرئيس الحكومة الإسرائيلية[1] حول المشاكل مع العرب والفلسطينيين : إن زمن سياسة «أرض الميعاد» قد ولّى . . . كما بعث برسالة تأييد إلى المفكر الفرنسي المسلم «رجاء جارودي» بمناسبة محاكمته في فرنسا بتهمة معاداة السامية في كتابه «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» . .

(١) جريدة الأهرام - ٢٣ يناير ١٩٩٨ .

ومينوهن هذا، هو نفسه الذى كنت قد تبادلت معه الرسائل فى الستينيات، بناء على اقتراح المستشار الثقافى الأمريكى «باور» للمشاركة فى إحدى حفلات أوركسترا القاهرة السيمفونى كعازف منفرد لآلة الفيولينة، حين فوجئت بطلبه الغريب بتوجيه إيراد الحفل لإحدى الجمعيات اليهودية بمصر، وجاءه ردى بكل هدوء وموضوعية، باقتراح توجيه المبلغ لهيئة تقدم خدماتها للصالح العام دون الاقتصار على اليهود، فأثاره ذلك ووجه لى كلماته بكل صراحة وانفعال مؤكدًا فى سياق الخطاب انتماءه «للوطن الأم» . . وصرفنا النظر عن الموضوع، ثم رأيناه أخيرًا يجئ إلى مصر لقيادة بعض حفلات أوركسترا القاهرة السيمفونى! . . وربما كان يقصد من موقفه القديم مجرد مجاملة الإنجليز أصحاب الاعتداء الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦، بعد أن منحوه الجنسيه البريطانية فى عام ١٩٥٨ .

. . ومع العودة بذكرياتنا لما قد يصادفنا بعد العودة إلى مصر، من الحاجة إلى المزيد من الخبرات فى محاولات التعديل لبعض المنشآت كى تلائم الإعداد الهندسى لممارسة النشاط الأوپرالى، فى ظل صعوبات التمويل لإقامة دار جديدة للأوپرا، وكان آخرها مع الوزير عبد المنعم الصاوى، عندما اتجه إلى السراى الكبرى بأرض المعارض بالجزيرة، فى مرحلة تأرجحت خلالها آمالنا بين أقصى التواضع وقمة الطموح، فقد طرقنا فى روما كل الأبواب بحثًا عن التجارب المماثلة وتفاصيل الأعمال المطلوبة لذلك، ووجدنا السوابق فى المسرح العتيق «مسرح أرجنتينا»، وقد سجلوا تفاصيل عملية الترميم فى كتاب تذكارى حصلنا على نسخة منه وأودعناها مع غيرها بمكتبة دار الأوپرا بالمركز الثقافى القومى، بالإضافة إلى ما صادفنا من تصميمات ومطبوعات لمجموعة أخرى من المسارح!

وكما توقعت، فقد استدعانى بعد ذلك بالفعل الوزير الجديد للثقافة محمد عبد الحميد رضوان للمناقشة .



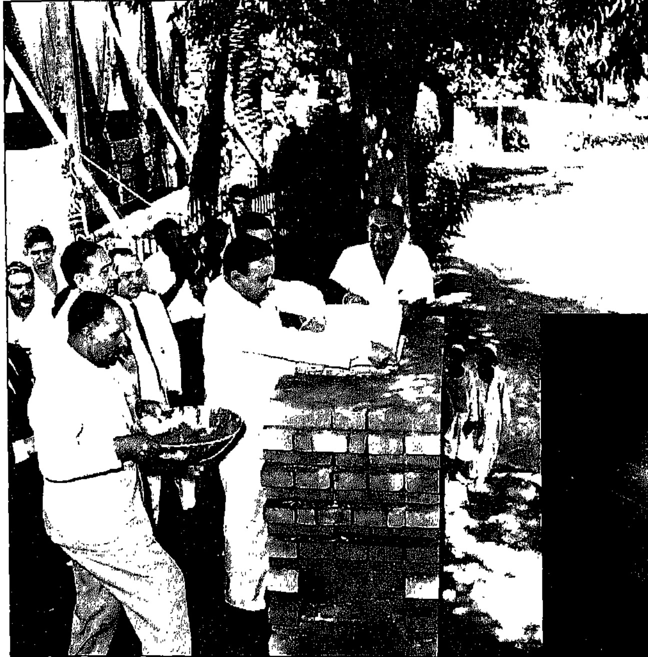
دار جديدة للأوبرا

محـاولات:

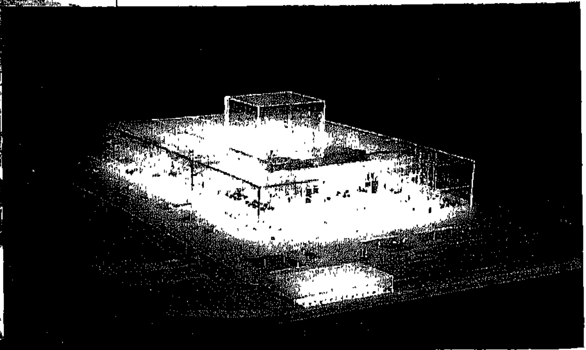
رأت وزارة الثقافة فى أوائل الستينيات الإعداد لمشروع كبير لإنشاء دار جديدة للأوبرا بالقاهرة، بين غيره من المنشآت الطموحة بالوزارة، وذلك بعد أن تهالكت الدار القديمة مع قرب بلوغها القرن من الزمان . . حاملة خلالها لأهم الذكريات، ذات الاهتمام العالمى، منذ إقامتها فى مناسبة افتتاح قناة السويس فى عام ١٨٦٩، ثم استحداث رائعة ڤيردى : عايدة بها على رأس موكب من الأحداث الفنية التى جعلت من الدار علامة وقمة فى تاريخ فن الأوبرا!

وتحقيقًا لمشروع إقامة الدار الجديدة فى أكمل صورة ولا تنقصها أحدث الصيحات فى هذا المجال، كانت الوزراة قد طلبت من منظمة اليونسكو فى باريس، ترشيح أفضل من يتولى مهمة التصميم من المهندسين ذوى الشهرة على المستوى العالمى! ووقع الاختيار على الألمانى «بورنمان» أملاً فى الوصول بهذا الإنجاز إلى نفس المستوى الذى حققه قبل ذلك فى الأوبرا الجديدة بمدينة برلين (الغربية) . . ووضع بالفعل الوزير ثروت عكاشة حجر الأساس للبناء فى شهر يوليو ١٩٦٢ بحديقة الحرية على شاطىء النيل، فى مواجهة نافورة المياة المقامة وسط مجرى النهر فى تلك البقعة!

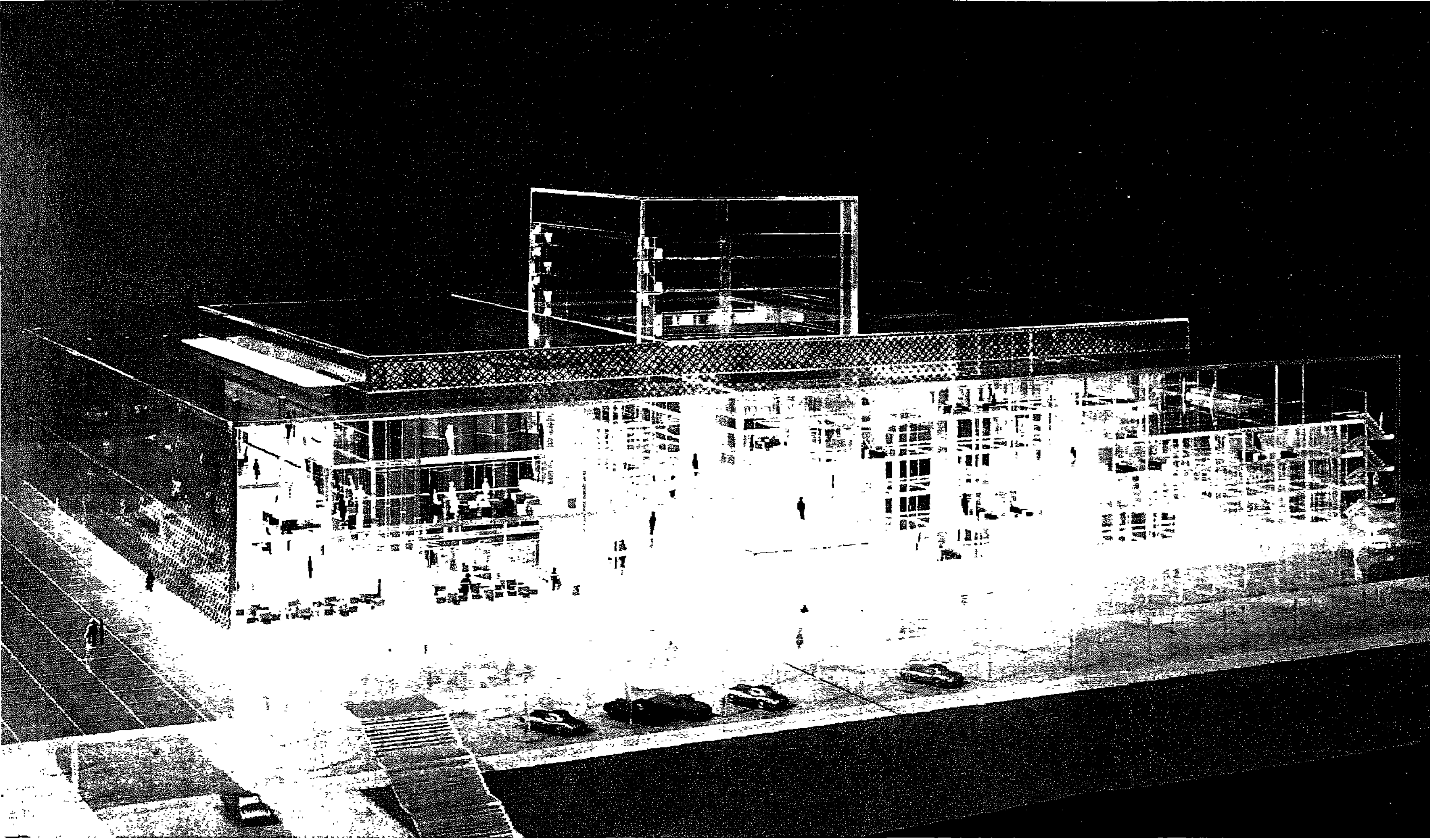
وفى أعقاب تعديل وزارى، ضعف الاهتمام بالمشروع ولم ينفذ رغم أهميته وما أنجز فيه من جهود فى التصميم وما تكلف من نفقات تحملتها الدولة، وأقيم فى موقعه فندق شيراتون الجزيرة!



◄ الوزير ثروت عكاشه يضع حجر الأساس للدار



▲ مشروع دار الأوبرا الجديدة (١٩٦٢)
(على شاطىء النيل)



صورة لمشروع الدار
(الشرفة فى واجهة المبنى ممتدة نحو النافورة وسط مياه النيل والطريق العام أمام مدخل الدار يمر من تحتها)

احتراق دار الأوبرا:

وفى أعقاب احتراق الدار القديمة فى أكتوبر عام ١٩٧١ ، كانت العودة لإحياء المشروع ، وذلك فى تحرك عاجل من جانب رئيس الجمهورية أنور السادات، وكان فى رحلة خارجية، فأبرق بتكليفاته إلى مجلس الوزراء بالتحرك الفورى لمواجهة الكارثة، فاعتمد مبلغ مائتى ألف جنيه لبدء الدراسات . . وأعلنت جريدة الأهرام عن استلامها لمبلغ أربعة آلاف جنيه، تبرعًا من الأستاذ الجامعى نجيبً يوسف وكذا زميله د. إبراهيم شحاتة، كحافز للمواطنين للإسهام فى التكاليف بصورة حضارية . . وتمثلت فى كل ذلك صور رد الفعل المباشر على المستويين الحكومى والجماهيرى!

إلا أننا لم نلمس بعد ذلك تحركًا جماهيريًا وراء المتبرع بعد أن اعتاد الناس السير وراء قيادة حكومية فى كل خطوة! ولما لم يجدوا هذه القيادة لم يتحركوا رغم كل الصدق فى مشاعرهم، الفقير قبل الغنى، ورأينا من بينهم منْ يبكى والدار تحترق . . كما أن حماس رئيس الجمهورية لم ينتقل إلى كبار معاونيه فوجدنا مثلاً المسئول الكبير يبدى كل السعادة والارتياح لحظة اندلاع الحريق، وهو يتصور الشكل الجديد للموقع، حين يقوم بضم المساحة التى تشغلها الدار وما وراءها من منشآت حتى ميدان العتبة، لاستحداث ميدان كبير.

وإضافة إلى ذلك ما رواه لنا السفير الإيطالى «بلايا» حين استدعى للقاء شخصية كبيرة، يفترض فيه قبل غيره معرفة ظروف الأوبرا . . وتوقع السفير أن يكون سبب اللقاء هو موضوع الساعة الذى اهتزت له بلاده كشريكة لمصر فى التاريخ الطويل بين البلدين فى مجال الأوبرا بوجه خاص، حتى لو اكتفينا بذكر أوپرا «عايدة» التى أسهم الجانبان معًا فى إضافتها لأروع روائع التراث الأوپرالى، وكيف استقبل الرأى العام فى إيطاليا أخبار الكارثة التى أصابتهم أكثر مما أصابتنا، فتتابعت الموضوعات الصحفية مع نشر مقترحات المواطنين هناك حول أوجه المعاونة لإعادة بناء الدار، ومنها ما ارتآه فنانو الأوپرا بالتبرع بأجورهم عن بعض الحفلات، يليه فى اليوم التالى اقتراح آخر بأن يشمل التبرع جميع الفنانين ولا يقتصر على فنانى الأوپرا . . إلخ - وهنا تجىء دهشة السفير الإيطالى بأن المسئول المصرى الكبير لم يتناول سيرة الأوپرا من قريب أو بعيد!

وهنا تنطفئ جذوة الاهتمام العام، وسط عجزنا عن استغلال أهم مبادرات الغير، وبدأ الأشرار خارج مصر يلمّحون فى الصحف بأن مصر انتهت علاقتها بفنون الحضارة، الأمر الذى انفردت إدارة الأوپرا بمواجهته بالإعلان عن استئناف حفلات الموسم السيمفونى بقاعة سيد درويش للموسيقى!

أما الجو العام فى تلك الفترة، فلم يخل من الطرائف والتناقضات، مع تتابع وصول برقيات العزاء والتعاطف معنا على المستوى العالمى، تذكيراً وإشادة بتاريخ أوپرا القاهرة وتراثها الباقى بين معالم الحضارة، حين جاءت المواساة من الولايات المتحدة على الطريقة الأمريكية، بتوجيه الدعوة الرسمية لوزارة الثقافة، لإيفاد أربعة من المسئولين، للاطلاع على تصميمات المسارح المماثلة، قديمها وحديثها، صغيرها وكبيرها، كنماذج يمكن الاهتداء بها فيما يلائم ظروفنا فى تصور الشكل البديل للدار المحترقة! وربما كان وراء ذلك، مجرد الإيحاء بإمكان التحضير لحملة واسعة هناك لجمع التبرعات، يقودها مواطنونا المهاجرون!

وكان رد الفعل لذلك من جانب مسئولينا، هو الرحلة السياحية للمحظوظين من غير المكلومين الغارقين فى

حيرتهم وأحزانهم بعد خراب ديارهم - مصائب قوم عند قوم فوائد! واستغل الفرصة بلباقته وسلطاته وكيل للوزارة من أهل الثقة والذى عرف بخفة الحركة بين مواقع السلطات الفوقية، وتمتع هو بالرحلة مع رفاقه من خارج جو الأوبرا والموسيقى . . وفى التقرير الرسمى بعد العودة من الرحلة، وبفكر الموظف الحكومى المتمرس، قالوا إنهم لم يجدوا فى الولايات المتحدة ما يلائم ظروفنا بمصر، مطمئنين إلى أن قارىء التقرير لا يهمه الأمر كثيرًا!

تحرك إيجابى:

أما النظرة الموضوعية الهادئة للمشروع، فقد جاءت من جانب وزارة الإسكان التى رأت العودة إلى المحاولة الأولى لوزارة الثقافة على شاطئ النيل، ودراسة نقل التصميم إلى موقع الدار بميدان الأوبرا، بعد أن استقر وجودها وسط المدينة كأهم المعالم فيه، منذ أنشأ هناك الخديوى إسماعيل مجموعة «تياتراته» فى أواخر الستينيات من القرن التاسع عشر! وقد تطلب تنفيذ المشروع إعادة تخطيط «ميدان الأوبرا» بما يلائم البناء فى



د. عبد القادر حاتم يوضع حجر الأساس لمشروع بورنمان بميدان الأوبرا سنة ١٩٧٢.

مشروع الأوبرا والمجمع الثقافى بالأزبكية.



حجمه الكبير وما ينتظر فيه من إضافات واستعمالات حديثة فى وظيفته، وبما يتفق وتطور المنطقة وما يتوقع لها من زيادة فى حركة المرور، الأمر الذى دعا إلى إقامة مسابقة محلية منحت فيها الجوائز لأفضل المشروعات الثلاثة، على أن يقوم المهندس «بورنمان» بعد ذلك بالتعديلات التى يقتضيها التغيير فى مشروعه القديم ليلائم الموقع الجديد، ووضع بالفعل حجر الأساس للمبنى بمنطقة الجبلاية بحديقة الأزبكية فى شهر مايو ١٩٧٢ وتوقفت الإجراءات عند هذا الحد!

وفى عام ١٩٧٥، عقب انتهاء حرب أكتوبر وتوابعها، والانتقال إلى جو جديد من التطلعات على المستوى العام، رأت وزارة الإسكان التى تولاها المهندس عثمان أحمد عثمان، المضى قدمًا فى المشروع وذلك بمراجعة التصميم وتنفيذه من خلال مسابقة دولية!

وقد شاركنا حينذاك كمندوبين لوزارة الثقافة، مع اللجنة الاستشارية العليا للتعمير طوالى عامين فى مهمة الدراسات التفصيلية التى تحقق النواحى الوظيفية للمبنى، وذلك من خلال بيت الخبرة الألمانى «بورنمان» ومن وجهة نظر الأجهزة الفنية المحلية التى ستمارس نشاطها فيه، وبأحدث الأساليب وأبعد الطموحات . . وتتابعت بعد ذلك اللقاءات الثلاثية التى جمعتنا مع المهندس بورنمان مصمم المشروع والمهندس ظريف عزيز، تمهيدًا لطرح المشروع النهائى بكل تفاصيله فى مسابقة دولية لاختيار من يتولى التنفيذ، حتى تم انجاز كل شىء على أكمل وجه ممكن، بما يهيىء لحياتنا الثقافية صرحًا متعدد الأغراض ولعلاقتنا الدولية مقرًا للمؤتمرات . . وتحقيقًا لهذه الوظائف، تم استغلال الموقع إلى أبعد الحدود، ليشمل المبنى الرئيسى للدار، مع إضافة وحدتين منفصلتين فى كل من ركن حديقة الأزبكية من الجهة البحرية وموقع دار سينما أوپرا فى الجهة القبلية من ميدان الأوپرا . . وتتكامل كلها فيما تؤديه كل منها من خدمات فنية فى إطار الرسالة المتشعبة للدار الجديدة وملحقاتها!

أما الورش والمخازن المركزية التى تختص بإعداد المناظر المسرحية وما يتصل بها، فقد رئى فى ضوء الاتجاهات الحديثة فى العالم أن تستقل ببناء له تصميمه الخاص، وينفرد بموقع خارج منطقة وسط المدينة، تفاديًا لأزمات المرور، والتكدس دون مبرر داخل الدار، حيث يكتفى فيها مثلاً بتخزين ما يكفى لعدد قليل من العروض فى ورش ومخازن فرعية، مع تحقيق أقصى درجات المرونة وخفة الحركة فى عملية تبادل اللوحات للمناظر المسرحية بين مسرح الدار والموقع الخارجى! وكنا قد شهدنا التجربة فى أوپرا ڤيينا، حيث صعدوا بعربة النقل الضخمة حتى مستوى خشبة المسرح فى أبعد مكان من خلفيتها لإجراء التفريغ والشحن، ثم الهبوط بها حتى مستوى الشارع خارج الدار بين بابين للدخول والخروج!

وكانت آخر كلمات المهندس بورنمان لنا بعد إنجاز العمل قوله: إنه أتم الهيكل من لحم وعظم، ليتولى من بعده المهندس المصرى كسوة الجلد بما يلائم البيئة والذوق العام!

. . وكنا فى زيارة لأوپرا «براتيسلاڤا» قد علمنا بأن هذا الأسلوب، كما قال مهندسهم الفنان «ڤيخوديل»، وصل بإنتاجهم للاحتياجات المسرحية إلى درجة الاكتفاء الذاتى للمسارح داخل جمهورية سلوڤاكيا، بالإضافة إلى التصدير للمسارح الخارجية بالدول المجاورة! هذا، وتشكل الورش والمخازن المركزية المستقلة عن مبنى الأوپرا، أيضا مركزًا فنيًا يتيح الفرصة كما فى أوپرا ڤيينا لتدريب الفنانين من مختلف الدول، وكان فناننا على سبيل المثال: سامى رافع قد تلقى معظم خبراته بالمركز التابع لهذه الأوپرا فى النمسا بينما اكتسب الفنان عبد الله العيوطى هذه الخبرات فى «براتيسلاڤا» وقد كان آخر المديرين للمسرح بالدار القديمة للأوپرا!

الجدير بالذكر هنا أن المهندس بورنمان كان قد استحدث فى مشروعه، فكرة إقامة «جراج» متعدد الطبقات تحت مستوى الأرض فى ميدان الأوبرا، لخدمة المواطنين بوجه عام نهاراً ورواد دار الأوبرا مساءً!

وقرأنا أخيراً عن اتجاه المحافظ المتنور عبد الرحيم شحاتة، لتنفيذ الفكرة بميدان التحرير، وذلك فى سياق جهوده لإنقاذ القاهرة من أهلها . . وقبل أن يتحرك أعداء الجمال لإقامة الجراج فوق سطح الأرض كما فعلوا بميدان الأوبرا بدلاً عن ترميم خسائر الحريق بالدار القديمة كما يفعل العقلاء، حين ذهبت بأمثالهم الأحلام والهلوسة إلى الامتداد بالمساحة التى يشغلها المبنى إلى ميدان العتبة!

وكانت وزارة الإسكان قد التزمت بتدبير وسائل التمويل لمشروعنا الطموح، وبكل الثقة التى افتقدناها عندما فكر فى ذلك الوزير جمال العطيفى، حين طلب منى كتابة مقال يدعو إلى الإسهام الدولى فى المشروع، ونشر فى جريدة الأهرام!

* ومع تعديل وزارى مفاجئ، عين وزير جديد للإسكان، ولم تنفع معه توسلاتنا اليائسة، عندما رتب لنا اللقاء العاجل معه، الوزير الأسبق، محب الموسيقى المهندس فؤاد أبو زغلة! وكنا نتمنى مجرد البدء فى التنفيذ ولو على مراحل متقاربة أو متباعدة طبقا لما يتاح من اعتمادات مالية من أى مصدر، حتى ولو امتد العمل عشرين عاماً، حتى لا تضيع أموال الدولة فيما أنفق من مبالغ طائلة فى تصميمات المهندس الألمانى «بورنمان» . . ولا تتلاشى ثمار جهودنا المركزة معه طوال عامين . . وتخيب آمالنا وآمال الأخيار من المواطنين الباحثين عن الأفضل فى المجتمع!

وهكذا، ترك الموضوع رغم أهميته وما بذل فيه من جهود وأنفق فيه من أموال، لمصادفات الظروف!

* ولما جاء الوزير عبد المنعم الصاوى بدوره لمواجهة الأزمة، فقد بدأ بفكرة استغلال منطقة أرض المعارض بما فيها من أبنية ضخمة يحتمل التعديل لأكبرها، من وجهة نظره، لتؤدى الغرض كدار للأوبرا . . وتحت شعار «مركز السادات لحضارة الإنسان» امتد الموقع إلى شاطئ النيل بالقرب من كوبرى ٦ أكتوبر، أملاً فى إقامة الدار الجديدة هناك على شاطئ النيل إن سمحت الظروف واستجاب الرئيس السادات للفكرة(*)!

* وأخيراً لم يطل انتظارى عندما انتقلت إلى مجال جديد، كمدير للأكاديمية بروما، وتولى محمد عبد الحميد رضوان عمله وزيراً للثقافة، وكان متحمسًا لتنفيذ المشروع، واستقبل العروض والأفكار العديدة من جهات محلية وأجنبية، فدعيت للحضور ومراجعة الموضوع معه . . وفى عودة نهائية إلى مصر فى ربيع عام ١٩٨٣، بدأت المشاركة الإيجابية فى تصميم المشروع الذى جاء ثمرة للتعاون ومنحة يابانية، إثر زيارة عمل وصداقة للرئيس حسنى مبارك إلى طوكيو!



(*) فى محاولة ساذجة قبل ذلك من جانب جامعة القاهرة، فإنها تناولت خشبة المسرح بقاعتها الاحتفالية الكبرى بالتعديل والإضافة لمساحتها لإعدادها للعروض الأوبرالية وغيرها، ومن تحتها حفرة الأوركسترا التى امتدت إلى أسفلها بالعمق، بما لا يمكن قائد الأوركسترا من رؤية معظم العازفين . . وعندما فوجئت بهذا الخطأ الهندسى وما أنفق فى تنفيذه من أموال، اقترحت للضرورة إزالة الصفوف الأربعة الأمامية من صالة المتفرجين وإضافة موقعها للحفرة، حين همس المهندس الكبير فى أذنى متسائلاً، إن كان من الضرورى أن يرى المايسترو جميع العازفين!!

المركز الثقافى القومى

هذا، وقد استقبلنا المشروع اليابانى بما يستحق من حماس واهتمام بعد طول انتظار، حين وجدنا بين أيدينا تصميمًا قد يصلح لأحد قصور الثقافة فى المحافظات! واتفقت وجهة نظرى المبدئية مع زميل العمل فى المشروعات السابقة، المهندس ظريف عزيز، فنقل ملاحظاتنا الموضوعية إلى تقرير، شرح فيه كيف أغفل التصميم المقترح استغلال أهم مميزات الموقع بأرض المعارض: فى مواجهة كوبرى قصر النيل، خلف تمثال الزعيم سعد زغلول، حيث يمتد الفراغ أمام واجهة الدار مائة وخمسين مترًا تقريبًا مما يكسبها شكلاً بانوراميًا له جمالياته، وكان البديل لذلك فى المشروع اليابانى مدخلاً جانبيًا من شارع التحرير بالجهة القبلية مما لا يتيح فراغًا أكثر من عشرة أمتار بينه وبين مبنى الدار الذى عرّى من الواجهة المألوفة فى دور الأوبرا قديمها وحديثها! ونشير هنا إلى أن من أعضاء لجنتنا من المواطنين من أقر وجهة النظر التى تقول بأن المفاهيم الحديثة تنظر إلى الشكل العام ككيان متكامل فى نظرة شمولية! وتبقى هنا المشاكل والعيوب فى اختناقات المرور وعرقلة الحركة فى وسائل النقل والانتقال عند الدخول والخروج . . يضاف إلى ذلك خلو الطابع المعمارى من الإيحاءات والمظاهر التى تتميز بها مثل هذه الأبنية، وخاصة فى موقع أرض المعارض بشكلها العام ومكوناتها الفنية وجاذبيتها وتاريخها وموقعها بين محافظتى القاهرة والجيزة، وقد رفع على مدخلها شعار: مركز السادات لحضارة الإنسان . . وكان المشروع المعروض يقضى أيضًا بتخصيص المساحة الكبيرة فى مواجهة ميدان سعد زغلول لانتظار السيارات!

وهنا نقلنا الصورة فورًا إلى الوزير محمد رضوان الذى جاء لتوجيه كلمة مهذبة ورائعة إلى الأصدقاء، أصحاب المنحة، قائلاً: لقد قدمنا لكم أجمل وأعز بقعة لدينا على شاطئ النيل، وإن لم يرق المشروع إلى مستواها المتميز، فإنه لا يسعنا إلا تقديم الشكر والتقدير لمشاعركم نحونا، مع رجاء صرف النظر عن الموضوع!

اجتماعات تصميم المبنى (١٩٨٣ـ١٩٨٥) (مع رئيس الوفد اليابانى وأعضائه وجمال حمزة وكل أول وزارة الثقافة ورئيس الجانب المصرى)





● وهنا طلب منى تقديم بيان موجز عن أنشطة الدار [1]، وكان للجنة ما أرادت فى حصر سريع شامل بقدر الإمكان كما يلى :

● عروض الأوبرا بأحجامها المسرحية المختلفة - حفلات موسيقية بأنواعها من سيمفونية وكورالية وعزف منفرد (ريسيتال) وموسيقى حجرة وعربية كلاسيكية - باليه كلاسيكى - أوبريت - مهرجانات ثقافية وفنية - برامج تعليمية فنية - صيانة آلات موسيقية وآلة بيانو - تدريب مركز على عزف الآلات الوترية على الطريقة اليابانية «سوزوكى» للأطفال كوسيلة سريعة النتائج، وذلك فى فصول نجد منها فى فرنسا وحدها خمسين فصلاً، وكنا قد شهدنا ثمار هذه التجربة المبكرة فى عام ١٩٦٤ بمدينة بوسطن الأمريكية فى جولة فنية لمجموعة من الأطفال بهرت الجو الفنى فى الولايات المتحدة الأمريكية . . وانتشر على إثرها العازفون اليابانيون فى الأوركسترات الأوروبية، وكان لنا حديث خاص مع عازفة من هؤلاء فى روما لمناقشة بعض تفاصيل التجربة الناجحة!

● محاضرات وندوات ولقاءات فكرية - مؤتمرات محلية ودولية على غرار مؤتمر وزراء الثقافة السابق فى المكسيك!

● معارض الفنون التشكيلية - مسابقات العزف الموسيقى على المستويين المحلى والدولى، وكذلك الغناء الأوبرالى والتى قد تسفر عن مسابقة لها أهميتها فى الأدوار الرئيسية الخاصة بأوبرا «عايدة» وذلك على غرار مسابقة «بترفلاى» فى اليابان!

● التسجيلات الموسيقية بالصوت والصورة - العروض السينمائية فى بعض المناسبات - حفلات توزيع جوائز الدولة السنوية بأنواعها - مكتبة متخصصة ومتحف للمسرح والموسيقى.

● وكمؤشر عام لتصور حجم المبنى القادر على استيعاب مثل هذه الأنشطة المألوفة فى دور الأوبرا، قدمنا البيانات التالية استجابة لتكليفنا بهذه المهمة من قبل اللجنة أيضًا .

أولاً: القاعة الكبرى (١٥٠٠ مقعد) وملحقاتها من الاستراحات ودورات المياه ومكان حفظ المعاطف والبوفيه - والمقصورة الرسمية لكبار الضيوف وملحقاتها . .

ثانيًا: خشبة المسرح بمساحة (٦٠٠ م^2 فى حدود ٤٠٠ إلى ٥٠٠ شخص) وإلى الجانبين مساحات إضافية فى حدود ٥٠٠ م^2 لكل منها وثالثة إلى الخلف فى حدود ٤٠٠م^2 - ومزودة بقرص دائرى، مع سهولة تحريك الأرضية جانبيًا ورأسيًا!

● تشغيل خطة الإضاءة المسرحية بأسلوب الأورغن المتبع فى الأنظمة الحديثة بدور الأوبرا الكبيرة فى الخارج!

● إمكان عزل منطقة خشبة المسرح عن الصالة ذاتيًا فى حالة الحريق دون تدخل من الأفراد.

● تراعى كفاية الممرات الجانبية لتحريك التجمعات وتيسير السيطرة الفنية عليها.

ثالثا: الوحدات الموسيقية:

● حفرة الأوركسترا: وتستوعب عدد ١٢٠ موسيقيًا فى حدود ١٣٠ م^2 وأرضيتها متحركة رأسيًا حتى مستوى أرضية خشبة المسرح، لاستغلال هذه المساحة فى الحفلات السيمفونية، مع تزويد الموقع بآلة أورغن صغيرة!

● استراحة للعازفين ذات اتصال مباشر بالحفرة، ودورات مياه وبوفيه.

● قاعة تدريبات فى حدود ٢٠٠ م^2.

● مكتبة نوتات موسيقية.

ملحوظة: يفضل تجميع هذه الوحدات واستقلالها بمدخل خاص، منعًا للاختلاط والازدحام فى ممرات الدار، ولممارسة هذه الخدمات فى قسم من الدار، حيث تتاح الخدمات فيه فى أثناء التدريبات النهارية فلا يتطلب ذلك فتح الأبواب الرئيسية للدار بنظام الدار القديمة قبل ارتفاع منسوب المياه الجوفية فيها!

---

(١) قرارات اللجنة المشكلة للمشروع (٢٧ يونيو و٦ يوليو و١٧ يوليو ١٩٨٣).

رابعًا: فرقة الكورال (الغناء الجماعى):

- قاعة تدريبات فى صورة مدرج (٢٤٤ م٢) وملحقاتها من الاستراحات ودورات المياه ومكتبة للنوتات الموسيقية وغرفة إدارة.

خامساً: فرق الرقص (باليه):

- قاعتان للتدريبات بمساحتين مختلفتين (٣٢٠ م٢، ٢٢٠ م٢) مع مراعاة وجودهما بالقرب من خشبة المسرح بقدر الإمكان.. والملحقات من حمامات واستراحة وبوفيه.

سادسًا: قاعة تدريبات رئيسية (٥٠٠ م٢) وتكون ذات سقف مرتفع يشغل مستويين من مبنى الدار.

ســابعًا: غرف للفنانين أصحاب الأدوار الرئيسية والثانوية، ويكون بعضها أقرب ما يكون لخشبة المسرح كما فى حالة القائد والفنان الزائر فى بعض العروض.

- ثمانية غرف تقريبًا للتدريب الانفرادى وأربعة للتدريب للمجموعات وثمانية لارتداء الملابس للمجموعات.

ثامنًا: القاعة الصغرى فى حدود ٥٠٠ مقعد للرواد إلى جانب الخدمات المعتادة لخشبة المسرح على غرار القاعة الرئيسية بنسبة معقولة!

تاسعًا: دائرة تليفزيونية داخلية:

تختص بنقل ما يدور على خشبة المسرح إلى مختلف أرجاء الدار ليتمكن الفنانون والفنيون فى غرفهم ومواقعهم من متابعة المشاهد والتواجد على خشبة المسرح فى اللحظة المواتية لظهورهم عليها لأداء أدوارهم، وكذا جمهور الرواد ممن يصلون الدار بعد غلق أبواب الصالة.

عاشرًا: المخازن والورش، وقد تعرضنا فى غير هذا المكان لما استجد فى شأنها.

حادى عشر: الإدارة، وما يتصل بها من خدمات.

ثانى عشر: نقطة إطفاء الحريق.. وتزود بوسائل الإنذار والتدخل السريع ومن أحدث الأنظمة.

ثالث عشر: عيادة طبية وإسعاف.

رابع عشر: المكتبة والمتحف.

خامس عشر: مطعم وكافيتريا لخدمة المنطقة سواء للرواد أو غيرهم.

سادس عشر: أماكن انتظار السيارات.

- **اقتراح:** يبحث الاتفاق منذ الآن على دعوة اثنتين من أشهر الفنانات اليابانيات فى دورى «عايدة» و«مدام بترفلاى» للمشاركة فى موسم افتتاح الدار!



الأب الروحى للمشروع محمد رضوان
(١٩٤١-١٩٨٧)

وجاء فى نص قرار اللجنة حول تلك البيانات ما يلى :

١ ـ اعتماد ورقة العمل المقدمة من صالح عبدون على الوجه المبين بهذا المحضر واعتبارها أساسًا صالحًا لمناقشة الجانب اليابانى عند اللقاء به . . وترجمة الورقة الأولى إلى الإنجليزية .

٢ ـ تكليف صالح عبدون بتقديم دراسة عن العمالة التى يتطلبها تشغيل المشروع وإدارته ، وكذا جمع المعلومات عن متعلقات دار الأوبرا القديمة لضم ما يتاح الحصول عليه منها إلى متحف الأوبرا الجديدة .

٣ ـ تكليف محمد ناصر بالاتصال بوزارة الاقتصاد للاستعانة بمحسن صادق لدراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع وموافاة اللجنة بصورة الدراسات التى أجريت فى الوزارة للمشروعات المماثلة للاسترشاد .

٤ ـ تكليف السادة المهندسين ظريف عزيز وإسماعيل طلبة وألفت أنور بعمل الخرائط الطبوغرافية وخطوط التنظيم ودراسة القوانين والقرارات الإدارية التى تخضع لها أرض المعارض بالجزيرة ، وكذا اشتراطات المرافق فى هذه المنطقة !

وفى محضر الاجتماع الثالث للجنة جاء ما يلى :

فبالنسبة لمعاينة الموقع وتحضير خرائط تفصيلية له ، أفاد السيدان صالح عبدون والمهندس ظريف عزيز بأنهما قاما بالمعاينة للموقع المختار للدار الجديدة ، ويقترحان استكمالاً لمهمتهما ضرورة إعادة معاينة أرض المعارض بكامل ما عليها من منشآت ، حتى تشمل الدراسة مشروعات «مركز السادات لحضارة الإنسان» وخاصة مشروع متحف الحضارة الكبير !

مفاجأة : وكما جاء فى قرار اللجنة ، باعتبار ورقة العمل المقدمة منّى ، أساسًا لمناقشة الجانب اليابانى عند اللقاء به ، فقد كانت هذه الصورة الطموحة ، مفاجأة لأصدقائنا أصحاب المنحة ، لكنهم أسرّوا ذلك فى نفوسهم ، وجاءونا فى الاجتماع التالى بوجه جديد من الضيوف كعادتهم ، ويبدو أنه كان من كبار مسئوليهم فقال : بكل صراحة ، نحن نقدم المنح لإقامة المستشفيات والمعاهد وليس لبناء دور الأوبرا !

. . وكان ردنا على ذلك بكل هدوء ، أننا من واقع المشاهدة فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ، وإيمانًا منا بهذا الواقع ، لا يهمنا الاسم ، وليكن مثلاً مركز القاهرة الثقافى أو المركز الثقافى والتعليمى لما سوف يحتويه من أنشطة تعليمية فى شتى المجالات . . ولو رجعنا إلى آخر وأكبر المشروعات فى مدينة لوس أنچيلس (١٩٦٤) لوجدنا الدار المماثلة تحمل اسم : پاڤيليون ـ وفى عاصمة الموسيقى العالمية «سالزبورج» موطن موزار بالنمسا ، شهدنا أضخم العروض الموسيقية والأوپرالية فى عام ١٩٦٦ ، فى الدارين الحديثتين : قاعة الاحتفالات الكبرى وقاعة الاحتفالات الصغرى !

واتفقنا فى النهاية على اختيار اسم : المركز الثقافى والتعليمى ، وأكملنا الشوط إلى آخره فى مراحل التصميم فى جو من الود والحماس ، وتحت الإشراف القريب والمتابعة الحثيثة من جانب الوزير محمد عبد الحميد رضوان ،

والذى كانت آخر مطالبه من الأصدقاء المتبرعين بالمشروع هى، كما قال، إضافة بعض «البهارات» إلى المنظر الخارجى للمبنى!

وجاء من بعده الوزير الأديب د. أحمد هيكل ليعطى دفعة للتشطيبات ويدعونا لمناقشة الأعمال الأخيرة، ثم الإعداد لحفل الافتتاح (١) فى ضوء الاقتراحات التى شكل لها لجنة خاصة ضمت الفنان الكبير محمد عبد الوهاب الذى رُفض اقتراحه ومعه البدائل من جانب غيره من المجتمعين، حتى كانت الغلبة فى النهاية للجانب اليابانى برقصهم التقليدى: كابوكى، وذلك كفقرة رئيسية فى السهرة التى تخللها ما أثلج صدورنا فى صورة ثمرة يانعة للجهود المبكرة فى الخمسينيات، عندما قدمت نخبة من براعم الملتحقين بمعهد الكونسيرفتوار بالقاهرة فى عام ١٩٥٩، وصاروا الآن من ألمع الفنانين، ثلاثية بيتهوفن المشهورة التى شارك فى عزفها:

مشيرة عيسى (بيانو) مع كل من مصطفى ناجى فى عزف التشيللو وحسن شرارة فى عزف الفيولينة واللذين يمثلان الآن قيادات موسيقية لها أهميتها فى حياتنا الثقافية، وارتقت بأولهما إلى رئاسة المركز الثقافى القومى ـ وذلك بين فقرات أخرى عديدة!

* هذا، وفى ختام الجهود الممتدة بين عامى ١٩٨٣ و ١٩٨٥ وحتى افتتاح الدار فى العاشر من أكتوبر ١٩٨٨ كنا قد انتقلنا بالمشروع وأنشطته المتنوعة إلى دائرة الاهتمام العام.. وذلك فى لقاءات شخصية مع الصحافة اليابانية والتليفزيون المصرى (٢) والصحافة الوطنية (٣).. وفيلم تسجيلى للجريدة السينمائية (٤) (هيئة السينما).. وأصبح للمركز الثقافى القومى كما أسماه الوزير فاروق حسنى، دوراً مرموقا فى حياتنا الثقافية، ثم واصلنا المهمة الإعلامية مع مرور السنوات متى اقتضى الأمر ذلك!

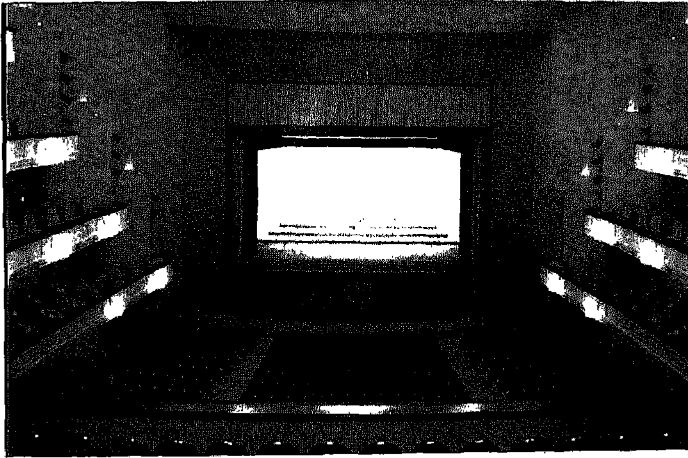
وهاجت الذكرى مع القريب والبعيد، عندما انتقلت الدار الجديدة بنشاطها اللامع إلى أرض الفراعنة بالأقصر، وأحيت قصة الحب والبطولة والانتصارات الوطنية القديمة فى أوبرا عايدة (عام ١٩٩٤).. وأسهمنا فى ذلك بالكلمة والمقالة، وكذا فى عرضها الأخير فى عام ١٩٩٧، حين كانت المشاركة الفنية المصرية واضحة على خشبة المسرح، وزاد إسهامنا فى نفس المناسبة (٥)، مع زيادة درجة الاهتمام على المستوى العام، وذلك فى تطور واضح على المستويين الرسمى حتى قمته والجماهيرى فى شتى مجالاته العامة والإعلامية والسياحية.

.. وكان الأمر قد حظى باهتمامات صحفية واعية فى تبليغها للرسالة، مع المعلومة الموثقة والكلمة النزيهة،

---

(١) قرار وزارى رقم ٢١٨ / ١٩٨٨ بتشكيل لجنة عليا للإشراف على إعداد احتفالات افتتاح المركز الثقافى والتعليمى.
(٢) ٢١ / ٩ / ١٩٨٨ (القناة الأولى) جمال الشاعر.
(٣) ٧ / ١٠ / ١٩٨٨ آمال بكير (الأهرام).
(٤) تم التسجيل فى ٢ / ١١ / ١٩٨٨.
(٥) مجلة «حورس» الصادرة عن شركة مصر للطيران (عدد أكتوبر ونوفمبر ١٩٩٧).

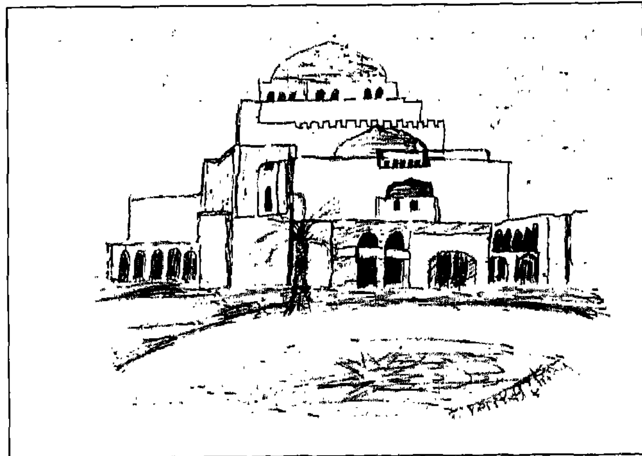
وذلك فى نقد واقعى صادق، كان آخر ما قرأناه منه (١)، هو ما أوحى إلينا بفرحة المتسابق حين يصل إلى خط النهاية وفى يده الراية، بعد مشوار الدعوة إلى الموسيقى فى الخمسينيات وما تلاها .. وحتى المتابعة لجنى الثمار خلال الأجيال، وبقاء البصمات ووضع العلامات فى طريق الباحثين عن الأفضل، إذ يجدون إلى جانب أوركسترا القاهرة السيمفونى، الجديد من الأوركسترات، ولمعهد الكونسيرفتوار المديرين والمعلمين من المواطنين، والخريجين من العازفين والمؤلفين والمؤلفات، وللموسيقى والأوبرا فى الصحافة أركان ومقالات .. وفى المكتبة العربية العديد من الكتب والمؤلفات!



▲ المسرح بدار الأوبرا



▲ القاعة الداخلية الكبرى بالمركز الثقافى القومى



◄ الأوبرا فى عيون أطفالنا
(شريف الأتربى)

(١) مقالان للكاتب محمد سلماوى والشاعر أحمد عبد المعطى حجازى بالأهرام (٢٧ ، ٢٩ أكتوبر ١٩٩٧).

الفصـــل الرابع

سيــاحة موسيـقيــة

لعل من أهم أسباب الاهتمام بفنون الموسيقى والأوبرا بالإضافة إلى رسالتها في الارتقاء بمكونات الفرد أنها تمثل نوعًا من العلاقات الإنسانية ذات الأبعاد الكبيرة في حياته، وخاصة إذا تيسرت له المعارف وتعددت أمامه فرص الاتصال المستمر بهذا العالم الخلاب . .

فإذا تحول الاهتمام إلى علاقات مباشرة مع مصادر الإبداع لهذه الفنون العالمية، تحقق له الإحساس بالقرب والتآلف مع ثقافات الغير في أرقى صورها، وأقصر خطوطها إلى عقل وفكر الإنسان المتنور، فتأثر بها ونقل ثمراتها إلى وطنه، وقام بدوره كوسيط بين مراكز الإشعاع الحضاري !

لذا كانت دهشة الوزير ثروت عكاشة كبيرة، حين علم أنني رغم السنوات التي قضيتها مع الموسيقى الرفيعة وما أنجزته خلالها، لم تسبق لي زيارة أي موقع من المراكز الموسيقية خارج البلاد!

إلا أن دهشته هذه وما توقعت لها من ردود الفعل المباشرة من جانبه كوزير يأمر ويوجه ويقرر، لم تثر في نفسي أي حماس للسفر المتوقع، وخاصة أنني بالمعايشة الروحية والقراءات عن أساطين النغم، كنت أشعر بأنني حققت لنفسي كل ألوان المتعة والمعرفة خلال اهتماماتي التي سبقت دعوتي للمشاركة العملية في رسالة الوزارة الجديدة للإنجاز الثقافي . .

وفي الحقيقة كانت لي وجهات نظر من ناحية وسائل السفر نفسها بالطائرة في تلك الفترة المبكرة، حين كانت أخطار الطيران تملأ حياتنا قبل سنوات غير بعيدة، كمعاصرين للحرب العالمية الثانية وما كنا نراه من صور صحفية أو لقطات في الجريدة السينمائية، لتساقط الطائرات خلال المعارك بشكل يفوق «تخاريف» ميكي ماوس . . و«شحننا» في تلك الظروف في إحدى طائرات نقل الجنود البريطانية إلى فلسطين لتلقي تدريبات عسكرية مشابهة لجو المعارك الحقيقية بمدرسة الشرق الأوسط في عكا، قبل التخرج في الكلية الحربية بالقاهرة . . !

والأقرب إلى الذاكرة أن طائرات التدريب بمصر والتي لم تكن تخلو آنذاك من حوادث، كانت لي معها بعض المواقف في تلك الفترة البعيدة، حين كان من المتبع مثلاً مع المستجدين بالكلية الحربية، أن يجرى عليهم الكشف الطبي المركز، لاختيار من يصلح للانتقال إلى سلاح الطيران. وكانت المفاجأة أن تتحقق لي أفضل نتائج القبول من بين ثلاثة فقط تمت تصفيتهم من جملة عشرة، يساقون يوميًا لهذا الكشف! وفوجئ كبير الأطباء «السيد فؤاد» برفضي الانضمام إلى

سلك الطيارين، على الرغم مما لذلك من امتيازات يتمناها الجميع من زملائى! وقد فشلت محاولاته لإقناعى بالقبول، وفيها دعوتى لمجرد إلقاء نظرة من نافذة مكتبه بمطار ألماظة، على جو التميز والأبهة هناك، بينما البديل أمامى - كما قال - هو خيام سلاح المشاة أو «البيادة» وسط الصحراء . .

وهنا نقل موقفى الغريب تليفونيًا إلى قائد السلاح الذى بدأ بمطالبته تكرار محاولات الإقناع، وإلا فيمهلنى حتى اليوم التالى لمعاودة التفكير فى الموضوع . . ولكن دون جدوى ! وكل ذلك فى أشد مراحل التبرم وعدم الاقتناع بالجو الجديد فى حياتنا العسكرية بين جدران الكلية الحربية والأمل فى سرعة الخلاص منه حيث يستدعى الأمر أحيانًا فى سبيل تحقيق الطاعة العمياء، تعطيل ملكة التفكير لدينا وطلب التصديق بما يقوله معلمونا من الصف ضباط، حتى ولو بلغ قمة اللامعقول، كأن يقول أحدهم بأن الذى يجرى فى نهر النيل هو «الملوخية» وليس الماء، وكانوا كلهم تقريبًا من رواسب راكدة تخلفت من دفعات سابقة!

ولقد جاءتنا حينذاك فرصة للإنقاذ بزيارة لواء يدعى حسن باشا عبد الوهاب من الإسكندرية لإقناعنا بالانضمام للسلاح البحرى الجديد، حيث سارعت لتسجيل اسمى حين فاجأنى فيما بعد أستاذنا بالكلية الملازم أول عبد المحسن أبو النور وكان بمثابة شقيق أكبر لى وأخبرنى بأنه كشف حيلتى واستبعد اسمى دون أخذ رأيى!

المهم أن هذه الذكريات البعيدة عاودتنى عندما تناول الوزير ثروت عكاشة موضوع السفر، بالطبع بالطائرة، وقت أن كان ذلك لا يزال من الأموز غير الشائعة . . ولما بدأت العمل التنفيذى معه، قرر بعد شهور قليلة أن يقدم أوركسترا القاهرة السيمفونى بعض الحفلات فى معرض دمشق الدولى لعام ١٩٥٩، فتعللت بمشغولياتى فى الإعداد لأول موسم رسمى للأوركسترا الجديد، وقام بالمهمة بدلا عنى الفنان أحمد سعد الدين مدير مكتب الوزير!

ولقد كان من الأمور الطبيعية بعد ذلك، ألا تظل الأمور على هواى وأبقى على رفضى للسفر بفوائده التى طالما قرأنا وسمعنا عنها، وكان ذلك من أكثر ما أحببناه فى حكايات الطفولة، ثم الروايات الإنجليزية فى المرحلة الثانوية ! وفى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٠، كان القرار بسفرى ضمن وفد ثقافى إلى إيطاليا ويوغوسلافيا حيث بدأت رحلتى الأولى إلى أوروبا!

رومـــا:

وتهيأنا للرحلة وشددنا الرحال إلى روما، بعد دراسات غير قليلة للغتها بمدرسة الألسن الجديدة، و تم السفر بصحبة الفنان أحمد سعد الدين والأديب د. محمد خلف الله ! وهناك فى مساء نفس يوم الوصول، أتيحت لنا مشاهدة آخر صيحات الفن الأوبرالى فى شكلها البانورامى بين أطلال الآثار الرومانية القديمة فى منطقة حمامات الإمبراطور «كاراكالا» - وكان العرض لأروع أوبرات پوتشينى : توسكا، تؤديها مجموعة من المشاهير فى الأدوار الرئيسية مثل أستاذ الأساتذة : تيتو جوبى (باريتون) وأشهر تينور فى ذلك

الوقت «فرانكو كوريللى» وسيدة المسرح الأوبرالى : ماجدة أوليفيرو، والجميع مع أوركسترا وكورال أوبرا روما بقيادة : سانتينى! ومن ورائهم مهندس الديكور المشهور : كروتشانى! وخلال العرض المبهر، أذكر أن حانت منى إلتفاتة إلى النجوم الساطعة فى سماء المسرح، حين لمحت بينها شعاعًا مضيئًا يتحرك ببطء، وربما كان ينتمى إلى الجيل المبكر من الأقمار الصناعية . . وليوحى كل ذلك فى النهاية للمتأمل بأن إنسان العصر يمتلك العالم كله بين يديه !!

هذا وفى الليلة التالية، كان العرض المقدم هو أوبرا «عايدة» . . وبدا ذلك وكأنه تحية للضيوف القادمين من القاهرة! وقد تألقت حينذاك فى أدوار البطولة : فلوريانا كاڤالى وفيدورا باربييرى وجويلفى وأومبرتو بورسو، والذين وفدوا علينا برمتهم فى العرض القادم لنفس الأوبرا بالقاهرة !

ويالها من تجربة وبداية، كان الطريق إليها هو الانتماء إلى الدارالقديمة للأوبرا المصرية، كمدير لأوركسترا القاهرة السيمفونى ووكيل للدار، ثم كمدير للدار بأجهزتها الكاملة وبصورة شاملة فى قطاع كبير! وكان ذلك بمثابة جواز مرور لى إلى الكثير من المحافل الموسيقية الدولية، ما بين مهرجانات وقاعات للموسيقى ودور للأوبرا : من الشرق إلى الغرب . . من لننجراد وموسكو إلى سان فرانسيسكو ولوس أنچيليس !

وفى تلك الجولة الأولى بروما، وجدنا المدينة وكأنها متحف كبير، حيث يجد المرء نفسه فى كل خطوة وسط معالم تاريخية رائعة تتحدث عن حضارة لها صفحاتها فى تاريخ الإنسان الراقى . .

وقد أحسن استغلال البعض منها فى صور حديثة نجدها مثلاً فى مجال الموسيقى فى تلك الساحة التى تحدثنا عنها حيث شهدنا عرض أوبرا «عايدة» والتى أنشأها فى العشرينيات دكتاتور إيطاليا موسولينى ؛ وعلى غرارها استحدث العديد من الساحات المماثلة لها فى أرجاء إيطاليا، وبها استكملت منظومة المسارح العريقة بالجديد من أماكن العرض فى الأماكن الأثرية، وانتقلت الفكرة فيما بعد إلى الدول الأخرى حتى وصلتنا أخيراً فى أكثر من محاولة!

ولعل أهم ما كان يعطى لساحة مسرح «كاراكالا» قيمتها الفنية منذ إنشائها كان هذا العرض الضخم للرائعة «عايدة» والذى يمثل عنصراً رئيسيًا فى شهرتها السياحية، وتجىء الأفواج من أمريكا وغيرها من الدول لمشاهدته ! وهناك فى مشاهدتنا للعرض، وجدناه مستكملاً لجوانبه الفنية مع المبالغة فى بعض المناظر المبهرة كأن يدخل مثلاً القائد المنتصر «راداميس» فى موكب النصر تجر عربته الحربية أربعة خيول، على الطريقة الرومانية . . وبعد سنوات صوبوا خطأهم واكتفوا باثنين فقط على الطريقة الفرعونية !

> ولكن هل يغفر لهذا الدكتاتور الفنان موسولينى أن زبانيته لطموا «توسكانينى» عميد قادة الأوركسترا على وجهه عندما رفض عزف النشيد الخاص بالفاشية بمسرح «لاسكالا ميلانو» لحظة دخول زعيمهم الدوتشى؟

ومن بين أهم ما بقيت ذكراه من زيارات عمل، خلال هذه الرحلة الإيطالية كانت الوسيلة لتوصيل رسالة الأوركسترات السيمفونية إلى الجماهير فى روما وخارجها عبر التليفزيون، كأداة جديدة لها أثارها البعيدة فى نشر الثقافات . .

فقد قمنا بالمشاهدة العملية داخل ستوديو التسجيلات، حيث تولى أحد قادة الأوركسترا مهمة توجيه وتسليط الكاميرا على الفرقة بوجه عام مع قائدها الأصلى أو إحدى المجموعات أو العازف المنفرد، حسب كل حالة فى سياق المعزوفة، مستعينًا فى ذلك حتى أدق التفاصيل، بمدونة موسيقية شاملة للتوزيع الأوركسترالى ! ونتمنى الآن رؤية هذا النظام بالتليفزيون المصرى، حتى تكتمل متعة الاستماع مع المشاهدة الواعية، واكتساب المزيد من نواحى الثقافة الموسيقية كالتعريف بالآلات وأصواتها، وخاصة بعد الاتجاه المشكور الآن بنقل الحفلات مساء السبت من دار الأوبرا !

بلغراد وزجرب :

وكانت وقفتنا التالية فى بلجراد ذات الأوبرا الملكية القديمة والأوركسترا الفيلهارمونى والحياة الموسيقية المزدهرة، على الرغم من أنها كانت تعيش أعوام قحط، يصعب للزائر أن يجد فيها الطعام والشراب والفنادق للمبيت، مما اضطرنا للسفر الطويل حيث قضينا الليلة فى فندق صغير على شاطىء الدانوب فى بلدة تسمى : شورتانوڤتسى بعد أن عثرنا بصعوبة على سيارة تاكسى لتوصيلنا وإعادتنا فى الصباح !

وبين ماحملنا من ذكريات للمدينة، كانت بالطبع دارها العتيقة للأوپرا، والتى لم تكن قد بدأت موسمها السنوى للحفلات، وقد أشعرتنا عند مشاهدتها بشىء ما يربط بينها وبين مدينة القاهرة من معالم وقد تألقت فى وسطها الدار العريقة، إذ يرجع كلاهما إلى أمجاد غابرة وعصور بعيدة !

وأمام مشاكل بلجراد المعيشية، قضينا الليلة التالية فى قطار النوم المتجه إلى عاصمة الكروات : زغرب الشهيرة بكاتدرائية القرن الخامس عشر، حيث بدت المدينة أحسن حالاً ! هناك إلى جانب دار الأوپرا القيصرية فى شكل قبابها والتى تقدم بها عروض الأوپرا والدراما، وجدنا قاعة للموسيقى كانت تجرى فيها عند وصولنا تدريبات أوركسترالية على عزف رائعة مؤلفهم الكبير « بوريس پاپاندوپولو» المسماة «سيمفونيتا» والمشار إليها فى بعض الموسوعات الموسيقية . . وقد جاءنا بالقاهرة فيما بعد هذا المؤلف لقيادة بعض حفلات أوركسترا القاهرة السيمفونى عقب افتتاح «قاعة سيد درويش للموسيقى» . . ثم قدم فيها فى زيارة تالية مؤلفه الجديد بعنوان : مارش على ألحان مصرية لسيد درويش !

رومـــا :

وفى زيارة ثانية بعد عامين لمدينة روما مع المايسترو «چيكا» فى مهمة استقدام عازفين لأوركسترا القاهرة السيمفونى، كان من بين ما شهدناه فى دار الأوپرا، رائعة ڤاجنر «الهولندى الطائر» أخرجها وقاد عزفها اليوغسلافى «لوڤرو فون ماتا تشتش» مدير أوپرا فرانكفورت ومعه فرقة ألمانية ! وبدعوة منه تناولنا طعام العشاء حيث حدثنا بإسهاب عن ڤاجنر، استكمالاً لما شهدناه فى العمل الفنى، وكانت فى الحقيقة تجربة تعدل قراءة كتاب عن روائعه ! وقد بدا سعيداً مرحًا مقتنعًا تمامًا بالاغتراب فى ألمانيا . . رافضًا لطلب المارشال تيتو للعودة إلى يوغوسلاڤيا !

ڤيينا:

هذا، وبعد مضى مرحلة من التطلعات والإنجازات، فرض علينا عام ١٩٦٤ أن نتوقف غير القليل من الوقت لمقاومة بعض التيارات غير المواتية خلال الفترة بين وزارتى ثروت عكاشه، ولمراجعة المسيرة التى كنا قد قطعنا شوطا فى طريقها، وجنينا الثمار المبكرة لجهودنا فيها :

فلقد كانت المفاجأة أن يجىء هذا العام الصعب بأكثر من فرصة لالتقاط الأنفاس واستعادة الثقة فى جدوى الرسالة التى كانت أملنا ومبلغ همنا، حين أتيح لنا الاطلاع والتأمل والمشاهدة لأروع التجارب وألمع الإنجازات فى أكثر من موقع بأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، مما أسفر عنه دفعة جديدة لمعنوياتنا وإضافات غزيرة لحصيلتنا وما نتوقع الحاجة إليه فى مستقبل أيامنا !

ففى مستهل العام، كانت الزيارة إلى أم الفنون «ڤيينا» فى وفد رسمى لتوقيع الاتفاقية الثقافية بين مصر والنمسا . . وفى شهر مايو، كانت الدعوة لحضور مهرجان «ربيع براغ» . . وفى نهاية العام كانت الرحلة إلى العالم الجديد !

وفى ڤيينا، كانت بداية عام المسرات وإنعاش التطلعات، حيث استقبلنا فى «أوبرا الدولة» صاحبة الشهرة فى عالم الموسيقى والأوبرا، والتى لا يعتبرها أهلهامجرد دار للفن أو قطعة من التاريخ، ولكن جزءًا مكملاً لكيانهم البشرى حتى إنهم، كما قال لنا مسئول كبير منهم، كان أهون عليهم مثلاً رؤية جنود النازى يحتلون مدينتهم من أن يروا دار الأوبرا تحترق تحت قنابل الحرب العالمية الثانية !

وربما كان الأكثر حزنًا هم الشباب من الفتيان والفتيات فى سن الزواج والذين يعيشون عامهم على أمل مجىء ذلك اليوم الذى تفتح فيه الأوبرا أبوابها لاستقبالهم، حيث ينتظمون فى استعراض راقص يؤدونه بملابس السهرة التقليدية، وقد امتدت صفوفهم لتشغل جميع مساحة القاعة بعد إخلائها من المقاعد، تضاف إليها وعلى نفس المستوى خشبة المسرح الفسيحة، والعائلات فى المقصورات يشكلن هيئة تحكيم لاختيار العرائس والعرسان (ڤيينا بول) .

وفى هذه الدار العريقة شهدنا عرضًا لأوبرا «عايدة» يليق بها بين كبريات الدور الثلاثة أو الأربعة فى العالم - وفى مشهد عودة الجيش المنتصر، يخيل للمتفرج أنه لو كان جالسًا فى أوبرا القاهرة لامتدت خشبة المسرح فى عمقها حتى ميدان العتبة!

ولقد كان حديث المدينة حينذاك، يدور حول موضوع انسحاب فنانهم الكبير «كارايان» من مسئولياته كمدير للأوبرا، ورحيله إلى ألمانيا على أثر خلافه مع السلطات بشأن بعض الأمور الخاصة بالفنانين ولا تقرها اللائحة الخاصة بنقابة الموسيقيين !

وبوصولنا إلى هناك، كان قد عاد إلى عمله بعد التصالح بين الطرفين، وكان فى استقباله بالمطار وزير التعليم ! وعلى ذكر التعليم، فقد قام الوفد الثقافى بزيارة إلى أكاديمية الموسيقى ذات الشهرة والتاريخ الطويل، وخاصة أن كان لنا فيها اثنان من المواطنين يتلقون دراساتهم لقيادة الأوركسترا : يوسف السيسى وكمال هلال، وقد انتظما فى صفوف الكورال المصاحب لأوركسترا الطلبة بقيادة أحدهم - وقد أتبعت ذلك بلقاء خاص مع

أستاذهم المشهور «سڤاروڤسكى» والمعروف بأنه الذى أضاف إلى قادة الصف الأول فى العالم، زوبين ميتا الذى كان أول من شغل أهم المناصب الموسيقية فى كاليفورنيا عند إنشاء مركز «الپاڤيليون» فى لوس أنچيلس، ثم اختير لقيادة الحفل التاريخى لافتتاح الدار الجديدة «متروپوليتان» بمركز لينكولن فى نيويورك!

ومن الطرائف التى رواها فناننا يوسف السيسى عن أستاذه، أنه كان يتمتع بذاكرة موسوعية، حتى إن أوپرا ڤيينا كانت تلجأ إليه فى مواجهة الطوارئ، كأن يتخلف مثلاً لأسباب قاهرة، القائد المنوط به قيادة العرض! وفى إحدى المرات، أسرع سڤاروڤسكى بالظهور على منصة قائد الأوركسترا فى الحفرة، وصفق له الجمهور.. وإذا به ينزل عن المنصة ليتأكد من اسم الأوپرا المطلوب منه قيادة عزفها!!

دار أوپرا الدولة:

وفى زيارة صباحية للدار، شاهدنا عمليات تشغيل خشبة المسرح بأجزائها العديدة، وما تحقق لها من آخر الصيحات والإضافات، حتى أصبحت نموذجا لقمة الإنجازات الفنية فى هذا المجال!

وحتى نستكمل المشاهدة لشتى أرجاء الدار، فقد دعينا بعد انتهاء إحدى الحفلات المسائية التى شهدناها لتناول طعام العشاء فى القاعة الملحقة بمقصورة الإمبراطور فرانتس يوزيف، ضيف القاهرة فى حفلات افتتاح قناة السويس وافتتاح دار الأوپرا الخديوية! ومن الطريف عند انصرافنا، أن طلب منا الداعى إلقاء نظرة على القاعة والمقصورات الخالية، وذلك بعد إطفاء أنوارها إلا من شعاع خافت من الضوء.. وكان يحدثنا همسًا وكأنه يخشى إيقاظ طفل نائم!!

هذا، وقبل مغادرة ڤيينا أتيح لنا حضور بعض العروض فى دار أوپرا الشعب أو «فولكس أوپر» كما ينطقونها.. والتى لا تقل فخامة عن أى دار لها أهميتها!

ولما أصيبت أوپرا الدولة بالقنابل الألمانية فى الحرب العالمية الثانية، فقد كانت «فولكس أوپر» هى البديل حتى عام ١٩٥٥، حين أعيد الافتتاح بعرض لأوپرا «فيديليو» لبيتهوفن بقيادة فنانهم الكبير «كارل بوم».. ومن الطريف أن الإصابة كانت قد تركزت على الجزء الأوسط من المبنى حيث قاعة المتفرجين، بينما ظلت الواجهة والحوائط والبهو والسلالم الفخمة دون تدمير! ولما دعا ذلك إلى انتقال العروض إلى «الفولكس أوپر» التى ظهر لها بذلك واجب إضافى، فقد أعيد ترميمها وتطويرها وزيادة عدد مقاعد المتفرجين فيها، منذ امتدت رسالتها إلى ما هو أبعد من الأوپرات الخفيفة والأوپريتات من إنتاج القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، والتى أكسبت المدينة أهميتها التى لا تضارع كعاصمة لفن الأوپريت!

وإلى جانب هذه الصروح الفنية، كانت هناك مسارح أخرى لهذا الفن مثل «رايموند» حيث التركيز على الإنتاج الأصلى لڤيينا بوجه خاص، وأتيحت لنا المشاهدة فيه لأحد العروض، وفى سياقها كان هناك منظر «الإمبراطور» وسط تصفيق وحماس النمساويين وكأنها لقطة قومية لا تحمل شيئًا من عقد الماضى البعيد!

وأخيرا فإن من يذكر معالم ڤيينا الموسيقية، لابد وأن يذكر قاعة الموسيقى المعاصرة للأساطين: قاعة «موزيك ڤيراين» ومن معالمها السياحية: قصر شونبرون مقر أسرة «هابسبورج» فى الأزمنة السالفة!

پـــراج:

وبالوصول إلى عاصمة التشيك، شهدنا قلعة «ڤيشيجراد» ونهر «المولداو» اللتين سجل اعتزازه بسيرتهما فى روائعه العالمية مؤلفهم القومى «سميتانا» وتسبقان أخبار المهرجان السنوى «ربيع پراج» الذى تلتقى فيه أشهر الأسماء وتقدم فيه أكبر الأنشطة الموسيقية على المستوى الدولى ! هناك شهدنا الفرق السيمفونية والكورالية وعروض الأوپرا وحفلات العزف الانفرادى ومجموعات موسيقى الحجرة، وقد ارتقت كلها إلى مستوى المدينة بتاريخها العريق حين عرفت باسم : كونسيرڤتوار أوروبا، بينما وصفها البعض بأنها : پاريس الصغيرة !

وكانت أولى المعالم الموحية بهذه الأهمية، تلك الكنيسة المتحفية «سان ڤيتوس» وفيها آلة الأورغن التى ترجع إلى عام ١٢٦٥ وفيها شهدنا عملاً دينيًا للأوركسترا والكورال وعناصر الغناء الفردى بقيادة فنانهم الكبير : ڤاتسلاڤ نويمان !

ومن المعالم الأقرب زمنا، شهدنا مسرح «تيل » TyIl الخشبى الأثرى الذى قدم فيه موزار بنفسه أوپراه «دون چوڤانى» فى عرضها العالمى الأول عام ١٧٨٧، وأتيح لنا فيه حضور العرض لنفس الأوپرا بالمسرح تحت نفس الظروف القديمة !

هذا وتحظى المدينة بمسرح قومى أنشىء فى عام ١٨٨٣، وذلك إلى جانب مسرح رائع يحمل كل آثار النعمة القديمة، كانت قد أقامته فى الماضى البعيد الجالية الألمانية تحت اسم : المسرح الألمانى . . ثم أطلق عليه اسم «سميتانا» حتى عهد قريب، وعرف بعد ذلك باسم : أوپرا الدولة !

الولايات المتحدة الأميركية:

وإلى العالم الجديد، شددنا الرحال فى آخر عام ١٩٦٤، وذلك فى زيارة علمية لمراكز المسرح والموسيقى هناك، بدعوة من الجهات الأمريكية المختصة، فى إطار برنامج دولى يحمل شعار : القادة والمتخصصين !

وفى الطريق إلى واشنطن، رأى زميل الرحلة الأديب الكبير د. على الراعى رئيس هيئة المسرح والموسيقى، أن نتوقف بضعة أيام فى لندن، حيث زاد علمًا وثقافة فى شبابه، وتأهل للنجومية فى حياتنا الفكرية . . وذلك لمشاهدة بعض معالمها الفنية ! ولما لم تكن لى علاقات سابقة بالمدينة وما فيها، فإنى لم أتحمس كثيرًا للفكرة، لولا أن دعاه ذكاؤه وكرمه أن يتعهد بتحمل تكاليف إقامتى هناك، لو ثبت عدم اقتناعى بجدوى الزيارة لها !

وهناك كسب الرهان من بداية الجولة، منذ أن تيقن من سلامة تقديرى لجماليات الشكل الحضارى للمدينة وما فيها من أنشطة فنية راقية، وتحركت موهبته نحو استكمال الديكور، قبل الرحيل إلى ماوراء المحيطات، فاصطحبنى إلى واحد من أشهر محلات الأناقة، حيث اقتنيت المعطف الأرستقراطى والقبعة بعد أن نقشوا بداخلهما اسمى فى متجره المفضل : أوستن ريد أوف ريچنت ستريت . .

وكانت الإضافة إليهما بحذاء أسود من آخر صيحات «الساكسون» الكلاسيكية، مهما كان فى ذلك التنكر

والتكذيب بما كان يمطرنا به الجو الاشتراكى فى مصر من آيات غير بينات تحرم زينة الله التى أخرج لعباده، ولكن لم نبلغ بالطبع ما بلغه «الانفلات» فى العصر الحالى !

وبدا فى النهاية كل ذلك، وكأنه تمهيد متواضع لأجمل ما كان ينتظرنا من أحداث فنية : ذلك الحفل السيمفونى الذى دعانى إليه مشكوراً، للاستماع إلى «فيلهارمونية لندن» بقيادة السير أدريان بولت، الذى انتصب فتيًا قويًا أمام الأوركسترا، رغم كبر سنه وقصر قامته، وبدا بشاربه المبروم ووقفته العسكرية على هيئة ضباط الاحتلال البريطانى الذين كنا نراهم فى شوارع القاهرة !

وقد استهل برنامج الحفل بعزف للسلام الملكى فى تقليد لم نجده عند سواهم، ثم شارك معه بعزف آلة البيانو مع الأوركسترا، شاب بارز الموهبة يدعى : تشايكوفسكى! وبهذا الحفل أضفنا اسما له أهميته بين مشاهير القادة الذين عرفناهم فقط من خلال التسجيلات والإذاعات !

وفى عودة إلى لندن الجذابة بعد سنوات، تأكيداً لإعجابى بها، التقيت هناك بزميل العمل فى المجال السيمفونى والأوبرا منذ الخمسينيات عند إنشاء أوركسترا القاهرة السيمفونى والمقيم بالمدينة خلال السبعينيات : سمير زكى، والذى دعانى بدوره لحضور حفل سيمفونى كان على مستوى الروعة والحداثة فى تصميم «القاعة الاحتفالية الكبرى» التى قدم بها - وكان فى ذلك الاستحضار للانطباعات القديمة عن بلاد الشاعر شكسبير والموسيقار إلجار . . وبين روميو وجولييت، وتنويعات على لحن إنيجما، وذكرى قرون من الإبداع - كان التأكيد على العلاقات الشخصية الممتدة التى أسفرت عنها علاقات العمل مع سمير، والتى لم تنقطع إلا بوفاته فى عام ١٩٩٧، بعد أن تحقق له ماكنا نرجوه له من شغل لمنصب مدير الدار الجديدة للأوبرا، بالمركز الثقافى القومى !

واشنطون:

وفى واشنطون العاصمة شهدنا مشروع المركز الثقافى الجديد «چون كينيدى» الرئيس الذى اغتيل قبل زيارتنا بعام - ومن بين الأحداث الموسيقية التى شهدناها بالمدينة حفلا فى مهرجان «كوليدج» للموسيقى الحديثة . . وبعضها متطرفة! وصاحبة المهرجان نفسه «مسز كوليدج» الطاعنة فى السن(٩٧ سنة) كانت هى نفسها تستدعى الفرجة عليها، وهى تتحدث بصوت عال فى أثناء العزف ظنًا منها أن الرواد لا يسمعون همسها، وذلك وسط ابتسامات الجمهور ممن يعرفونها ويتعاطفون مع ظروفها ويرحمون شيخوختها ! وقد نشأ هذا المهرجان فى بدايته فى «بوسطون» ثم انتقلت به الأسرة إلى واشنطون . .

ومن فقرات الحفل، كان ما قدمه المؤلف الإيطالى الطليعى بين مشاهير القرن العشرين «دالاپيكولا» (١٩٠٤-١٩٧٥) وكان فى الحقيقة من وجهة نظر الكثيرين مثيرا للتساؤل وبدا غريبًا بالنسبة لغير القليل من الأمريكيين حولى فى القاعة، حين رأوه يبتعد بموسيقاه إلى ما وراء المألوف بمسافة كبيرة . .

والمفروض أن تكون الموسيقى فى النهاية ذات مقومات جمالية لها رد فعل مستحب لدى المستمع ! وعدت بذاكرتى سريعًا إلى ماض بعيد، حين قرأنا فى الخمسينيات كلام «سيدنى فينكلستاين» عن الموسيقى نقله إلينا حينذاك الكاتب أحمد بهاء الدين [1] وجاء فى أوله :

لماذا نستمع للموسيقى ؟ ستقول للمتعة، لا بأس بذلك فإن الموسيقى إذا لم تقدم لنا المتعة لن تكون موسيقى - وأنا فى الحقيقة لم أجد هذه المتعة فيما قدمه «دالاپيكولا» لا فى الأنغام ولا فى شكل الأدوات ولا أقول «الآلآت» التى أستعملها فى القرع، وقد بدا بعضها وكأنه أغطية نحاسية لأوانى المطبخ! ووسط حيرتى فوجئت بالمؤلف نفسه يجيء ويجلس فى مقعده أمامى، ثم يلتفت يمينًا ويسارًا ربما للوقوف على انطباعات الناس . . ثم استدار نحوى ونحن نكاد نتلامس، فاضطررت لمجاملته بتقديم بطاقة البرنامج له كى يضع عليها توقيعه كتسجيل لمناسبة تاريخية ! هذا وقد ضممت البطاقة فيما بعد إلى وديعتى من الكتب والمقتنيات التى أهديتها للمركز الثقافى القومى (دار الأوپرا) كى تعرض فى يوم ما على زوار المكتبة الجديدة بالمركز!

هذا، ولم أكن كما قلت الوحيد بين رواد الحفل، ممن ظلموا الرجل الذى لم يشأ أن يتخلف عن ركب المشاهير من معاصريه فى تاريخ تطور الموسيقى !! فقد كنا لا نزال على شاطئ الأمان، لم تجرفنا بعد تيارات القرن بعجائبه، والتى اجتاحت بعنفها وشطحاتها ومذاهبها معظم أشكال الفن والأدب، وامتدت إلى الأخلاق والأمزجة والسلوكيات!

وفى وقفة قصيرة مع بعض ما أتيحت لنا مشاهدته بعد هذه المقدمات وما تطورت إليه من أشكال فنية مع خواتيم القرن العشرين، نجد مثلاً الباليه الكلاسيكى الشاعرى وقد انزلق أيضًا إلى ما أسموه «الرقص الحديث» منذ ابتعد بجسم الراقص من أوضاعه العلمية التقليدية، إلى أوضاع جديدة دون اعتبار للسيمترية بين أهم قواعد الاتزان، وفيها تزحزح مركز الثقل فى الجسم ليبدو فى أشكال ذهبت فى شذوذها إلى عدم الاتزان والعنف والثورية ورقصات الشعوب البدائية، وذلك فى جو من الخواء الروحى، بعد أن جاء ذلك فى أعقاب تآلف الواقعية الألمانية مع نظيرتها الأمريكية لتستقبل ثمارهما خشبة المسرح الفرنسى فى أوپرا باريس، تحت شعارات شتى كالرقص الحديث أو المعاصر . . أو مدارس «الرقص للجميع» حيث الحرية فى الحركة، والتعبير المتحرر من كل شىء! وهكذا، صار الطريق ممهدًا إلى عالم جديد من الغرائب التى أوحت مثلاً إلى فنان العصر، أن يعرض بين أعماله التشكيلية فى أحد متاحف الفن الحديث فى شمال إيطاليا «سلطانية مراحيض مع السيفون» - أو ما جاءت به المدارس الجديدة لهذا الرقص الحديث أو «المعاصر» من وحى الفظائع فى الحروب والدمار فى «هيروشيما» باليابان تحت أهوال القنبلة الذرية . . أو العار فى أذيال مرض «الإيدز» . . أو ما أتيحت لنا أخيراً المشاهدة لشىء منه على الشاشة الصغيرة [2] حين التحم جسدا الراقص والراقصة أرضًا . . ثم فض مظروفًا صغيراً وأخرج منه «العازل الجنسى» !!

---

(١) مجلة روز اليوسف - عدد ١٣٧٠ - ١٣/ ٩/ ١٩٥٤

(٢) القناة الفرنسية الخامسة ARTE فى الحلقة الأسبوعية عن تاريخ تطور فن الباليه (مساء الأحد ٤/ ١/ ١٩٩٨).

مكتبة الكونجرس:

وكانت مكتبة الكونجرس من المعالم التى لا تفوت الزائر إلى واشنطون، وشاءت الصدف أن نجد فيها شيئًا نادرًا عن أوبرا عايدة فى أدق مراحل خلقها، وذلك عندما بالغ ڤيردى فى الإعداد لعرضها الأول فى ميلانو بعد القاهرة، لضمان نجاحها الكامل بإعطائها كل ما فى جعبته من عطاء وتجديد؛ وفى سبيل ذلك، طلب تصنيع أربع آلالات نفخ خشبية (فلوت) ذات مواصفات زائدة عن غيرها من الآلات المألوفة . . ثم اتضح له بعد نجاح الأوبرا بالقاهرة، أن الأمر لم يكن يستدعى كل ذلك، فصرف النظر عن الفكرة [1] ! وبمرور الأيام وصلت إحدى هذه الآلات الأربعة إلى مكتبة الكونجرس المدهشة فى مقتنياتها !

وفى أعقاب إحدى حفلات «الأوركسترا القومى» بواشنطون، دعينا لزيارة مقر «رابطة» الأوركسترات السيمفونية فى أمريكا وكندا، ومهمتها الربط بين جميع الأنشطة الموسيقية فى الدولة وحصرها وتسجيلها، ثم النشر عنها فى دوريات لم يفتهم أن يسجلوا فيها زيارتنا، وانتظموا فى موافاتنا بهذه الدوريات طوال سنوات، وحتى احتراق دار الأوبرا !

فيلادلفيا وبوسطن:

واستأنفنا الرحلة إلى الساحل الشرقى، معقل المال والصناعة والتجارة وحركات الاستقلال ثم الاتحاد بين الولايات، ويتميز فى الحقيقة بتاريخ طويل لمراكز العلم والفن، مثلما اشتهر الساحل الغربى بأنه ساحل الذهب! وكانت فيلادلفيا وبوسطن محورا لمجتمع الرفاهية فى تاريخ هذه المنطقة قبل غيرها من البلاد الأمريكية ! فيذكرون مثلا أن أول آلة «أورغن» وجدت فى فيلادلفيا فى عام ١٦٩٤ . . وفيها أيضا أنشئت أكاديمية الفنون الجميلة فى عام ١٨٠٥، كما صدرت هناك أول جريدة يومية فى عام ١٧٨٤ . .

ولقد شهدنا فى فيلادلفيا أوركستراها المشهور الذى كان يقوده منذ عام ١٩٣٦ «أوچين أورماندى» - كما شهدنا متحفا كبيرا للآثار، ومثيله فى بوسطن حيث يوجد جناح له أهميته للآثار المصرية يقصده الدارسون قبل غيره من الأقسام - وتزهو مدينة بوسطن بجامعتها الشهيرة «هارڤارد» التى شهدنا فيها العجائب من التجارب لتحسين الصوتيات، كتصميم قاعة «كريزجى» على هيئة أسطوانة ضخمة مرتفعة قليلاً عن الأرض، وتحملها بعض الأعمدة التى أقيمت وسط خندق دائرى مملوء بالمياه التى تعكس ضوء النهار إلى داخل القاعة، وكل ذلك إمعانًا فى العزل بين داخل وخارج القاعة !

وفى بوسطون شهدنا بالطبع أوركستراها السيمفونى صاحب الشهرة الواسعة منذ زمن بعيد، وكان يقوده فى أحد التدريبات السير «چون باربيرولل» فى قاعته الشهيرة «القاعة السيمفونية» Symphony Hall .

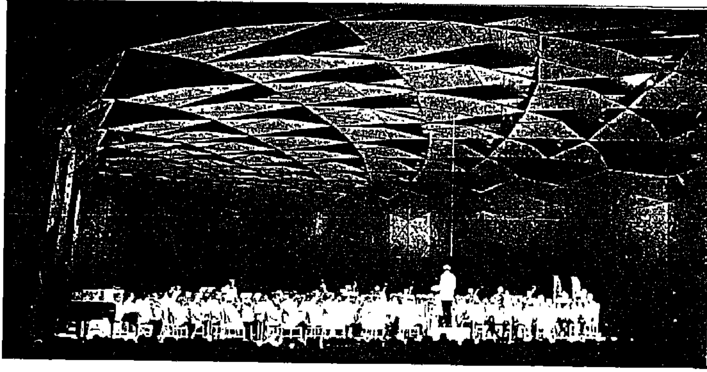
وكان هذا الأوركسترا فى يوم ما وراء تأليف «بيلا بارتوك» لكونشيرتو الأوركسترا المعروف بين روائعه،

---

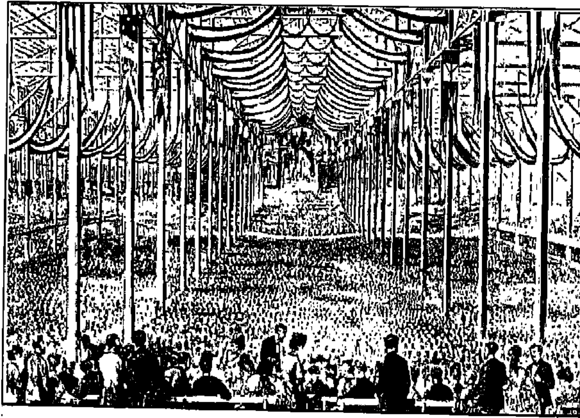
(١) على نفس المنوال، كان ڤيردى قد كتب «افتتاحية» لأوبرا عايدة بدلاً من «المقدمة» المعروفة، ولكنه صرف النظر عنها بعد نجاح الأوبرا بصورتها الأصلية فى القاهرة . . ومنع تداولها بناء على طلبه باستثناء حالة واحدة، عندما أمر بها الدوتشى موسولينى وعزفت فى حضوره فى عام ١٩٢٦ !

حين تلقى تكليفًا من مؤسسة «كوسيڤيتسكى» قائد الأوركسترا فى ذلك الوقت، وذلك لاستحداث مؤلف جديد يقدمه الأوركسترا، وكان هو الكونشيرتو الذى قدم هناك لأول مرة فى عام ١٩٤٤ . .

والشهرة التى تحظى بها بوسطون فى عالم الموسيقى ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر حين بدأ الاهتمام بتقديم الموسيقى الجادة فى الحفلات السائدة فى ذلك الوقت، وظهرت أسماء موزار وبيتهوفن ومندلسون . . وغيرهم! وفى وقت معاصر لافتتاح أوپرا القاهرة فى عام ١٨٦٩، كانت بوسطون قد حققت ما لم يسبق تحقيقه فى مجال المهرجانات الموسيقية، عند الاحتفال بالعيد الوطنى للسلام، وقد جمعوا ألف عازف تقريبًا ومعهم عشرة آلاف منشد تحت مظلة كبيرة تستوعب خمسين ألف مقعد للمستمعين، وعلى رأسهم «جرانت» رئيس الجمهورية، والوزراء وبعض حكام الولايات، ومن أوروبا من مشاهير الموسيقيين يوهان شتراوس وفرانتس ليست. وفى عام ١٨٧٢ أقيم فى مناسبة انتهاء الحرب السبعينية بين بروسيا وفرنسا مهرجان للسلام العالمى قدمه من الموسيقيين والمنشدين ضعف العدد الذى شارك فى المهرجان السابق ومعهم ألف عازف من الموسيقات النحاسية وآلة أورغن ضخمة . . وفى البرنامج اختير مقطع من غناء الكورال فى أوپرا «التروڤاتورى» لڤيردى!



الحفل الافتتاحى لمهرجان السلام الدولى فى بوسطن (١٨٧٢)



لقطة من حفلات تانجلوود

أما تكوين أوركسترا بوسطون المشهور فى صورته المستقرة كجهاز مستديم، فقد تم فى عام ١٨٨١، بفضل جهود منشئه «هيجنسون» الذى ينتمى إلى أسرة من أصحاب البنوك الذين درس معظمهم الموسيقى فى ڤيينا قبل ذلك بربع قرن، وأرادوا نقل ثقافتها الراقية إلى بلدهم! ولأول مرة تم الارتباط مع العازفين بعقود مستديمة، وقدمت الحفلة الأولى للأوركسترا فى شهر أكتوبر من نفس العام، حيث أصبح بعد ذلك محورًا للحياة الموسيقية فى المدينة، سواء بتقديم الحفلات أو تزويد الجهات الأخرى بالعازفين والمدرسين وحتى الإداريين، وامتدت رسالته إلى جميع الولاية (ماساشوستس) حيث أقام سياسته على تيسير حضور الحفلات لأكبر عدد ممكن من الجماهير، وذلك بتخصيص أعداد كبيرة نسبيًا من المقاعد لهم مقابل أسعار مخفضة لتذاكر الدخول، مهما كان ذلك على حساب الفئات الأخرى القادرة على الحجز المبكر للحفلات وبأسعار أعلى!

وفى عام ١٨٨٥ ، امتد نشاط الأوركسترا إلى حفلات الهواء الطلق بانتظام ، مما أدى إلى استقرار المهرجان الصيفى السنوى فى «تانجلوود» حيث يجرى أيضا تنظيم الدراسات الموسمية فى العزف هناك (عرضنا فيلمًا تسجيليًا لذلك فى برامج «ندوة الفن» فى عام ١٩٥٧) . .

وحتى الحرب العالمية الأولى كان القادة الرئيسيون للأوركسترا يستقدمون من دول وسط أوروبا من أمثال الأساتذة الكبار هينشيل ونيكيش وكارل موك وماكس فيدلر ، ثم بدأت سيادة الجو الفرنسى هناك بعد الحرب العالمية الأولى ، وظهرت أسماء هنرى رابو وپيير مونتيه وسيرج كوسيڤيتسكى وشارل مونش ، الذى جاءنا لقيادة حفل الافتتاح لقاعة سيد درويش ، ثم إيريك لاينز دورف وويليام شتاينبرج الذى شهدناه يقود إحدى حفلات كارنيجى هول فى نيويورك - وأخيرًا اليابانى أوزاوا الذى كنا قد شهدناه أيضًا مساعدًا لقائد فيلهارمونية نيويورك .


صورة القادة الكبار فى تاريخ أوركسترا بوسطن (پيير مونتيه وسيرج كوسيڤتسكى وشارل مونش) .

هذا وقد كانوا يتحدثون هناك فى بوسطون عن مرحلة «شارل مونش» كعصر ذهبى للنشاط الموسيقى وللفنانين ، وخاصة بعد انتشار التليفزيون وإذاعة الحفلات وتسجيلها . .

وفى عام ١٩٥٢ قاد الأوركسترا فى أولى رحلاته إلى أوروبا ثم تكررت الرحلات فى عام ١٩٥٦ ، حين اعتبر أول أوركسترا أمريكى يقدم حفلاته فى الاتحاد السوڤييتى ! وكان يتولى قيادة الأوركسترا حينذاك مع «شارل مونش» القائد «پيير مونتيه» كقائد زائر - وفى عام ١٩٦٠ قدم الأوركسترا حفلاته فى الشرق الأوسط وأستراليا ونيوزيلنده مع المؤلف «آرون كوبلاند» كقائد زائر !

وبمناسبة مرور خمسة وسبعين عامًا على إنشاء الأوركسترا ، فقد أصدر خلال موسمه لعام ٥٥/ ١٩٥٦ تكليفًا إلى مجموعة من مشاهير المؤلفين العالميين لإبداع بعض المؤلفات الجديدة للأوركسترا على غرار بيلا بارتوك فى عام ١٩٤٤ ، ومن هؤلاء كان باربر وبيرنستن وكوپلاند وإيبير وما رتينو وميلو وبتراسى ووليم شومان وڤيلا لوبوس ، وهاورد هانسون الذى جاءنا فى عام ١٩٦١ ، مع أوركستراه «إيستمان فيلهارمونيا» المكون من طلبة كونسيرڤتوار روشستر ، ونظمت إدارة أوركسترا القاهرة السيمفونى حفلاته بالقاهرة والإسكندرية !

وفى عام ١٩٦٤، انبثقت عن الأوركسترا مجموعة لموسيقى الحجرة قدمت حفلاتها بصورة منتظمة فى فترات زمنية تتخلل مواعيد الحفلات الرئيسية للأوركسترا الكبير، وواكب ذلك تنظيم بعض المحاضرات الموسيقية التعليمية! وفى العيد المئوى للأوركسترا فى عام ١٩٨١، أصدر تكليفا لعدد من المؤلفين العالميين، لاستحداث الجديد من أعمالهم لبرامج الأوركسترا! وفى النهاية فقد أدى هذا الجو العام إلى تكوين أوركسترات أخرى لها أهميتها فى نشر الثقافة الموسيقية وإضفاء الوجه الحضارى على الساحل الشرقى!

هذا، وإن كان أوركسترا بوسطون السيمفونى هو العامل المؤثر بالدرجة الأولى على الحياة الموسيقية هناك، فإن ذلك لم يتعارض مع دخول فن الأوبرا أيضًا فى حياة الناس منذ مطلع القرن التاسع عشر! وفى شهر نوفمبر من عام ١٩٠٩ على سبيل المثال، كانت فرقة الأوبرا تقدم موسمها من إحدى وعشرين أوبرا فى ثمان وثمانين حفلة، وافتتحت الموسم بأوبرا پونكيللى: لاچوكندا. وكان من قادة الفرقة العديدين الأستاذ الألمانى المشهور: فيليكس ڤاينجارتنر! ومن مشاهير نجوم الأوبرا العالميين، شاركت فى الموسم كل من لويزا هومر وليليان نورديكا وهما من الأسماء التى كانت معروفة فى مواسم أوپرا القاهرة. وفى موسم آخر كانت راقصة الباليه «أنا باڤلوڤا» التى شهدتها القاهرة على مسرح الكورسال فى العشرينيات!

أما معهد الكونسيرفتوار فى بوسطون والمسمى «نيوإنجلند» فاشعاعاته واضحة على كل المنطقة، وكان له أثره الكبير على استقرار فكرة التعليم الموسيقى الجاد خلال مراحل التعليم العام، وكانت ثمرة ذلك ما شهدناه من أوركسترات كاملة لكل مرحلة تعليمية حسب مستواها منذ الطفولة.. وما وصلت إليه من قدرة على أداء الأعمال السيمفونية، وبالتدريج نجد أن المراحل العالية قد وصلت إلى أداء الروائع الشائعة.. أما الخريجون فينتظمون أيضًا فى أوركسترات الهواة حسب ظروف ومكان كل منهم، أى أن الفرصة متاحة أينما وجد الناس، وسط مجتمع يتمتع فعلاً بحياة موسيقية مزدهرة. هذا وقد غادرنا بوسطون والحديث لايزال يدور هناك حول الحدث الموسيقى المبهر الذى شهدته المدينة قبل وصولنا إليها بيوم واحد، وشهدنا صوره فى الصحف عندما جاءهم اليابانى «سوزوكى» مبشرًا بطريقته الجديدة فى تعليم الأطفال عزف الفيولينة على الطريقة المعروفة باسمه، ولاتستغرق سوى سنوات قليلة حتى تظهر النتيجة، وقدم برنامجا سيمفونيا بفرقته الصغيرة هناك كنموذج لثمار التجربة، الأمر الذى دعانا فيما بعد لاقتراح مثل هذه الدراسات فى المشروع الجديد للأوبرا!

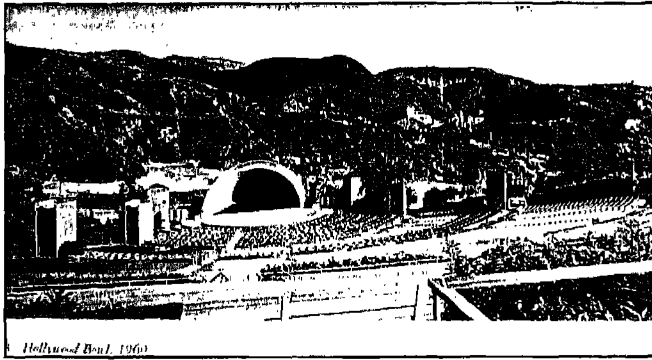
لوس أنچيلس:

وفى عروس الساحل الغربى: لوس أنچيلس، شهدنا قاعة «الپاڤيليون» الهائلة، ولم تكن قد افتتحت بعد، واختير ليتولى شئونها الفنية «زوبن ميتا» قائد أوركستراها السيمفونى والذى سرعان ما صعد إلى مستوى قادة الصف الأول فى العالم - وهو من أصل هندى، ودرس الموسيقى فى أكاديمية ڤيينا كما سبق أن قلنا! وقد تولى «ميتا» مسئولياتها الفنية هناك طوال الفترة من عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٧٨، وجاء من بعده «كارلو ماريا چولينى» حتى عام ١٩٨٣، ثم «أندريه پريڤان».

وبالعودة إلى البدايات نجد أن أشهر العلامات فى تاريخ الحياة الموسيقية بالمدينة، كان إنشاء الجمعية الفيلهارمونية هناك فى عام ١٨٨٨، وقدمت حفلاتها فى دار الأوبرا. وفى أوائل القرن العشرين أنشىء

الأوركسترا السيمفونى المستديم فى حجم كلاسيكى محدود فى عهوده الأولى؛ وفى منتصف القرن تولى قيادته «ألفريد والنشتاين» من أوائل القادة المولودين فى أمريكا، وتميزت برامجه بالأعمال الكبرى بالاشتراك مع فرقة الكورال بقيادة «روچر ڤاجنر» - وبعد «والنشتاين» تولى المهمة «فان باينوم» من الأسماء المشهورة كقائد لأوركسترا «كونسيرت جيباو» فى أمستردام .. وكانت ألمع حفلاته هناك عند تقديم السيمفونية التاسعة الكورالية لبيتهوفن، أمام ستة آلاف وستمائة مستمع فى عام ١٩٥٨، ومن بعده تولى المهمة: زوبن ميتا!

هوليوود بول:



ساحة هوليوود المشهورة

هذا، وتشتهر مدينة لوس أنچيلس بحفلاتها فى الهواء الطلق، حيث أقاموا ساحة فسيحة بمدرجاتها الرومانية فى شكلها والأمريكية فى ضخامتها، وقد اتخذت فيه خشبة المسرح شكلها المستدير وسط قوقعة كبيرة وتسمى «هوليوود بول» .. واختاروا لها موقعا وسط المرتفعات بما حقق لها تميزًا خاصًا فى الصوتيات باستغلال تضاريس الطبيعة دون إضافات تذكر!

وقد أنشئت هذه الساحة فى عام ١٩٢٢ وتولى قيادة الحفلات فيها مشاهير الفنانين من مختلف أنحاء أمريكا مثل كليمپرر وپيير مونتيه (بوسطون) وأوچين أورماندى (فيلادلفيا) ووليام شتاينبرج، وليوپولد ستوكوڤسكى وبرونو ڤالتر - ومن عازفى البيانو كان أيضا إيتوربى وڤلاديمير هوروڤيتس وروبنشتاين ورحمانينوف (١٩٤٢) - ومن عازفى الڤيولينة هايفتز! وفى بعض الحفلات كان عدد الرواد ينوف عن خمسة عشر ألف مستمع!

ومن الطرائف بوجه عام فى الحياة الموسيقية هناك، وجود أوركسترا سيمفونى كبير كل أعضائه من اليابانيين، ويعد الوحيد من نوعه خارج اليابان - وبوجه عام لايقل عدد الأوركسترات فى جميع المنطقة عن عشرين أوركسترا سيمفونى.

ومن المعالم الفنية المشهورة فى المدينة «مدينة والت ديزنى» وعاصمة السينما «هوليوود» المشهورة موسيقيًا بالساحة التى أشرنا إليها!

إنديانا پوليس:

وعلى الرغم من أن مدينة «إنديانا پوليس» كانت حديثة جداً فى حياتها الفنية عند زيارتنا لها فى أوائل الستينيات، فإنها كانت تحظى بجامعة لها شهرتها (بتلر) وقاعة كبرى للموسيقى (كلوز) وأوركسترا سيمفونى!

وهناك كانت لنا زيارة لإدارة الأوركسترا حيث دعينا على سبيل التكريم لحضور اجتماع مجلس إدارته الذى تصادف انعقاده فى نفس اليوم.. وعند التعريف بالأعضاء المشاركين فى المناقشات مع المايسترو «إيزلر سولومون» أدركنا إلى أى مدى كان لنظام التعليم الموسيقى فى مراحل التعليم العام أثره فى خلق هؤلاء المثقفين ما بين مدير للمنطقة التعليمية وطبيب ومهندس ومستشار!

وفى هذا المكان البعيد، أتيح لنا الاستماع إلى حفل (ريسيتال) بيانو لأبرز الشباب الموسيقى الصاعد فى تلك الفترة «فان كليبورن» الحاصل على الجائزة الأولى فى مسابقة تشايكوفسكى العالمية بموسكو فى بداية شهرته.. وروى من الطرائف حينذاك عن تكريم رئيس الجمهورية له بإقامة حفل «ريسيتال» يقدمه فى البيت الأبيض، أن حقائب سفره تخلفت فى الطريق وفيها ملابسه الرسمية (فراك) - وبحث المسئولون عن حل للموقف حتى تبينوا أنه فى طول قامته ومقاييس جسمه يشبه رئيس الجمهورية چونسون! ووجدوا الحل بأن ارتدى العازف ملابس الرئيس!

إلمايرا وروشستر:

وفى الطريق إلى نيويورك، كانت وقفتنا فى «إلمايرا» حيث قمنا بزيارة أكبر مدارس الموسيقى فى الولايات المتحدة فى جامعة «بلومنجتون» والتى لا تختلف عن المفاهيم العامة التى تحكم التعليم فى الدولة، وتزود المجتمع بمثقفيه القادرين على دفع مسيرة الحضارة فى كل مجال! وفى قاعتها الجديدة شهدنا حفلاً سيمفونياً قدمه أوركسترا مدرسة «إيستمان»[1] بمناسبة إحياء ذكرى المؤلف شارلز جريفيث - ومن هناك رحلنا مع الفرقة فى عودتها إلى مقرها فى روشستر، وزرنا المدرسة بأقسامها المختلفة واطلعنا على نظم الدراسة بها، والتى تقضى بوجود قسم إعدادى يسبق الدراسات المنهجية على غرار كونسرفتوار «نيوإنجلند» فى بوسطون وفى القاهرة!

وفى المدرسة قسم للأوپرا يديره أحد الخبراء، وقد زود القسم بمسرح تقدم فيه المشاهد فى إطار من المناظر ومستلزماتها، ولكن بمصاحبة آلة البيانو فقط بدلاً عن الأوركسترا! ونذكر بين القائمين بالأدوار الغنائية فى أثناء زيارتنا فتاة مصرية أرمنية تدعى «سلڤيا خاتشادوريان» وتحدثت معها باللغة العربية!

---

(١) كنا قد نظمنا بعض الحفلات لهذا الأوركسترا بالقاهرة والإسكندرية قبل ثلاث سنوات، بقيادة معلمه المؤلف الكبير: هوارد هانسون، ومعه مساعده فردريك فينيل الذى اقتنينا بعض تسجيلاته للجراموفون.

نيويورك:

لما كانت دار الأوبرا «المتروبوليتان» بنيويورك لاتزال فى بنائها القديم الذى تحتله منذ أواخر القرن التاسع عشر، فقد كانت زيارتنا لها هناك، حيث شهدنا «البروفة النهائية» لأوبرا: قوة القدر من روائع ڤيردى باللغة الإيطالية بالطبع .. وانتقلنا بعد ذلك إلى قاعة «كارنيجى» الشهيرة حيث شهدنا من الحفلات السيمفونية: الأوركسترا السيمفونى الذى أسسه القائد العجوز «ليوپولد ستوكوڤسكى» ـ وكان الحفل بمشاركة عازف البيانو الشهير: چوزيه إيتوربى !

وعندما قدمنا مدير الأوركسترا «فاركو» إلى الفنان الكبير بعد الحفل لتحيته فى طابور المهنئين له بروعة الأداء وكان بعض المسنين رجالاً ونساء يقبلون يده، فقد أمسك «ستوكوڤسكى» بيدى وطال الحديث بيننا وأبدى سعادته بلقائى قائلاً إنه يود المجىء إلى القاهرة لقيادة بعض الحفلات ! ورحبنا بالطبع برغبته المشرفة لحياتنا الموسيقية ! فسأل عما إذا كانت لدينا قاعة للموسيقى، وأجبنا بالإيجاب، بينما كانت فى الحقيقة «قاعة سيد درويش» لاتزال فى انتظار تهيئتها للافتتاح وعاد ليسأل عن عدد المقاعد فى القاعة . . ولما علم بأنها تتسع لألف وأربعمائة مقعد، تعجب من أن مدينة كالقاهرة لاتوجد بها قاعة أكبر من ذلك، فأفهمناه بأن لدينا أيضًا دارًا للأوپرا تقدم فيها الحفلات السيمفونية، فسر لذلك وكرر رغبته فى المجىء إلى مصر، دون أن يعلم أن عدد مقاعد الدار لا يزيد عن نصف ما فى القاعة الجديدة !

والحفل الثانى الذى شهدناه بالقاعة، قدمه أوركسترا نيويورك الفيلهارمونى بقيادة «وليام شتاينبرج» الذى ذهبنا لتحيته بعد الحفل، مع مجاملة بسيطة بأننا نود أن نراه بالقاهرة لقيادة أوركسترا القاهرة السيمفونى، ولاحظنا أنه فوجىء بذلك فقال: ولكنى . . وكررها ربما يقصد أنه يهودى ! فكررت المجاملة فى جو من التقدير الكبير للفن !

وفى زيارة لفرقة الباليه الأمريكى التى أنشأها هناك فنان الباليه المشهور «چورج بالانشين» رأينا كيف تتاح الفرصة لمواصلة الدراسة فيها من سن الخامسة عشرة إلى جانب التعليم العام فى مختلف مراحله ! وقد اتضح أن للفرقة أوركستراها الخاص من ستين عازفًا تقريبًا ومعهم أكثرمنهم من الراقصين ! وكان يقود الأوركسترا المايسترو : إيرڤنج .

مركز لنكولن:

وانتقلنا بعد ذلك إلى «مركز لنكولن للفنون» الذى يعتبر محور الحياة الفنية الراقية فى نيويورك، حيث شهدنا الدار الجديدة للأوپرا «المتروپوليتان» ولم تكن قد افتتحت بعد ـ وكذا المسرح الجديد لباليه مدينة نيويورك . . ثم القاعة الفيلهارمونية، مقر أوركسترا نيويورك الفيلهارمونى الذى شهدناه هناك فى إحدى حفلاته بقيادة أستاذه المؤلف : لينارد بيرنستين !

أذكر فى تلك المناسبة يوم أن كان مساعده نجم المستقبل «أوزاوا» اليابانى يتردد على موقعى بالقاعة، للتحدث فى بعض الأمور مع مضيفى «كارلوس موزلى» مدير الأوركسترا الذى أجرى التعارف بيننا، ثم شهدته بعد

سنوات، قائداً لفيلهارمونية ڤيينا، وواصل المسيرة بين مشاهير الصف الأول من أكبر قادة الأوركسترا فى العالم! ومما يذكر للقائد «بيرنستين» أنه كان من السابقين فى مجال التسجيلات المعروفة، بهدف التذوق الموسيقى وذلك على غرار الإنجليزى : سير مالكو لم سارچنت .

وعلى ذكر التربية الفنية لتذوق الموسيقى الرفيعة، فقد شهدنا بالقاعة حفلاً يحقق ذلك إلى أقصى الأبعاد، قدمه أوركسترا وترىّ كبير، اشتهر باسم قائده «مانتوڤانى» وقد اختار فقرات البرنامج من الموسيقى السيمفونية فى أسلوب الموسيقى الخفيفة وفى أروع صورها!

هذا وقد لاحظنا فى سقف القاعة وجود ألواح خشبية متراصة بهدف تحسين الصوتيات، ولكنها غير مريحة للرؤية وخاصة لتعدد ألوانها! وفى النهاية ثبت فشلها وظهرت الحاجة لتنفيذ خطة جديدة كانت تتكلف حينذاك تسعين مليونًا من الدولارات . . وعند عودتنا بعد أكثر من ربع قرن إلى نيويورك، كانت القاعة تسمى باسم «إيڤرى فيشر» صاحب التبرع بالمبلغ المطلوب!

ومن أكبر معاهد تعليم الموسيقى فى نيويورك : مدرسة چوليارد وفيها شهدنا أحد التدريبات لأوركسترا المدرسة، وتحدثنا حديثًا مفيداً مع العميد «والدروب» عن نظام الدراسة . . والذى يسير حسب المفاهيم العامة فى التعليم الموسيقى النموذجى بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد خصص للمدرسة مقر فى مركز لنكولن الجديد باعتبارها من المعالم الرئيسية للحياة الفنية هناك !

الموسيقى والتعليم العام :

وفى ضوء مشاهدتنا لأنماط التعليم الموسيقى فى أكثر من ولاية كموضوع كان يشغل الأذهان فى مصر، يمكن القول بإيجاز أن التأهيل المبكر قبل الدراسة المنتظمة تتولاه بنظام معهد «الكونسرفتوار» بالقاهرة مدارس نيو إنجلند فى بوسطون وإيستمان فى روشستر وچوليارد فى نيويورك، وذلك لقدرتها على الإنفاق وتحمل هذا العبء المالى أكثر من غيرها !

وفى غير هذه الحالات يكون الاعتماد فى التأهيل المبكر على دراسات الموسيقى فى التعليم العام كما كنا نهدف من مشروع فصول الموهوبين بمصر، وذلك بالطبع على أساس الجدية فى الوصول إلى مستويات فنية تتيح إمكان العزف فى أوركسترات الطلبة والطالبات فى مختلف المراحل، مع استخدام آلات موسيقية صغيرة الحجم فى المراحل الأولى . . وكنا بالفعل قد سبق أن أتيح لنا أن نشهد ذلك بصورة عملية فى مختلف المناطق التعليمية بالساحل الشرقى !

وكان من الملاحظ أيضًا فى معظم الأحيان أن رسالة مدارس ومعاهد الموسيقى، لاتقتصر مهمتها فقط على تخريج الفنان المحترف فى مجال العزف أو التأليف، ولكن أيضا لتخريج مدرسى الموسيقى لمراحل التعليم العام، بعد اكتسابهم الخبرة فى تكوين أوركسترات الطلبة . .

وفى النهاية فقد أثمرت مختلف الجهود فى الولايات المتحدة الأمريكية عن وجود أكثر من ألف أوركسترا

سيمفونى ما بين مستديمة وأخرى موسمية ، كان لها أثرها فى إثراء حياة المواطنين وإضفاء الوجه الحضارى على المجتمع هناك !

إلا أننا مع مرور السنوات وعمق التأملات . . وبشىء من الصراحة والواقعية ، وما كنا نتوقعه لهذا المجتمع من ثمرات يانعة تجعل منه النموذج والقدوة لغيره فى الارتقاء بالإنسانيات والتمسك بالمثل والأخلاقيات ، نجد أمامنا أكثر من علامة استفهام ، وخاصة أمام الاختبارات الكبيرة فى العلاقات الدولية مع السلطات الحاكمة التى أفرزها هذا المجتمع ، حيث تتخلى معظم قياداته فى مواقفها عما ترفعه الحضارات الإنسانية من شعارات ، تتصدرها الأمانة والعدالة فى التعامل مع الشعوب الأخرى . . ثم انعكاس هذا التناقض فى النهاية على روح العصر ، حيث نجد الرعاية والتشجيع للغريب من الأشكال الأدبية والفنية وانتشار هذه الأنماط التى يقال أحيانًا إنها ترجع لذوى الأصول الجديدة فى تاريخها البشرى ولا تحظى بتقاليد وأمجاد ، ثم انتقالها إلى الدول الأخرى ، استنادًا إلى قوة أصحابها . . وأخيرًا نتأمل بين الحين والآخر ثمرات ذلك فى الحياة الثقافية وبوجه خاص فى عواصم الفن بأوروبا ، لنجد أنها تزخر بالصور الجديدة من اللامعقول ، وقد تراكمت وتشعبت أشكالها !

سالزبورج :

لعل أروع ما جاءنا به عام ١٩٦٦ ، كان فرصة المعايشة للحياة الموسيقية فى مسقط رأس موزار بالنمسا ، حيث يبدو الجو العام ، وكأن أعوام الماضى البعيد لا يزال يتردد صداها فيه ! حتى القميص الذى اشتريته للذكرى ، كان من محل يدعى شوبرت . . والجلباب من محل مواجه للمنزل الذى كان يسكنه موزار ، وأفخر أنواع الشوكولاتة عبارة عن كرات ملفوفة فى ورق فاخر يحمل صورته ! أما الحدث الموسيقى الكبير ، فهو المهرجان السنوى الذى يجمع بين الكثير مما يندر مشاهدته فى مناسبة واحدة لها مستواها المتميز على الصعيد الدولى ، ومجالاتها التى تنفرد بغير المألوف مما تعرفه المهرجانات الأخرى . .

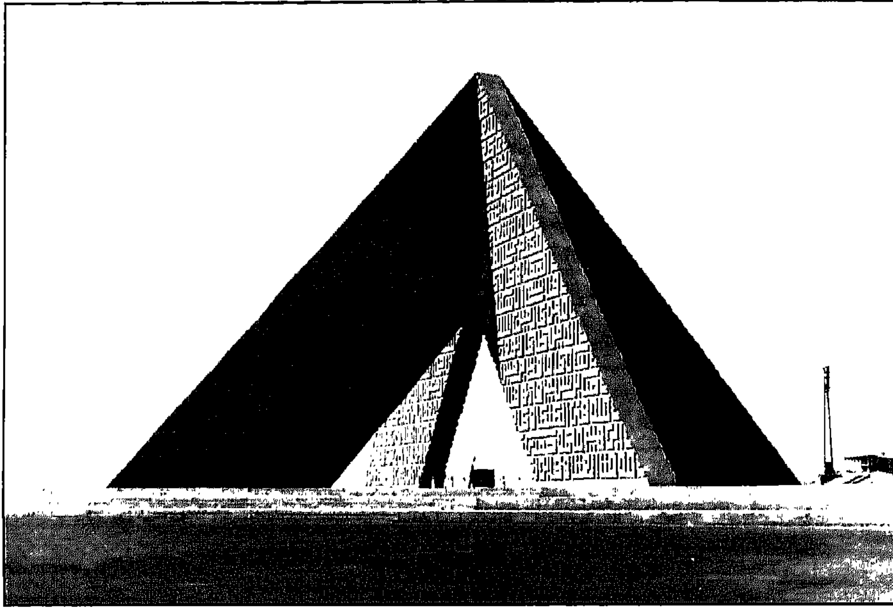
فإلى جانب أشهر فرق الأوركسترا والأوبرا والعزف الإنفرادى ومجموعات موسيقى الحجرة ، كان مثلاً التجديد فى صورة إنتاج ضخم لأوبرا «كارمن» جاء فيه القائد الكبير «كارايان» بأكثر من فرقة كورال زائرة من خارج النمسا شاركت معا فى هذا العرض غير المسبوق !

وأما أبرز العلامات الموسيقية المستديمة فى المدينة ، فهى المعهد المشهور باسم «موزارتيوم» والذى يشارك فى حفلات المهرجان بمستواه الفنى الفريد للأوركسترا التابع له ، يقوده عميده العملاق : پاو مجارتنر !

وتجرى الأحداث الفنية للمهرجان فى أكثر من مكان ! فإلى جانب القاعتين الكبرى والصغرى ، نجد الاستغلال الذكى لبعض المواقع المتميزة بطبيعة خاصة فى تكوينها ، حيث شهدنا مثلاً عرضًا مسرحيًا لرائعة شيكسپير : حلم ليلة صيف ، بمصاحبة موسيقى مندلسون فى عزف حى للأوركسترا مع أحد القادة المحنكين !

كما أن مسرح العرائس لم يتخلف عن الركب ، وفاجأنا بعرض مبدع لأوپرا «دون چوڤانى » لموزار ، مع الموسيقى والغناء من تسجيلات العروض بأوپرا ڤيينا ، حيث بدت الدقة المتناهية فى تحريك الشخصيات دون إغفال لأصغر التفاصيل فى أثناء الأداء ، وخاصة عند كل نغمة تعزف أو كلمة ينطق بها المغنى ، وكأن المشاهدين أمام مسرح حقيقى مع أبرع الفنانين . . ووراء كل ذلك بالطبع كانت مهارة اللاعبين وثقافتهم الموسيقية المتعمقة وخبرتهم المسرحية المبهرة !

هذا . . ، وفى طريق العودة، التقينا فى ڤيينا بالمواطن الذى أحسن استيعاب ثقافتها، الفنان الشاب «سامى رافع» من مبعوثى أوپرا القاهرة لدراسة فن الديكور المسرحى، وروى لنا فيما بعد، كيف وجد فيها النواة بعد سنوات لتصميمه الهرمى للنصب التذكارى للجندى المجهول القائم بمدينة نصر . . وفيه سبق المتحدثين الآن كثيراً عن الوحدة بين عنصرى الأمة فى مصر، حيث حقق التداخل بين أسماء الشهداء المحفورة، وفيها نجد مثلاً محمد وأحمد مع لوقا وبطرس ـ وكان آخر مناصبه الرسمية : رئيس قسم الديكور بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة!



النصب التذكارى للجندى المجهول بمدينة نصر

موسكو ولينينجراد (بطرسبورج) :

يبدو أحياناً لبعض الناس أن هاتين العاصمتين ليس فيهما من الفنون إلا الباليه التقليدى الرائع، والذى بدأ فى القمة وعاش حياته حتى الآن بين القمم، والحقيقة أن كل شىء هناك يدعو للفرجة! فرواد المسرح أنفسهم يمثلون نوعية نادرة من الشعوب تدعو للإعجاب ! يجيئون إلى المسرح وفى أقدامهم أحذية مبللة من أثر الثلج والمطر، وفى أيديهم حقائب صغيرة يخرجون منها أحذية نظيفة تليق بدخول معابد الفن، يرتدونها على أبواب الدخول!

ومع رفع الستار، يبدون فى سكونهم وكأنهم يبدءون الطقوس أمام مقدساتهم التى شهدنا فى لياليها : بحيرة البجع وكسارة البندق بمشاركة فنانتهم الصاعدة «مكسيموڤا» مع فرقة البولشوى ـ ومن أكبر الأوپرات : الحرب والسلام لمؤلفهم العالمى پروكوفييف ! وفى الحفلات السيمفونية، شهدنا أوركسترا موسكو لموسيقى الحجرة المشهور بقيادة منشئه «بارشاى» . . ولايقل شهرة عنه، مسرح العرائس مع مخرجه الكبير : أبرازوف ـ أما الفرقة القومية للفنون الشعبية، فلم تقل روعة عما كنا قد شهدناه فى الخمسينيات بدار الأوپرا بالقاهرة فى موسم حافل لفرقة : مويسييف !

ومن المتاحف الرئيسية فى موسكو : الكريملن الذى بقيت مقتنياته كاملة كما كانت فى عهود أ
القياصرة، وكأنه لم تكن هناك ثورة شعبية عنيفة تدوس بأقدامها كل آثار العهود السابقة، وتقتل «نيقولا» وابنه المريض وبناته دون رحمة !

وفى مُتحف پوشكين، لم نتصور أن يوجد فى فرنسا مثل تلك المجموعة الكبيرة من روائع فنانيها التأ

وفى مجال السيرك، يقسمون المهارات بين التقليدى القديم والحديث فى حلبتين مختلفتين كلتيهما يعرضون العجائب من الألعاب فى أروع صور الإتقان - أما راكبو الخيول وكان أبرعهم يدعى (فيصدق عليهم قول الشاعر القديم :

جِنٌّ على جِنٍّ وإن كانوا بَشَرْ فكأنما حِيكوا عليها بالإبرْ

وفى المسرح الكبير أو البالشوى كما يسمى، حيث شهدنا بعض روائع الأوپرا الروسية والإيطالية . . المشاعر وأعطت الصحافة الفنية كل الاهتمام لما حدث للفنانة (متزوسوپرانو) الإيطالية الد «كوسوتو» حين تعرضت فجأة لحالة فقدان الصوت فى الفصل الثانى من العرض الأوپر الليلة السابقة !

أما تمثال بطرس الأكبر، صانع الدولة، وغيره من القياصرة فقد أبقوا عليها فى أماكنها بكل للتاريخ . . وحتى القصر الذى قتل فيه «راسپوتين» يرشدونك فيه إلى المكان الذى وقع فيه الحدث التاريخ

ويقف متحف «إرميتاج» فى لينينجراد أو بطرسبرج بعد أن عاد إليها اسمها القديم، فى الصف الأ أكبر المتاحف العالمية، والمدير نفسه پيتاجورسكى من علماء الآثار المصرية! وحين تأخر قليلاً فى ا لاستقبالنا فإنه قال إن مصر هى السبب فى تأخره، لأنه كان منهمكا فى محاضرته عن وحضارتها القديمة! وفى المدينة أيضًا متحف المسرح وقصر «بيترزهوف» المقر الصيفى للقيصر، كمزارات سياحية .

وفى زيارة تالية لموسكو فى عام ١٩٧٤، كان لنا حظ الاشتراك فى لجنة الحكيم الخاصة بالغناء فى مسابقة تشايكوفسكى الدولية، كما كان لمصر الحظ حينذاك فى تقديم بعض مواهبها الشابة للمسابقة : رمزى يسى فى عزف البيانو وحسن شرارة فى عزف الڤيولينة ومصطفى ناجى فى عزف التشيللو، بعد أن استكملوا دراساتهم هناك!



شبابنا المشارك فى مسابقة تشايكوفسكى الدولية (موسكو ١٩٧٤)

وهى تعتبر من أشهر المسابقات فى العالم، ويعطيها جمهور الفن ما تستحق من ترقب واهتمام ومشاهدة، وسط مظاهرات احتفالية تحمل المعانى الكثيرة ! وتحضرنا هنا لقطة من مظاهر تقديس الجمهور للفن والفنانين، حين هب المئات من رواد الحفل وقوفًا وخشوعًا فى لحظة دخـول الفنان الإيطالى الكبير «تيتو جوبى» كـى يرأس لجنة التحكيم فى فرع الغناء . . ولايتوقفون عن التصفيق رغم نظرات الشكر والرجاء بالسكون كى تتمكن اللجنة من بدء أعمالها . .

ولعل أروع ما بقى لنا ونعتز به من تلك التجربة الروسية، هو استرجاع ذكرى الأيام الصعبة فى الخمسينيات مع جهودنا المضنية لفرض الاعتراف بالتعليم الموسيقى المتخصص على المجتمع بإنشاء معهد كونسيرفتوار . . ثم المعايشة لمسيرة خريجيه، حتى شهدنا رمزى يسى مديرا للأوبرا وحسن شرارة عميدا للمعهد ومصطفى ناجى رئيسا لهيئة المركز الثقافى القومى !

وأخيرا، فلامجال هنا للكلام عن الجو العلمانى الذى كان يسود كل نواحى الحياة الشيوعية هناك، حتى ضحكت مرافقتى الروسية مثلا عند مرورنا بإحدى الكنائس فى يوم أحد وقد دقت أجراسها الحزينة، بطيئة متثاقلة على استحياء . . وتعجبت هى من أمر هؤلاء المسنين الفقراء من روادها والذين مازالوا على دينهم ! وتحضرنى الآن صورتها حين ترى مدينة موسكو تقيم اليوم المساجد[1] أيضا وسط احتفالاتها بمناسبة مرور ثمانمائة وخمسين عاما على إنشائها !

بلجـــراد :

وفى طريق العودة من زيارة أخرى لموسكو، كانت زيارتنا الثانية للعاصمة اليوغسلافية بعد سنوات، كانت المدينة قد استردت خلالها أنفاسها واستعادت حياتها، بصورة طبيعية، بعد أن فتحت أبوابها الحديدية للسياحة الإيطالية، وأقيمت فى البلاد مصانع للسيارات، وازدحمت حركة المرور . . وأقيمت الفنادق الحديثة ! وفى تلك الظروف الجديدة، أقامت دار الأوبرا احتفالاتها بمرور مائة عام على إنشائها (١٩٦٨) حيث شهدنا فيها من المستويات الفنية العالمية ما يندر وجوده فى غيرها وخاصة فى نوعية أصوات المغنين (الباص) مثل العملاق «شانجالوفيتش» صاحب الشهرة الكبيرة ، والذى استمعنا إليه بالقاهرة فى أداء دور «دون كيشوت» للفرنسى «ماسنيه» فى موسم يوغسلافى فى الستينيات شمل إلى جانب ذلك، الأوبرا الروسية «البرنس إيجور» للروسى «بورودين» - وبعد احتراق دار الأوبرا، عاد إلينا فى موسم يوغسلافى آخر بقاعة سيد درويش فى محاولة لتكون بديلة بصفة مؤقتة للدار !

---

(١) الأهرام - ١١/٩/١٩٩٧ .

پارمـــا :

وبعد احتراق دار الأوبرا بالقاهرة، وتحولها إلى ذكرى لمن يتذكر، أردنا أن نكون من المتذكرين، فجمعنا ما لدينا من صفحات تحكى تاريخها، وشددنا الرحال إلى بلاد عميد الأوپرا فى إيطاليا «ڤيردى» حيث يوجد معهد دراسات يحمل اسمه ويجمع تراثه، فى مدينة پارما، صاحبة الشهرة فى أفخر أنواع الجبن «الپارميچانو» باعتبارها من أهم المناطق الزراعية فى إيطاليا . .



غلاف الكتاب التذكارى للعيد المئوى لأوپرا عايدة من إصدارات معهد دراسات ڤيردى فى إيطاليا (پارما)

وكانت قد حلت مناسبة مرور مائة عام على تقديم العــرض الأول لأوپرا «عــايدة» (١٩٧١) . . ووجــد علماء المعهد فيما لدينا من أبحاث ما تحتاجه المناسبة من إحياء للذكرى . . وكان أن نشر المعهد كتابنا بمثابة تحقيق تاريخى يحمل الأصول الفرنسية والإيطالية لأهم المراسلات التى تتناول الموضوع، مع ما أضفناه من مواد يستكمل بها العرض لمادة الكتاب !

وهناك أتيــحت لنا زيارة منزل الفنان الكبيــر فى ضيعته «سانتا أجاثا» حيث استقبلنا حفيده (من ناحية زوجته) ألبرتو كارارا ڤيردى . . وتبادلنا المجاملات، وأبدى سعادته لمجىء الزائر من أوپرا القاهرة، الصديقة القديمة للجد الأكبر ! وقد أهدانا صفحة من بين المراسلات التى لم يسبق نشرها أبدًا، وهى التى تحمل توجيهات الخديوى إسماعيل فى عام ١٨٧٠ بشأن اختيار ڤيردى، وإن رفض يكون ڤاجنر أو جونو، وذلك لتولى مهمة تلحين أوپرا عايدة ! وعلى أحد الجدران الداخلية للمنزل، لمحنا إطارًا حفظت بداخله الصفحة الأولى من النص الشعرى للأوپرا بخط الشاعر «جيزلانزونى» وقد شطب ڤيردى البيت الشعرى فى مستهل النص واستبدله بآخر من عنده !

وفى پارما، كانت المفاجأة هى مشاهدة أقدم مسرح للأوپرا فى العالم، وهو تياترو «فارنيزى» المصمم كله بالأخشاب . . والمناظر متغيرة، والكواليس على الجانبين . . وقد بدا وكأنه صندوق رنان أو آلة موسيقية ضخمة، وقد رصت بداخله مدرجات المتفرجين وكأنها بعض أجزاء الآلة الموسيقية ! وكانت قد بدأت إقامة المسرح فى عام ١٦١٨ وقدم فيه أول عرض فى عام ١٦٢٨، ومن هناك انتشرت الفكرة داخل إيطاليا وخارجها!

وبعد العودة إلى القاهرة بفترة تلقيت برقية من أسرة ڤيردى تنبئنى باستقبالها مولودة جديدة أطلقوا عليها اسم «عايدة» بمناسبة الذكرى المئوية للأوپرا . . ولعلها بدورها قد أضافت الآن أحفادًا «للمايسترو» . . كما يسمونه هناك!

صوفيا:

على الرغم من صغر العاصمة البلغارية فإن الاهتمام فيها بفنون الموسيقى والأوبرا يدعو للإعجاب، فتحظى مثلاً بأعداد وفيرة من عازفى الأوركسترا، وتصدر ما لديها من فائض، الأمر الذى كان مصدر فائدة كبيرة لأوركسترا القاهرة السيمفونى، حين كان يستقدم بعض عازفيه منها ولفترة غير قصيرة! وحين تقام فيها المسابقات الدولية الدورية لغناء الأوبرا للشباب، والتى شاركت أكثر من مرة فى لجان التحكيم فيها، فإن ذلك كان يقترن بالحفلات السيمفونية وعروض الأوبرا التى شهدنا فيها مثلاً أوبرات: حلاق أشبيلية لروسينى وعايدة وترافياتا وتروفاتورى ودون كارلوس لفيردى ومدام بترفلاى لپوتشينى ثم بوريس جودونوف لبورودين، والتى تتطلب إمكانات خاصة فى عناصر الأداء، وتألق فيها فنانهم «جوزيليف» ثالث الثلاثة من مشاهير وطنه على المستوى العالمى فى طبقة الصوت الخفيض(باص) . . مع جياروف وبوريس كريستوف!

هذا وقد أسفرت أخيراً هذه الاهتمامات عن إقامة دار جديدة للأوبرا هناك لإشباع حاجة الجماهير المتزايدة من الرواد . . وكذا تخصيص الاستراحات على سفوح الجبال بين أروع المناظر الطبيعية وخاصة «ڤيتوشه» يجد فيها الفنانون والأدباء فرصة الإقامة والتفرغ لإبداعاتهم!

براتيسلاڤا:

وفى براتيسلاڤا عاصمة «سلوڤاكيا» المتاخمة للنمسا، كانت دار الأوبرا القيصرية القديمة تحتفل بعيدها المئوى الذى شهدنا فيه أكثر من عرض أوپرالى وحفل موسيقى! فقد كانت المدينة من أهم مصادر الدعم لأوركسترا القاهرة السيمفونى سواء بالعازفين أو القادة . . نذكر من الطرائف فى أهم عروضها، تقديم أوپرا «كارمن» فى أداء متعدد اللغات! فالألمانية والفرنسية والإيطالية لأصحاب الأدوار الرئيسية والسلاڤية لفرقة الكورال، والعرض فى جملته أكثر من ممتاز . .

ومن عروض المهرجان، شهدنا أوپرا «توسكا» بقيادة صديق القاهرة: فريشو، وتروڤاتورى بقيادة: ماليك-وباليه: ذو اللحية الزرقاء . . وآخر بالغ الروعة أقامه المصمم على موسيقى الرباعية الوترية للمؤلف التشيكى ياناتشيك، ويحظى بشهرة متجددة، وشهدناه أخيراً فى عام ١٩٧٧ على شاشات التليفزيون .

پاريس:

وأخيراً، بعد معارف كثيرة . . واطلاعات . . ومشاهدات . . ومشوار طويل فى عالم الأوپرا، كانت وجهتنا فى عام ١٩٧٦ هى پاريس، عاصمة النور . . عاصمة الفن والثقافة وكعبة أعلام الفكر والإبداع! وفيها شهدنا بالطبع دار الأوپرا العريقة كما صممها «جارنييه» منذ زمن بعيد . .

وشهدنا متحف أو مدينة المتاحف: اللوڤر - وصعدنا برج إيفل المشهور . . وشهدنا مبنى جامعة السوربون حيث تلقى دراساته فيها المدير الأول للتياترات الخديوية «درانيت بك»، وفوجئنا بأننا نسير فى شارع باسم أستاذه فى الطب «تينار» والذى قلب درانيت ترتيب حروف اسمه ليستحدث منها اسما لنفسه من فرط إعجابه بأستاذه، فعرف باسم: درانيت، وكان اسمه الأصلى پاڤلوس پاڤليدس من أصهار الأسرة اليونانية

بالإسكندرية : زيربوداكيس ! وفى لياليها الساهرة على مسرح الأوبرا تألق راقص الباليه العالمى : نورييڤ . . وفى ليلة أخرى ظهرت فرقة ستوديو الأوبرا فى أداء رائع لأوبرا : الناى السحرى لموزار!

وانتهى بنا المطاف إلى قاعة الشانزليزيه حيث تقدم أروع حفلات الموسيقى السيمفونية ، وكان الموسيقار محمد عبد الوهاب من بين أوائل المواطنين من روادها . . وفيها تلقى الجرعات الأولى من الموسيقى العالمية ، كما قال فى أحاديثه !

وفى هذه القاعة شهدنا حفلاً سيمفونيًا متميزًا أقيم فى مناسبة خاصة بأنشطة الأمم المتحدة ، وبقيت ذكراه لما دار فيه من طرائف ! . . ففى نهاية القسم الأول من برنامج الحفل ، طلب قائد الأوركسترا من الحضور الوقوف حدادًا على الوفاة المفاجئة لعازف الڤيولينة الروسى الشهير «داڤيد أويستراخ» قائلا عنه إنه أكبر فنانى العصر!

ولمحت فى المقصورة أمامى مباشرة بين الحضور الفنان وعازف البيانو الكبير «روبنشتاين» وقد بدا غاضبًا متبرمًا من هذا التعريف ! وبعد انتهاء الاستراحة وما دار خلالها والله أعلم ، عاد قائد الأوركسترا إلى المنصة كى يبدأ القسم الثانى من الحفل . . وقال ضاحكًا : قلت لكم إن «أويستراخ» هو أكبرفنانى العصر . . ويسرنا أن يكون بيننا الآن أكبر الفنانين فى كل العصور : أرتور روبنشتاين! ووقف الفنان الكبير بين ضحكات الرواد ، مبتسمًا وكأنه يستجدى التحية ، وذلك بسعادة الفوز على الأموات وهو يرد على تحية الجماهير له ! ولكنى لم أصفق ولم أبد أى اهتمام به . . فتعجب من ذلك وعاود النظر إلىّ . . لايصدق نفسه ! ولم أغير موقفى . . رغم تقديرى الكبير جدًا له كعازف مرموق أعتز بتسجيلاته بين مقتنياتى ، ولكنى لا أحب المداعبات التى تخدش وقار الشيخوخة !

فقد روى لى مثلاً المايسترو اليوغسلافى «چيكا» قائد أوركسترا القاهرة السيمفونى ، كيف أن «روبنشتاين» روى له أنه ذهب بعد حرب ١٩٦٧ إلى تل أبيب ، وهناك طلب زيارة موشيه دايان للتحية ، وعندما فتحوا له باب مكتبه ، فإنه خر راكعًا على ركبتيه ! وفوجىء دايان بالطبع بمثل هذا الشيخ الذى يحظى بشهرة فنية واسعة ، وقد بدا فى حضرته على هذا الوضع ، فقام بدوره من مقعده وركع هو أيضًا أمامه ! وظل الاثنان فى مواجهة بعضهما على هذه الصورة الهزلية !

ونعود إلى وفاة «أويستراخ» المفاجئة فأذكر أنى كنت فى زيارة مجاملة ، بعد يومين منها ، للمؤلف الموسيقى الفرنسى چورچ أوريك ، زميل العمل قبل ذلك بهيئة التحكيم فى مسابقة تشايكوفسكى الدولية بموسكو ، حيث أبلغنى بأن وزيرة الثقافة الروسية «فورتسيڤا» حين علمت بالنبإ المشئوم سقطت مغشيًا عليها وفارقت الحياة فى نفس اللحظة!

ولقد كانت فى الحقيقة شخصية فذة تدعو للإعجاب فى رعايتها للفن بالاتحاد السوڤيتى ولمسنا ذلك فيها عندما كانت تحضر إلى القاهرة فى أثناء بعض المواسم الكبيرة للباليه الروسى - وأذكر أنى كنت واقفًا مع الوزير يوسف السباعى فى إحدى حفلات الاستقبال فى موسكو بمناسبة إقامة مسابقة تشايكوفسكى ، حين جاءت الوزيرة لتحيته ومعها قائد أوركسترا كبير قدمته إلى يوسف السباعى قائلة : مايسترو كوندراشين ، فأضفت أنا إلى التعريف قائلاً : كوندراشين «العظيم» فضحكت وكانت فى قمة السعادة لهذه المجاملة !

نيويورك :

وفى رحلات المعاش واجترار الذكريات عدنا إلى نيويورك . . وشهدنا الدار الجديدة للأوبرا «المتروبوليتان» . . وفيها كان لقاؤنا مع آخر أوبرات ڤيردى «فولستاف» عن قصة شكسبير . . ثم يدعونى ابنى إسماعيل لمشاهدة مسرحية غنائية مما يستهوى الشباب وتسمى «فى صفوف الكورس» وذلك فى أحد مسارح برودواى !

وهكذا كان ختام رحلتنا الكونية فى عالم الأوپرا مع ختام حياة ڤيردى الفنية (فولستاف) كما كانت البداية أيضًا معه ، حين طلبت منه السلطات المصرية تلحين «نشيد» الافتتاح لدار الأوپرا فى عام ١٨٦٩ واعتذر . . وفى العام التالى ١٨٧٠ وافق على تلحين أوپرا عايدة كى تولد فى الدار الجديدة وترتبط بتاريخها وتطوف بلاد الحضارة ومعها ذكرى الدار الخديوية . . ولتثير دائمًا الالتباس لدى بعض الكتاب والمؤرخين، فيوهمون القراء بأنها كانت مطلوبة لافتتاح الدار . . لتبدأ الأساطير التى لم تنته حتى الآن مع خواتيم القرن !

العـودة :

وتنتهى الرحلات . . ولا تبقى سوى الذكريات وما حملت ، ومعها من الألقاب ما يهوى عادة ويحب أصحاب المعاشات :

لو توقفت فى إيطاليا ، قالوا : الكومنداتور !

وفى فرنسا : الأوفيسيه !

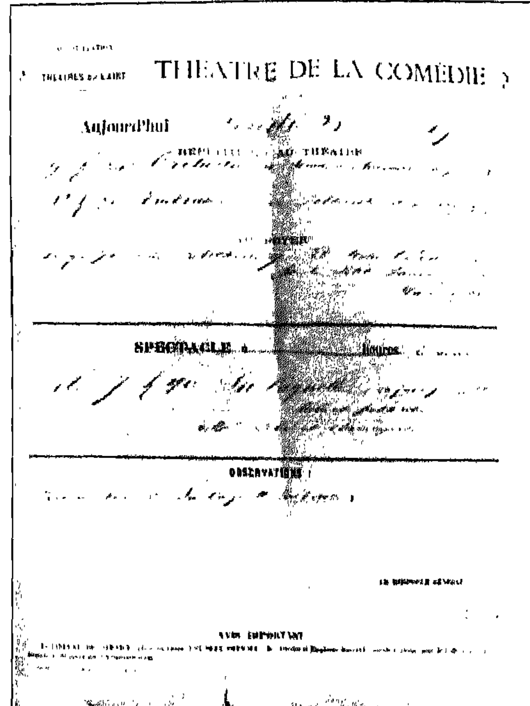
والآن فى مصر : الجميع باشاوات . . أو حجاج !

واختفى الأفندية . . وذابت وتاهت طبقتنا الوسطى فى تكوين غريب للمجتمع - وهى الخالية من جهل الطبقة الدنيا وخمول الطبقة العليا ، والحاملة للعبء الأكبر فى نجاح وإصلاح المجتمع ، كما قالت الكاتبة : عايدة رزق ، فى التعبير عن حالنا بين الكثير مما تردد أخيرا بالصحافة وأحاديث الناس - بينما نرى البعض يقفز كالبراغيث إلى عالم المال الجديد، معزولين إلى حد كبير عن أى دور إيجابى فى البناء السوى لمجتمعهم . . وليوحى ذلك بالكثير إلى المفكر د. أبو الفضل بدران وكيل كلية الآداب بقنا ، فى تأملاته بألمانيا (الأهرام فى ٢٢/ ٥/ ١٩٩٨) حين دعاه عمدة مدينة بون لحضور الاحتفال بذكرى الموسيقار بيتهوفن، والذى يتحمل تكاليفه البنك الألمانى والشركات الخاصة والأهالى . .

وحيث يحصل الطلاب والطالبات هناك على المنح الدراسية من شركات مثل مرسيدس وسيمنس وغيرها ، بينما لا يمارس أغنياؤنا دورهم تجاه التعليم والثقافة على سبيل المثال . .

ويذكر فى النهاية حاجة بلادنا إلى جهود أبنائها الذين وهبتهم فرص الثراء وتنتظر منهم دور العطاء ! ونضيف بدورنا هنا إلى تأملاته صورًا من الماضى بمصر ، حين أقام مثلاً الأمير يوسف كمال مدرسة الفنون الجميلة فى عام ١٩٠٨ ، ومن بعده الأميرة فاطمة إسماعيل عند إنشاء جامعة القاهرة وآخرون من بعدهما !

البــاب الثـالث
أوبـرا القاهـرة
فى مائة عام
(قــراءات)


THEATRE DE LA COMÉDIE

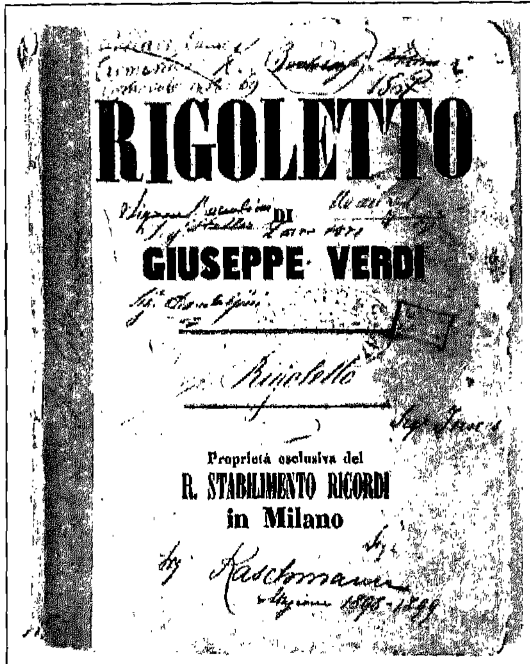
Aujourd'hui

SPECTACLE

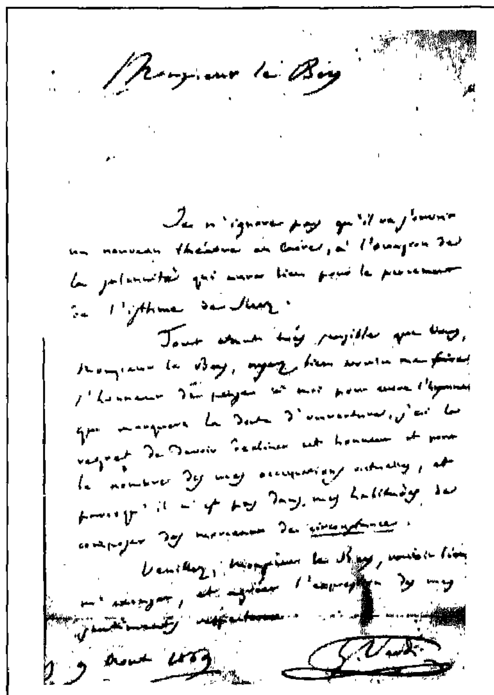
OBSERVATIONS

AVIS IMPORTANT

مسرح الكوميدى بالأزبكية برنامج يوم ٢٣ / ٩ / ١٨٦٩
(قبل افتتاح دار الأوبرا بشهرين)



كراسة نوتة موسيقية لبعض الأدوار الرئيسية بالأوبرا، وترجع إلى عام ١٨٦٧ وكذا موسم عام ١٨٦٨ / ١٨٦٩ وتحمل صورة الغلاف خاتم «تياترات خديوية» وتوقيعات بعض كبار الفنانين للذكرى مثل :
Boccolini, Pandolfini, Verger, Innes, Steller (Amonasro 1871) - Maurel, Kaschmann (1898 - 1899).



رسالة ڤيردى إلى درانيت بك فى ٩ أغسطس ١٨٦٩ للاعتذار عن عدم إمكانه تلحين النشيد المطلوب لحفل افتتاح دار الأوبرا . . .

ADMINISTRATION

THÉATRES DU CAIRE

THÉATRE DE L'OPÉRA

Aujourd'hui 1er Novembre 1869

RÉPÉTITIONS AU THÉATRE

AU FOYER

SPECTACLE à 8 heures

Cantate

Rigoletto

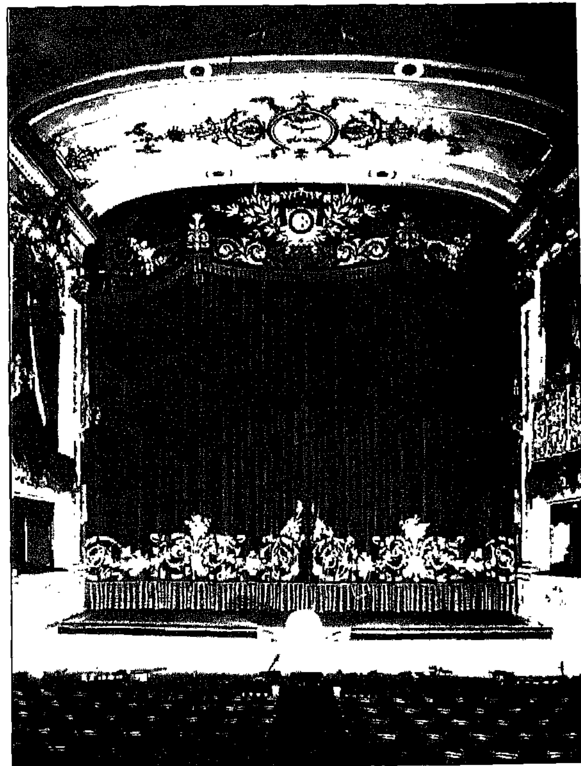
OBSERVATIONS :

L'ADMINISTRATEUR

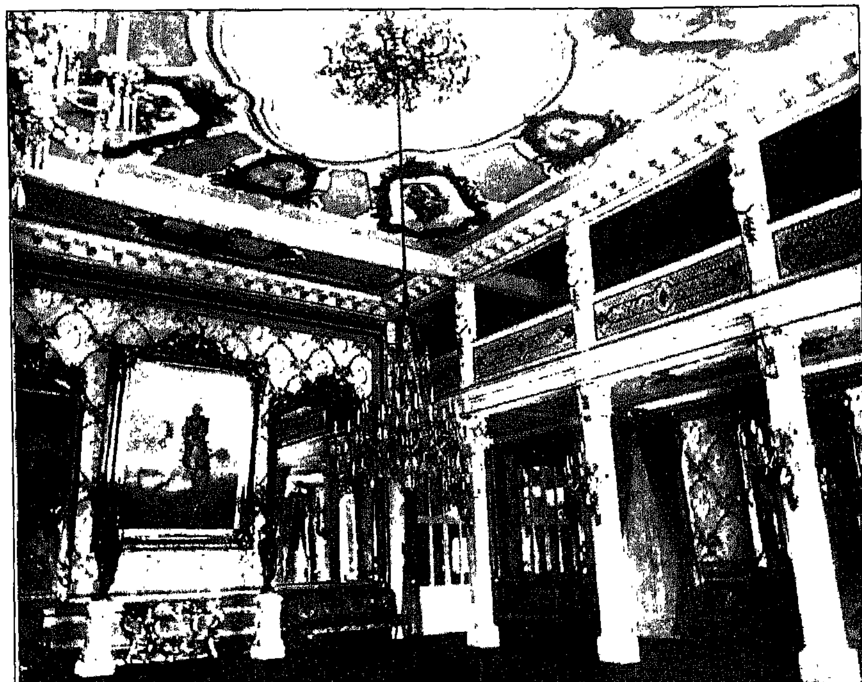
AVIS IMPORTANT

لوحة الخدمات يوم افتتاح دار الأوبرا (أول نوفمبر ١٨٦٩)

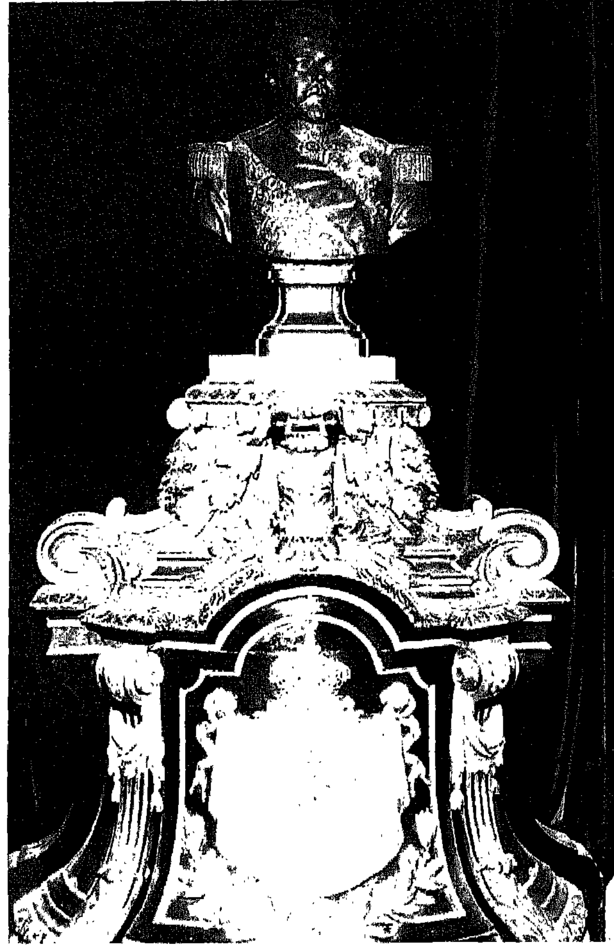
لوحة الخدمات يوم افتتاح دار الأوبرا (أول نوفمبر ١٨٦٩).



دار الأوبرا أقدم صورة من داخل دار الأوبرا



القاعة الصغرى للحفلات



◄ الخديوى إسماعيل

تمـــهيد:

على الرغم من أن الفترة التى عاشتها دار الأوبرا منذ افتتاحها فى عام ١٨٦٩ وحتى نهاية القرن التاسع عشر لا تزيد كثيراً عن ثلاثين عامًا، فإننا نجد فى مسيرتها خلال تلك الفترة من المتناقضات ما لا يتناسب والتاريخ الطويل لدور الأوبرا بوجه عام ! والانتعاش والركود هما من الأمور المسلم بها فى الحياة، ولكن التتابع السريع بينهما فى حالتنا هو الذى يدعو إلى النظر والتعليق . .

فلقد بدأت الدار كبيرة شامخة سواء فى ظروف إقامتها وافتتاحها أو فى حجم نشاطها وقيمة إنجازاتها وإسهاماتها فى تراث الحضارة . . وسارت على هذا النحو ثمان سنوات فقط، هى التى عايشت خلالها انطلاقة مؤسسها وراعيها الحاكم التنويرى الخديوى إسماعيل، وكانت خلالها نموذجًا مبهراً لما تكون عليه دور الأوبرا المتميزة ! ولم تقتصر أهميتها فى مواسمها على الكم ولكن أيضًا على الكيف، ولنا فى ذلك وقفة مع شهادة شاهد من أهلها، عميد الأوبرا الإيطالية «ڤيردى» حين كتب فى إحدى رسائله إلى المسئولين عن تقديم رائعته «عايدة» فى إحدى المدن الإيطالية بعد عروضها فى القاهرة، وذلك فى سياق توجيهاته وإرشاداته لتحقيق أحسن أداء ممكن، فقال إنه بالرغم من كل الجهود المبذولة لا يطمع فى الوصول إلى عظمة الإخراج الذى تم فى أوبرا القاهرة ! إلا أن الأمور لم تسر على هذا الوجه طيلة مسيرة الدار، كما قلنا، ونجد فى تاريخها مراحل

متباينة تختلف فيما بينها في درجة الانتظام في الأنشطة التقليدية بما يرجع إلى الجو العام الذى كان يحيط بها ويؤثر عليها بالسلب أو بالإيجاب ، أو للظروف المواتية وغير المواتية التى كانت تعترض مسيرتها !

ولكنها في جميع الحالات ، كانت تترك شيئًا للذكرى مع أشهر المشاهير ، مثل بوتشينى الذى جاء بنفسه لحضور العرض الأول بمصر لأوبراه الجديدة «مدام بترفلاى» فور ظهورها فى إيطاليا . . وسان صانص صديق أوبرا القاهرة ومؤلف كونشيرتو البيانو المشهور «المصرى» والذى جلس يشاهد عرض أوبراه : شمشون ودليلة فى مسرح «الهمبرا» بالإسكندرية . . ومداعباته التى عرف بها ، حين قال لرفيق السهرة ، تعليقًا على جمال البطلة إنه يتمنى إزالة ما تبقى فى رأسه من شعرات ، حتى يبدو مثل شمشون ، فى سبيل «دليلة» مثلها ! وماسكانى صاحب أوبرا «كاڤاليريا روستيكانا» وحفلاته السيمفونية بالمسرح الذى سار فى ظلال أوبرا القاهرة ، منذ العقد الثانى من القرن العشرين : الكورسال . .

وعازف البيانو الفرنسى المخضرم ألفريد كورتو فى زيارتيه للقاهرة - وحتى آرام خاتشادوريان فى حفلاته مع أوركسترا القاهرة السيمفونى بالقاهرة والإسكندرية وبيروت ، مع وعد برحلة تالية مع الأوركسترا إلى أوروبا . . وروسيللينى ، الذى جاء لعرض أوپراه «الأجراس» لأول مرة على خشبة المسرح ، والاضطرار إلى تأجيل الحفل بسبب وفاة الملك محمد الخامس ، وكارل أورف مستمعًا إلى رائعته : كارمينا بورانا بالدار - وكل ذلك إلى جانب أشهر الفرق العريقة فى فنون الباليه والمسرحين الفرنسى والإنجليزى فى صورهما القديمة والحديثة ، والتى أوحت عروضها إلى روادنا من كبار الفنانين ، بالكثير مما زخرت به ليالى الدار وغيرها طوال الثلث الأول من القرن العشرين ، وذلك فى تقاليد مستمرة ومتنامية حتى يومنا هذا ! ثم الشعر الذى فرض وجوده بين ليالى المسرح والموسيقى ، عند تأبين شاعر النيل : حافظ إبراهيم ، وماحدث خلال الحفل من مشاكل ومشاحنات أدت إلى إلغائه . . ثم تقديمه فى اليوم التالى !

وأخيرًا ما عاصرناه من الطرائف ، كتلك السائحة الإنجليزية مسز أيڤور چونز ، التى جاءتنا منذ ثلاثين عامًا فى زيارة «عاطفية» كما قالت ! فلقد كانت قد حضرت مع أمها الممثلة فى فرقة : سيبل ثورندايك ولويس كاسون (زوجها) فى موسمها بدار الأوبرا فى عام ١٩٣٢ . . واقتضت الظروف ، الاستعانة بها فى طفولتها للقيام بدور البديل لصاحبة الدور المتغيبة لعذر طارئ فى إحدى المسرحيات ، وكان ذلك هو أول عهدها بخشبة المسرح! ورجعنا حينذاك إلى الأضابير وحددنا لها يوم العرض بالضبط ، مما جلب لها سعادة كبيرة بزيارة الذكريات !

ثم الفنان العملاق «جويلفى» المشهور بدور «أموناصرو» ملك الأعداء فى أوبرا عايدة سواء فى عروضها بمصر أو خارجها ، والذى زارنا بالمنزل منذ عشر سنوات فى رحلة سياحية إلى القاهرة ، بمناسبة مرور أربعين عامًا على لقائه الأول مع زوجته ، عند اشتراكهما فى الموسم الإيطالى للأوبرا فى عام ١٩٥٤ - وتركا لنا للذكرى صورتين لهما مع الرئيس محمد نجيب ، عندما جاء لتحية الفرقة على خشبة المسرح !

المرحلة الأولى (١٨٦٩ - ١٨٧٧)

كانت المرحلة الأولى فى تاريخ الدار ، كما قلنا ، كلها انتعاش وتألق وشهرة ، رسّخت بها الدار وجودها بين أهم دور الأوبرا فى العواصم والمدن الكبرى بما يرجع إلى ظروف افتتاحها ثم مولد رائعة الروائع «عايدة» فيها . . ثم الانطلاق فى مواسم سنوية لامعة سواء فى حجمها أو فى مستوى الفنانين المشتركين فى عروضها . .

- 1.11. 1869 -14.3 1870 (66 spectacles)

  Cantata - Rigoletto

  II Barbiere di Siviglia - II Trovatore -Ernani - Lucia di Lammermoore - La Traviata - L'Elixir d'Amore- Un Ballo in Maschera - Faust - Semiramide - Crispino - Gisèlle (ballet).

- 3.11.1870 - 31.3. 1871 (85 spectacles)

  La Favorita

  Un Ballo in Maschera - II Barbiere di Siviglia - La Sonnambula - Don Pasquale - Lucrezia Borgia - Rigoletto - Anna Bolena - Lucia di Lammermoore - Don Giovanni - Norma- Cenerentola - Mosé - Faust .

١٧ حفلة للأوبرا الجديدة: عايدة (٢٤ ديسمبر) فى موسم من ٨١ حفلة

- 1.11.1871- 31.3. 1872

  Gli Ugonotti

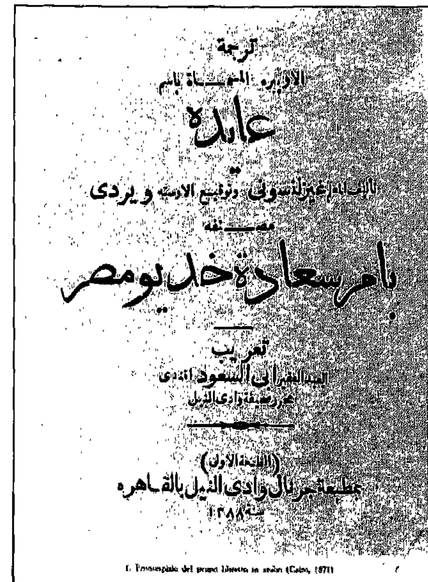
  II Barbiere di Siviglia - La Traviata - II Trovatore - Otello - Rigoletto - Faust - **AIDA** - Crispino - Martha - L'Ebrea - Lucrezia Borgia - William Tell - La Figlia del Regimento.

(أوبرا عطيل هنا ليست بالطبع التى ألفها ڤيردى عام ١٨٨٧).

الأدوار الرئيسية فى العرض الأول :

پوتزونى (عايدة) ـ مونچينى (راداميس) ـ ستيلر (أموناصرو) ـ جروسى (أمنيريس)

قائد الأوركسترا : بوتيزينى



ترجمة
الاوبره المسماة باسم
عايده
ويردى
مصنفه
بامر سعادة خديو مصر
تعريب
العبد الفقير ابى السعود افندى
محرر صحيفة وادى النيل
(الطبعة الاولى)
مطبعة جرنال وادى النيل بالقاهره
سنة ١٢٨٨

I. Frontespizio del primo libretto in arabo (Cairo, 1871)

ترجمة الأوبرا المسماة عايدة



29 Juillet 1870

عقد اتفاق

بين الموقعين أدناه

- المسيو أوجوست ماريت بك عملا ومفوضا عن صاحب السمو اسماعيل باشا ، خديوى مصر ...
طرف أول
- والمسيوجوزيبى ڤيردى ، المؤلف الموسيقى ....
طرف ثان

تم الاتفاق على ما يلى : —

- يتعهد المسيو ڤيردى بتأليف الموسيقى لأوبرا من أربعة فصول بعنوان «عايده» والتى أقر موضوعها (مع تحفظه على إجراء التعديلات التى يراها ضرورية فى بعض التفاصيل) .
- تقدم هذه الأوبرا بالمسرح الخديوى بالقاهرة خلال شهر يناير عام ١٨٧١ .
- يقوم المسيو ڤيردى باختيار الشاعر الذى يتولى مهمة النص الايطالى للأوبرا .
- لا يلتزم المسيو ڤيردى بالذهاب إلى القاهرة لموالاة التدريبات الخاصة بهذا العمل ولكن له الخيار ، متى رأى ذلك ، فى أن يوفد شخصا لقيادة الأداء طبقا لتوجيهاته . .
- للمسيو ڤيردى الحرية فور عرض الأوبرا بالقاهرة فى العمل على عرضها بالمسرح أو المسارح التى يختارها .
- يختار المسيو ڤيردى من بين فرقة الغناء بالمسرح الايطالى بالقاهرة ، من يؤدون الأدوار الخاصة بأوبراه .
- يعتبر النص الشعرى والموسيقى لأوبرا عايده ملكية مطلقة لصاحب السمو الخديوى .
- يحتفظ المسيو ڤيردى بملكية النص الشعرى والموسيقى بالنسبة لدول العالم الأخرى .
- يرسل المسيو ڤيردى إلى القاهرة فى الوقت المناسب أو يسلم إلى مبعوث صاحب السمو فى باريس ، نسخة موزعة أوركستراليا للنص الموسيقى لعايده .
- يتسلم المسيو ڤيردى مقابل هذا العمل مبلغا وقدره مائة وخمسين ألف فرنك .

وتسدد هذه القيمة على دفعتين : خمسون ألف فرنك عند توقيع الاتفاق الحالى — ومائة ألف فرنك عندما يقوم بنفسه أو عن طريقه بتسليم النص الموسيقى لعايده لصاحب السمو .

تحرر من نسختين فى باريس فى ٢٩ يوليو ١٨٧٠ .

يعتمد ،

(أوجوست ماريت)

أوافق على هذا العقد مع التعديلات الآتية : —

١ — يكون الدفع بالعملات الذهبية .

٢ — إن لم يتم عرض الأوبرا خلال شهر يناير ١٨٧١ لأى سبب غير متوقع ، بعيداً عنى وبمعنى أنه لا يرجع لخطأ من جانبى ، فيكون لى الحق فى عرضها فى الخارج بعد مرور ستة شهور .

(جوزيبى ڤيردى)



Giuseppe Verdi

ایده

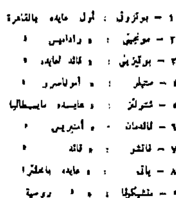
اسمیله مسمی اوپرانك ترجمه سیدر

باارادهٔ حضرت خدیو افخمی

غزلنسونی طرفندن انشا وتنظیم و ویردی
نام موسیقی شناس معرفتیله موزیقه نوطه سنه وضع وتوقیع
اولنه رق
اشبو تیاترو موسملرنده مصر تیاتروخانه سنده بالفعل
اوینادلمشدر

اشبو اوپرا اقلام وقایعده راسخ و چلبی افندیلر معرفتیله ترکچه یه
ترجمه وتحویل
ودفعهٔ اولی وادی النیل مطبعه سنده
طبع وتمثیـــل اولنمشدر
سنهٔ ۱۲۸۸

2. Frontespizio del primo libretto in turco (Cairo, 1871).



١ – بوتزوني : أول عايده بالقاهرة
٢ – مونجيني : « راداميس »
٣ – بوتيزيني : « قائد لعايده »
٤ – ستيلر : « أموناسرو »
٥ – شتولتز : « عايده بايطاليا »
٦ – فالدمان : « أمنيريس »
٧ – فالشر : « قائد »
٨ – باتى : « عايده بانجلترا »
٩ – ستشيكولا : « « روسية

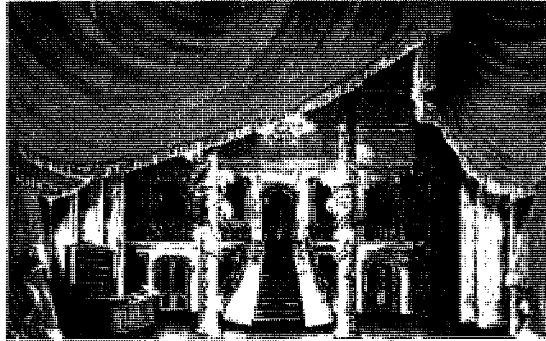
مجموعة ملصقات لعروض عايده في مختلف عهودها ..

ويلاحظ الخطأ في الإعلان الخاص بأوبرا فينا في عام ١٨٧٥ حيث ذكر اسم شتولتز أمام أمنيريس ووالدمان أمام عايده ! والعكس صحيح !

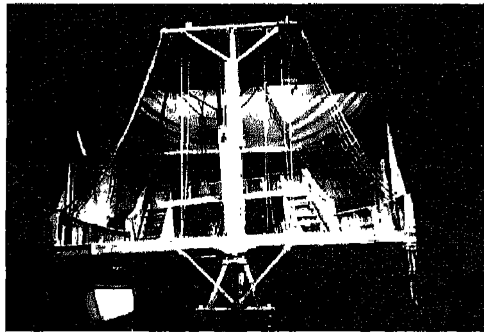
دفتر الموسيقى والخدمات المسرحية في العرض الأول لعايده بالقاهرة

الافتتاح لعروض عايدة

- 2.11.1872- 30.3.1873 (81 spectacles)
  1 Puritan Ernani - Lucia di Lammermoore - Norma - AIDA- gli Ugonotti - Il Barbiere di Siviglia -Robert le Diable - II Trovatore - L'Elixir d'Amore - Ruy Blas - La Forza del Destino. Martha - La Traviata - Don Giovanni .
- 9.11.1873 - 31.3.1874 (76 spectacles)
  La Favorita Crispino- La Forza del Destino - Poliuto - II Barbiere di Siviglia - Un Ballo in Maschera - Faust - Fra Diavolo - L'Ebrea - Lucia di Lammermoore - La Forza del Destino - La Figlia del Regimento - Muta - Rigoletto -Robert le Diable - Ernani - Il Profeta .
- 1.11.1874- 31.3.1875(48 spectacles)
  II Trovatore Lucia di Lammermoore - Norma - II Barbiere di Siviglia - Rigoletto - Robert le Diable - Maria di Rohan - Don Giovanni - La Favorita - Don Pasquale - Ramo d'oro - Norma - Faust - Fra Diavolo - Otello - La Charmeuse - Gli Ugonotti - Lucrezia Borgia - Dinorah .
- 2.11.1875 - 28.3.1876 (84 spectacles)
  L'Ebrea Linda di Chamounix - La Favorita - Norma - Faust - Robert le Diable - Lucia di Lammermoore - La Figlia del Regimento - AIDA - Maria di Rohan - L'Africana(١)
- 2.11.1876 - 29.3.1877 (83 spectacles)
  Otello La Sonnambula - La Traviata - Ernani -Lucrezia Borgia - II Trovatore - Don Giovanni -
  Lucia di Lammermoore - Rigoletto - Faust - Muta



مشهد من أوبرا حلاق أشبيلية فى الموسم الأول للأوبرا الخديوية عام ١٨٦٩ .



سفينة الأفريقية (١٨٧٦)

---

(١) ظلت سفينة الرحالة «فاسكو داجاما» الخاصة بهذه الأوبرا (الأفريقية) بين مقتنيات المخازن بأوبرا القاهرة على حالتها حتى عام ١٩٦٦، كما بقيت الدروع حتى فقدت فى الحريق عام ١٩٧١ .

المرحلة الثانية (١٨٧٧ - ١٨٨٤)

تعثرت الدار فى مسيرتها فى أواخر حكم الخديوى إسماعيل . . ولم تلبث أن توقفت أنشطتها فى عام ١٨٧٧ ! وحتى مديرها «دارنيت بك» ربما تركها قبل رحيل الخديوى بعامين ، حيث نجد الفنان المصور «ليوپولد لاروز» يتولى شئونها الفنية . . وأغلقت الدار أبوابها مع مجيئ توفيق وفى أذياله الاحتلال البريطانى لمصر !

المرحلة الثالثة (١٨٨٤ - ١٩١٤)

فتحت الدار أبوابها ، وبدأ الانتعاش يعود إليها ، ولكن بصورة تدريجية ، إذ قامت عروضها فى معظمها على حفلات الجمعيات والهيئات الخيرية ، والقليل من الفرق الصغيرة الوافدة من إيطاليا وتركيا واليونان . . وشملت الأسماء العربية فى العروض أحمد أفندى أبو خليل القبانى ، وعبده أفندى الحامولى فى موسم من اثنتى عشرة حفلة ، ثم فرقة «بنكليان» التركية ، وبعدها فرقة يوسف خياط - ومن الفرق الأجنبية «بونى وزوكينو» للأوپريت! وفى عام ١٨٨٦ نجد الشيخ سعيد الدسوقى وفرقة إسبانية ، وفى العام التالى الشيخ الدسوقى بدر فى موسمين متتاليين .



ساره برنار

قرداحى :

وقدمت فرقة قرداحى موسمًا ، امتد طوال شهر مارس تقريبًا فى عام ١٨٨٧ ، بعد حفلات موسم فرقة الأوپريت :
Boni & Socchino

ساره برنار : Sarah Bernardt

وكانت أبرز بداية لعودة الفرق الأجنبية فى إطار المواسم التقليدية الكبيرة فرقة ساره برنار ذات التاريخ والعراقة فى المسرح الفرنسى . . وامتد موسمها لمدة شهر من منتصف شهر ديسمبر فى عام ١٨٨٨ إلى منتصف يناير !

كارايانى : Karayani

وكانت الفرقة اليونانية للأوپرا «كارايانى» أول من أعاد مواسم الأوپرا إلى الدار فى سلسلة من الحفلات خلال شهرى مارس وإبريل من عام ١٨٨٩ . ثم عادت إلى الدار حفلات الجمعيات والهيئات الخيرية تتخللها حفلات محدودة لفرق محمود رفقى وعبده الحامولى والشيخ الدسوقى بدر ، ثم حفلين فقط لفرقة الأوپرا الإيطالية «سانتينى» .

اليونورا دوز : E. Duse

وفى أول عام ١٨٩٠ قدمت الفرقة الإنجليزية «فانتوش توماس هولدن» Fantoches Thomas Holden عشر حفلات جاءت بعدها من قمم المسرح العالمى «إليونورا دوز» فى مجموعة من الروائع، شملت مسرحيات : أنطونيو وكليوباترة، فرناندا ، غادة الكاميليا ، فيدورا ، أوديت ، زوجة كلاوديو . .



إليونورا دوز ◄

عودة مواسم الأوبرا :

وفى أول إبريل من عام ١٨٩٠ قدمت فرقة «ديلير» Delaire موسمًا فرنسيًا للأوبرا والأوبريت وكان فيه من الأعمال الإيطالية : عايدة - ترو ڤاتورى - ريجوليتو - حلاق أشبيلية وكارمن لأول مرة . . إلا أن الموسم التقليدى الطويل بدأ فى الخريف ، عندما قدمت فرقة «أولمان» Ulmann & Dupont موسمًا مماثلاً ولكن من سبعين حفلة ، امتدت حتى شهر مارس فى عام ١٨٩١ ثم استؤنف الموسم فى فصل الخريف التالى ، قدمته فرقة «أولمان ولامار» واشتمل على ستين حفلة، ألغيت فى نهايتها خمسة حدادًا على وفاة الخديوى توفيق . .

وبعد انتهاء هذا الموسم ، لا نجد سوى أربع حفلات من المسرح الإنجليزى لفرقة «شارينجتون» أعقبها حفل غناء (ريسيتال) للفنان : ڤيرنوييه (من طبقة القرار : باص) .

موسم أوپرا :

وعادت نفس الفرقة السابقة «أولمان ولامار» Ulmann & Lamare فى موسم الخريف ١٨٩٢ لتقدم موسما من خمس وستين حفلة . . ومن الفرق المسرحية العربية بعد ذلك : سليمان حداد واسكندر فرح وإسماعيل عاصم!

وخلال حفلات الأوپرا فى موسم الربيع ١٨٩٣ قدم حفل (ريسيتال) لعازف البيانو «زيڤادچان» Zevadjian، وآخر لفنانة الغناء «بيرتا كراوس» Bertha Krauss وقد قدمته بالصالة العليا للدار (فوايبه).

وتتابعت بعد ذلك المواسم الفنية الطويلة التى تغلب عليها فنون الأوپريت مع القليل من الأوپرات الإيطالية يتخللها بعض حفلات الأداء المنفرد (ريسيتال) للعازفين مثل «زيڤادچان» وپوليزى (ماندولين) - ٢٨/ ٣/ ١٨٩٤ ، وفى أذيال الموسم كانت تقدم كالعادة بعض حفلات الجمعيات والهيئات المصرية والأجنبية ، كالرفق بالحيوان (هارينجتون بك) وقدامى طلبة الفرير والصفاء الودى والمعارف الأدبية والجمعية الخيرية الإسلامية . . مع استمرار تقديم حفلات الفنانين المحليين من مطربين وفرق - ومن الفرق الوافدة كانت «بنجليان» الأرمنية Bengelian!

هانس فون بيلوف (١٨٣٠ - ١٨٩٤) : Hans Von Bülow

وكانت من الأحداث الفنية خلال تلك الفترة، وفاة الفنان الألماني الكبير بيلوف فى ١٢ من فبراير عام ١٨٩٤، ودفن بالقاهرة - وقد كانت له شهرته الواسعة فى عالم الأوبرا ، ويعتبر من أشهر المتخصصين فى قيادة أوبرات ڤاجنر !

قالوا عنه صاحب الذاكرة النادرة ، الذاكرة الفوتغرافية . . ويقول أحد النقاد إنه استمع إليه فى إحدى السهرات، وهو يعزف جميع مؤلفات : برامس Brahms للبيانو من الذاكرة ! وفى رحلته الأولى إلى أمريكا قاد أيضًا عزف مائة وتسعة وثلاثين حفلة سيمفونية فى أنحاء الولايات المتحدة من الذاكرة ! وفى رحلته الثانية قاد عزف مقطوعات كونشيرتو البيانو الخمسة لبيتهوفن أيضًا من الذاكرة !

وفى أثناء سفره بالقطار من هامبورج إلى برلين راجع وحفظ السيمفونية الأيرلندية للمؤلف «ستانفورد» (١٨٥٤-١٩٢٤) ثم قاد عزفها هناك مع فيلهارمونية برلين، من الذاكرة أيضًا !

وحين ذهب إلى مدينة برايتون لتقديم حفل (ريسيتال) بيانو، فقد ذكّروه بأن اليوم هو عيد ميلاد فنانهم المؤلف : بنيت(١٨١٦-١٨٧٥) فتوجه فى الصباح إلى أحد محلات الموسيقى وحصل على ثلاث مقطوعات لهذا المؤلف ، وقرأها فى أثناء سفره بالقطار ، ثم عزفها من الذاكرة دون سابق معرفة بها .

وفى أول عرض لأوبرا ڤاجنر «تريستان وايزولده» فى ميونيخ فى عام ١٨٦٥ و«مايسترسنجر» فى عام ١٨٦٨ فإنه قادهما أيضًا من الذاكرة ! وكل ذلك فى وقت لم يكن فيه الأداء من الذاكرة من الأمور المألوفة! هذا ولأسباب شخصية عندما تركته زوجته كوزيما ابنة فرانس ليست لترتبط بڤاجنر وتتزوجه ، فإنه ترك أوروبا كلها فيما بعد، وأبحر إلى مصر، حيث عاش فيها ما تبقى من عمره، ومات ودفن فيها! ويبدو أن المرض كان قد حال دون مشاركته فى أنشطة الأوبرا !

المواسم الإيطالية وڤاجنر :

Saison Italienne, Wagner & Gluck (Orfeo)

وفى شهر نوفمبر عام ١٨٩٧ قدمت فرقة چانولى موسمًا شمل الروائع الإيطالية فى ستين حفلة من الأوبرا والأوپريت. . وافتتح الموسم بأوبرا «عطيل» التالية مباشرة لعايدة فى سلسلة مؤلفات «ڤيردى» - ولأهمية الفنان القائم بدور البطولة «كاشمان» أشارت إليه جريدة الأهرام الصادرة حينذاك وقالت : مثلت أمس رواية «أوتيللو» الشهيرة فى الأوبرا الخديوية ، وتولى فيها الممثل «كاشمان» دور «ياغو» المحتال فأجاد فيه إجادة غير مألوفة فى مصر سواء بالإنشاد أو بالرموز - وأجاد ممثل دور «أوتيللو» وممثلة دور قرينته «ديدمونة» إجادة عظيمة وكانت الموسيقى على أتم ما يرام ولذلك صفق الجمهور للجوق تصفيقًا كثيراً - وفى الموسم نفسه بدأ تقديم لوهنجرين وتانهويزر لڤاجنر وأورفيو لجلوك .



مسرح فرنسى إيطالى : Duse & Novelli

وعـادت الفنانة «إليـونورا دوز» فى بعض عـروض المسرح العالمى ومن ورائها فنان المسرح الإيطالى الكبير «نوڤيللى» فى موسم من حفلات محدودة !

ومن الفـرق المصـرية فى تلك الفتـرة : إسكندر فرح وحسن أفندى صفوت (ومحمد أفندى بيومى)، ثم خليل كـامل مع إسكندر فـرح، ومن الفـرق الصـغيـرة الوافـدة «بنجليان» الأرمنية Bengelian .

(ونقرأ فى أمسية ٦ من مـايو عـام ١٨٩٦ اسم مـحـمـد أفندى بيـومى، ليـوحى ذلك بالتـجـارب الرائدة فى فن السينما) .

موسم بداية القرن العشرين :

وكـان مـوسم الانتـقـال بين القـرنين التـاسع عـشـر والعشرين وكـأنه مهرجان لڤيردى وڤاجنر ! فقدمت أوپرا «فولستاف» لڤيردى، والتى كانت قد قدمت للمرة الأولى بإيطاليا فى عام ١٨٩٣ وهو فى الثمانين من عمره !

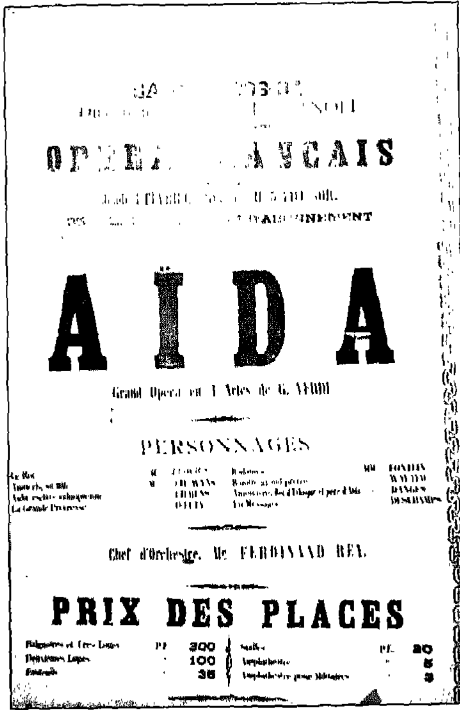
وقد افتتح الموسم لعـام ١٨٩٩ والذى نظمته الجمعية المصـرية للفنون، بأوپرا لوهنجـرين لڤـاجنر ومن بعـدها الفالكوره وتانهـويزر وتريستـان (فى أول عـرض) ـ وتخلل حـفـلات الموسم حـفـل لرباعى «سـارتى» وآخـر لثـلاثى «بارتليمى - ميجل - جوستى» .

وفى موسم الخريف من عام ١٩٠٠ قدمت فرقة الإنجليزى «موريس باندمان» عشر حفلات أوبريت شملت :

سيـجال، كريسـتوفر كـولمبس الصغيـر، فلورادورا، أجراس نيويورك، سان توى، داڤيد جاريك، فتاة الجيشه .

وفـاة ڤيـردى :

وفى الثـانى من إبريل فى عـام ١٩٠١ أقيم بالـدار حفل تأبين للفنان الكبـير : ڤيردى (٨٨سنة) وقـدمت فى الحفل أوپراه «ريجوليتو» التى بدأت صفـحة العلاقات العملية بينه وبين أوپرا القـاهـرة . . وفى هذه المناسـبة أعـدت له الجاليـة الإيطالية بمصر لوحة تذكارية كبيرة حملت فى مسيرة ضخمة .





▲ محمد بيومى (عن مجلة أريف الأرمنية) .

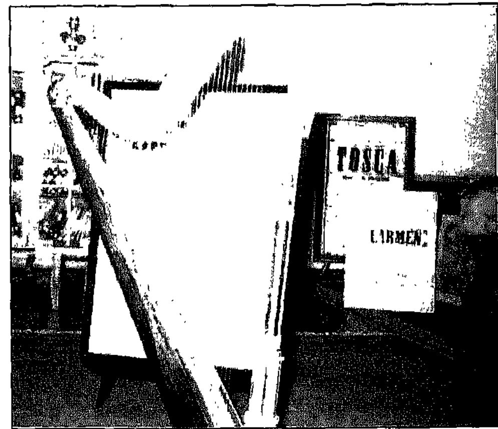
▼ حفل تأبين ڤيردى بالقاهرة .



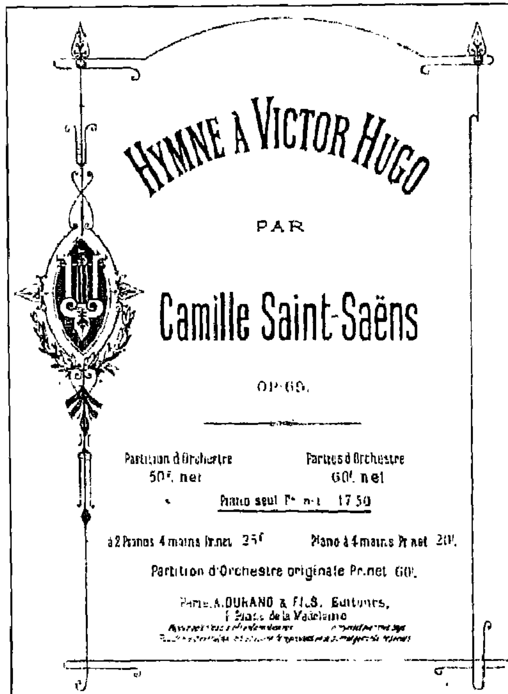
بوتشينى ومرحلة انتعاش :
Puccini: Tosca, La Bohème

ويرجع إلى هذه الفترة فى بداية القرن العشرين تقديم الأوبرا الحديثة «توسكا» لبوتشينى (١٩٠١/١١/٢٦) فى العام التالى مباشرة لتقديمها لأول مرة بإيطاليا . . ثم عرضت «لابوهيم» لنفس المؤلف الذى زار الإسكندرية فى أثناء الموسم فى مناسبة عرض بعض أعماله فى مسرح زيزينيا ، وجاء أيضًا إلى القاهرة لنفس الغرض! وهكذا كان التركيز على الروائع الإيطالية ، واتخذ معها الموسم صورة من الانتعاش أعادت إلى الأذهان مواسم الدار فى عهد الخديوى إسماعيل! ومن نواحى التجديد فى البرامج كان تقديم أوبرا «هينزل وجريتل» من موسيقى : هومبردينك - وكذا أوبرا : إيفيجينيا فى توريد للمؤلف جلوك Humperdinck & Grieg.





ملصقات قديمة بالمتحف وإحدى آلتى هارب «إيرار» من عصر الخديوى



نسخة أهداها إلينا مشكوراً الفنان الفرنسى جان ليمارى مدير الأكاديمية الفرنسية بروما بعد أن عثر عليها لدى حفيدة المؤلف فى أعقاب حديث بيننا عن الموضوع

سان صانص : Saint-Saëns

ومن القمم فى مواسم بداية القرن جاء «كميل سان صانص» الذى قاد حفلاً سيمفونيًا بالأوبرا فى ٢٧ من فبراير عام ١٩٠٣ - وكان قد تصادف عند وجوده بالإسكندرية حلول الذكرى المئوية لمواطنه الشاعر «فيكتور هيجو» فألف لهذه المناسبة نشيداً للكورال وتولى قيادة الأداء فى مسرح الهمبرا (١٩٠٢) - ونظراً للعلاقات الخاصة التى كانت بينه وبين الأمير محمد على (ولى العهد فى عصر الملك فاروق الأول وصاحب قصر المنيل) فقد تكررت زيارته لمصر ، والتى قام خلالها بزيارة إلى الصعيد واستمع هناك إلى بعض الألحان التى تأثر بها فى الكونشيرتو رقم ٥ للبيانو والأوركسترا والمعروف بالمصرى!

مسرح يونانى : Saison Franco-Italienne, Novelli & Théâtre Gréc

وفى عام ١٩٠٣ بدأت عودة الجو الفرنسى للعروض من أوپريت وغيرها مع القليل من الروائع الإيطالية والڤاجنرية ، ووفدت من اليونان فرقة «كريستومانوس» ثم الفرقة الملكية بأثينا فى روائع المسرح اليونانى ، ومن بعدها نوڤيللى من أعلام المسرح الإيطالى .

سيلڤان : Théâtre Français : Silvain

وافتتح موسم الخريف من عام ١٩٠٤ فنان المسرح الفرنسى «سيلڤان» الذى درس عليه فيما بعد رائد المسرح المصرى «چورچ أبيض» - ومن الأعمال التى قدمها : الأب ليبونار ، ولويس الحادى عشر ، وهوراس ، والملك يلهو . . التى قامت عليها أوپرا ريجوليتو ، وجريزيليدس .

سيراتــو : Serrato (violoniste)

وفى السادس من يناير فى عام ١٩٠٥ قدم عازف الڤيولينة الشهير «سيراتو» حفل ريسيتال ثم شارك فى حفل آخر بمناسبة عيد ميلاد الخديوى عباس !

موسم إيطالى : Butterfly & Tristan

وبدأت بعد ذلك حفلات الموسم الإيطالى للأوپرا ، ولم تكن فيه من الروائع غير الإيطالية سوى «تريستان وإزولده» لڤاجنر . . وفى هذا الموسم قدمت للمرة الأولى أوپرا پوتشينى الجديدة مدام «بترفلاى» بعد تقديمها فى إيطاليا فى عام ١٩٠٤ ، وكذا أوپرا «مفيستوفيلى» فى أول عرض لها بمصر ، لمؤلفها الأديب الفنان : بويتو .

وفيما تبقى من حفلات للموسم قدمت بعض مسرحيات فرقتى «نوڤيللى» Novelli و«كوكلان الكبير» Coquelin Aîné فى عشر حفلات لكل منهما . . ثم فرقة كورال ڤيينا .

سالڤينى : Théâtre Italien : Salvini

افتتح موسم الخريف فنان المسرح الإيطالى «سالڤينى» فى عشرين حفلة شملت :
عطيل - هاملت - تارتوف - أوديب الملك - كين - أشباح . .

لامبير : Théâtre Français : Lambert

ثم قدمت فرقة «لامبير» موسمًا مسرحيًا من الروائع الفرنسية شمل من المسرحيات : المغامرة - السيد - أرنانى - حياة بوهيمية - ابنة رولان - روى بلاس .

الجميعة المصرية للفنون : Société Artistique d'Egypte: Wagner, S.Saëns, Mascagni (IRIS)

تولى تنظيم الموسم الجديد لأول مرة جمعية محلية قدمت فيه عروضًا متنوعة تتضمن أكثر من ستين حفلة أوپرا إيطالية ، باستثناء «تانهويزر» لڤاجنر و«شمشون ودليلة» لسان صانص ، ومن الإضافات الجديدة فى الأوپرات كانت «إيريس» المشهورة بنشيد الشمس لماسكانى - واختتمت الحفلات فرقة «بارجى» المسرحية الفرنسية .

وفى موسم الخريف من عام ١٩٠٦ قدمت فرقة «موريس باندمان» الإنجليزية أكثر من عشرة عروض، جاء بعدها موسم فرنسى للأوبرا والأوبريت لفرقة «ماريوس پوسيه» وفيه بعض أوپرات ڤيردى وروسينى . . وفى ٢٢ مارس أقيم حفل تأبين للشاعر «كاردوتشى» وحفل موسيقى للإنجليزية : ڤالدا وايت . واختتم الموسم بثمان حفلات لفرقة «چيرودى» المسرحية الفرنسية .

الأوپرا الخديوية فى معرض ميلانو :

وفى عام ١٩٠٧ أقيم معرض لتقييم مسيرة دور الأوپرا فى العالم ، واشتركت فيه أوپرا القاهرة باللوحة المعروضة الآن فى متحف الدار الجديدة للأوپرا بالقاهرة ، وتشمل صورة فوتغرافية للمبنى وبيان تفاصيل المواسم منذ الافتتاح فى عام ١٨٦٩ ، إلا أن المدير أخطأ فى تسجيل تاريخ الافتتاح عندما كتب فى اللوحة أن الدار افتتحت فى عام ١٨٦٤ ! ولو أراد هذا المدير «كليمنته» الدفاع عن نفسه لقال إن أوپرا ڤيينا نفسها أخطأت أيضًا فى عام ١٨٧٤ عند عرض أوپرا عايدة بها لأول مرة ، فوضعت فى الملصقات اسم المتزوسوپرانو «ماريا ڤالدمان» أمام دور عايدة ، والسوپرانو «تيريزا ستولتز» أمام اسم أمنيريس [1] !

ولكننا نعود فنجد أنه أخطأ أيضًا فى عدد من الأوپرات التى شملها الموسم الأول للدار ! فأضاف من عنده أوپرا «لافاڤوريتا» وأوپرا «إلديزيرتو» اللتين لم تقدما فى الموسم بالقاهرة طبقًا لما جاء فى سجلات الدار !



◄ لوحة برامج الأوپرا منذ افتتاحها وحتى سنة ١٩٠٧ بمناسبة معرض ميلانو وتحقيق حديث للمعلومة بمتحف الأوپرا.

(١) انظر كتاب «عايدة ومائة شمعة» للمؤلف . . ضمن ملزمة الصور فى ختام الكتاب والخاصة بالعروض الأولى لهذه الأوپرا ، وفيها الملاحظات التى لم تنتبه إليها أوپرا ڤيينا ومسجلة فى كتابها التذكارى لمؤرخهم الكبير : مارسيل پراڤى .

موسم أوبرا فرنسى ودون چوان : Saison Française & Don Juan

وفى خريف العام التالى (١٩٠٧) عادت فرقة «ماريوس پوسيه» لتقديم موسم فرنسى للأوبرا والأوپريت من ستين حفلة ، وفيها من الأوپرات الإيطالية : عايدة ، كاڤاليريا روستيكانا ، ثم لوهنجرين لڤاجنر ، ودون چوان لموزار .

مارزيك (١٨٤٨ - ١٩٢٤) : Marsick

وفى الأول من مارس فى عام ١٩٠٨ قدمت جمعية القاهرة للموسيقى حفل ريستال ڤيولينه للمؤلف والعازف البلجيكى «يوزيف مارزيك» .

وفى آخر موسم الربيع قدمت فرقة «موريس باندمان» الإنجليزية موسما من اثنتى عشرة حفلة ، افتتحتها بمسرحية : جدران أريحا[1] The Walls of Jericho.

[وإلى هذه الفترة ترجع بداية المعاناة فى الحياة الفنية بالإسكندرية عندما ألمت بها نكسة اختفاء مسرحى زيزينيا وعباس فى أوقات متقاربة ، أولهما لأسباب اقتصادية والثانى بسبب الحريق] .

موسم إيطالى للأوبرا : Saison Italienne (Don Giovanni, Thaïs, Meistersinger)

وفى آخر شهر نوفمبر فى عام ١٩٠٨ بدأ موسم فرقة «براكال»[2] الذى امتد حتى منتصف شهر مارس فى ستين حفلة من الأوپرات الإيطالية ، مع إعادة لأوپرا موزار «دون چوڤانى» و«تاييس» لماسنيه و «مايستر سنجر» لڤاجنر وثلاث حفلات سيمفونية .

وهنا تفرض علينا ظروف الاحتفالات بالقاهرة بذكرى مرور قرنين على العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا ، وعرض «تاييس» فى تلك المناسبة ، أن نتوقف أمام الذكريات والقراءات عن عرضها الأول بالأوپرا الخديوية (١٩/ ١٢/ ١٩٠٨) حين أحيطت فى ذلك الوقت البعيد من بدايات القرن العشرين ، بإطار من الأوپرات المتوارثة بالدار المصرية ، وفيها التفضيل لمسرح الحركة والإبهار ، بينما يبدو ملحنها وكأنه قد جاء بها من عالم أثيرى ، حيث التاريخ الزاخر بالأساطير فى الإسكندرية الرومانية . .

---

(١) أريحا : من أقدم وأقوى مدن التاريخ القديم ، وتقع تحت سطح الماء بـ ٢٠ مترًا ، وقد بنيت وانهدمت عشرين مرة ، وقديمًا حاصرها اليهود وراحوا يدقون الطبول حتى سقطت جدرانها من الطبل والزمر والحجارة التى تلقى عليها ! ويقال إن الأمطار الغزيرة هى التى أسقطت جدرانها المصنوعة من الطين ، ولعنها اليهود وقالوا : ملعون من يبنى أريحا . . وهاجمها الهكسوس القادمون إلى مصر وهدموها . . واستولى عليها الصليبيون فى سنة ١٠٩٩ وأقام فيها الملك ريمون الرابع ، ثم استولى عليها الجنرال «اللنبى» وعزلها حتى استقلت تمامًا عن المملكة العثمانية . . وجاءت هيئات أثرية سنة ١٩٣٥ وكشفت الكثير من المعالم الإسلامية تحت أرضها ، وأهمها قصر الخليفة الأموى هشام بن الوليد عام ٧٢٤م (الأهرام - مواقف - أنيس منصور) .

(٢) صاحب تجربة تقديم أوپرا «عايدة» فى الهواء الطلق أمام هرم خوفو ، والتى نقل إلينا مشكورًا ولأول مرة فى الصحافة العربية ، الكاتب محمد سلماوى (الأهرام فى ١٩ / ١٠ / ١٩٩٨) ما جاء عنها بقلم الناقد الذى شاهد العرض : چان لوى ريز فى مجلة «موزيكا» الفرنسية فى عددها الصادر فى مايو ١٩١٢ ، وكيف أن أحجار الهرم الأكبر لم تكن فقط تعكس أصوات المنشدين ، وإنما كانت تضخمها وتحيطها بصدى صوت طبيعى حتى بدت وكأنها كورال هوائى يتعدى تأثيره حدود الوصف . .

ويبدو أن إبعاد الخديوى عباس حلمى عن العرش ثم نشوب الحرب العالمية الأولى حال دون تكرار التجربة !

وكأن كاتب القصة «أناتول فرانس» كان قد صاغها فى تلك الصورة الأدبية الشاعرية ، وفى ذهنه شخصية الملحن المتميز بالرقة والرومانسية ، والعذوبة فى التأملات بإيقاعاتها البطيئة الهادئة شأن الكثير من الأوپرات الفرنسية ، وكأنه شوپان الأوپرا : چول ماسنيه !

ولقد ظلت بالفعل فى أعين الناس عند عرضها بالقاهرة، كشعر وخيال . . فلم تحظ مثلاً بما كان لأوپرا «كارمن» أو «الإفريقية» من جاذبية استهوت الفنان المصرى فيما بعد ، فنقلهما إلى اللغة العربية فى محاولاته المبكرة لاستحداث المسرح الغنائى ، بين يدى سلامة حجازى ومنيرة المهدية!

فالعمل الفنى فى أوپرا «تاييس» بموضوعه ومعانيه النبيلة وإيحاءاته الإنسانية السامية ، كان يستهوى الصفوة ولا يحظى كثيراً بالاستجابة الجماهيرية ، الأمر الذى أدى إلى غياب هذه الأوپرا منذ ظهورها الأول بالقاهرة ، عشرين عامًا تقريبًا عادت بعدها على خشبة مسرح جديد، هو الكورسال ، حيث أتيحت فرصة أخرى لمن يتأمل مواطن الجمال فيها ويطلق العنان لخياله معها ، فتحققت الاستجابة لها وامتدت عروضها فى حفل إضافى فى ختام الموسم ! وكانت أحداث القصة قد جرت فى جو بعيد عن المألوف من الأوپرات المبهرة : مع الراهب فى أجوائه الدينية ، ينتشل الغانية الغارقة فى ملذاتها الدنيوية . . وتستجيب لنداء الفضيلة، بينما يعاوده بعد حين عواء الغريزة . . فيهرع إليها بين جدران الرهبنة ليجدها على مشارف الموت ، وتسلم الروح بين يديه تائبة طاهرة !

وبالعودة إلى مسيرة المواسم نقرأ اسم سلامة حجازى فى العشرين من مارس سنة ١٩٠٩ ، حين أحيا حفلة الجمعية المارونية الخيرية .

موسم إيطالى ڤاجنرى : Saison Italienne (Wagner: Rheingold - Moussorgsky: Boris)

وعادت فرقة «براكال» لإحياء موسم الخريف من الروائع الإيطالية فى موسم طويل من أربع وستين حفلة بدأت فى ٢٧ من نوفمبر عام ١٩٠٩ ،واتخذ فى بدايته شكل المظاهرة الڤاجنرية ، فتم افتتاحه بأوپرا «ذهب الراين» فى أول عرض لها بمصر ، وفى ثلاث حفلات متتالية، ومعها فى الموسم أوپرا «الفالكوره». وربما كانت وراء ذلك رغبة خديوية ذات ميول ألمانية، انتهت بصاحبها عباس حلمى إلى النفى والخلع من حكم مصر. وكان من الجديد أيضًا فى الموسم تقديم أوپرا : بوريس جودونوف» لموسورجسكى (١٧/ ٢/ ١٩١٠) .

هذا وقد ألغى حفل ٢٢ من فبراير بمناسبة اغتيال بطرس غالى باشا .

سان صانص : Saint-Saëns

وكان قد تخلل موسم الأوپرا الحفل السيمفونى بقيادة كميل سان صانص فى ١٣ من فبراير .

هوبرمان : Huberman

وفى ٢٣ فبراير ، قدم حفل ريسيتال للعازف «هوبرمان» .

چورج أبيض :

وفى ٧ من إبريل عام ١٩١٠ قدم چورج أبيض أول مواسمه المسرحية بعد عودته من الدراسة فى فرنسا على يد الفنان الكبير «سيلڤان» فقدم مسرحيات : شارل السابع ، لويس الحادى عشر ، تارتوف ، هوراس وأندروماك ، وكان الأداء باللغة الفرنسية!



أوپرا تاييس

موسم إيطالى للأوبرا :

Saison Italienne (Verdi: Don Carlos-R.Strauss: Salomé)

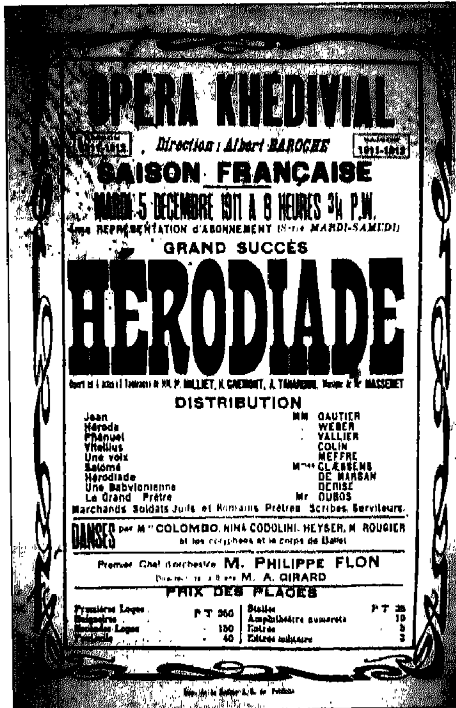
وفى موسم الخريف من عام ١٩١٠ عادت فرقة «براكال» لتقديم موسمها الطويل من ستين حفلة ، قدمت فيها رائعة ڤيردى «دون كارلوس» لأول مرة بمصر ، بينما كانت قد عرضت لأول مرة قبل ذلك فى عام ١٨٦٨ ، أى بعد أكثر من ثلاثين عامًا على تأليفها ، وعلى غير المألوف مع أعمال ڤيردى بالذات ، وربما يرجع ذلك إلى أنها كانت قد فشلت فى عرضها الأول بباريس ، حينما استحدث فيها المؤلف إعطاء الدور الرئيسى للمغنى من طبقة القرار (باص) على غرار معظم الروائع الروسية ، والتى لابد وأنه كان قد استمع إليها وتأثر بها من خلال زيارته لروسيا . .

هذا ، وقد شهد الموسم أيضًا إضافة جديدة هى «سالومى» لريتشارد شتراوس بعد تقديمها فى ألمانيا بخمس سنوات .

* ومن الأحداث العامة فى تلك الفترة ، ما يرويه لنا المؤرخ د. يونان لبيب رزق فى صفحته الأسبوعية بالأهرام ، عن افتتاح المؤتمر الدولى الرابع لتحسين حال العميان بدار الأوبرا فى ٢٠/ ٢/ ١٩١١ ، لمواجهة ظاهرة منتشرة فى المجتمع ، مما دعانا للبحث وراء ذلك ، حيث وجدنا فى إحصاءات وزارة المالية لعام ١٩١٧ ، أن عدد فاقدى البصر فى قريتنا وحدها (كفر محمد إسماعيل) هو ١٣ من الذكور و١٩ من الإناث . . ومن فاقدى إحدى عينيه ٧٠ من الذكور و٥٤ من الإناث ، وذلك من جملة السكان : ٢٥٨٧ (١٢٥٤ ذكور و ١٣٣٣ إناث)

وتبينا من ذلك سر البائع المتجول الذى شهدناه فى مراحل الطفولة مناديًا على بضاعته للشفاء : إزازة قطرة من باير!





موسم إيطالى للأوبرا :

Saison Italienne (Quo Vadis.. Don Quichotte)

قدمت الموسم فرقة «براكال » وامتد من أول ديسمبر فى عام ١٩١١ إلى شهر مارس فى ستين حفلة قدمت فيها إلى جانب الروائع الإيطالية «كوڤاديس» ومن الأعمال الفرنسية «دون كيشوت» لماسنيه!

سان صانص: Saint-Saëns

وقد عاد صاحب الروائع الأوبرالية والسيمفونية «كميل سان صانص» كى يقدم حفلا سيمفونيا بقيادته ومن مؤلفاته فى ٢٨ / ٢ / ١٩١٢ .

چورج أبيض:

وفى نهاية موسم الأوبرا كانت البداية اللامعة لعملاق المسرح المصرى چورج أبيض(١)، فى فرقته من المواطنين مع الأداء لأول مرة باللغة العربية ، وامتد موسم حفلاته من ٢١ مارس ١٩١٢ إلى ٢٠ من إبريل ، وشمل البرنامج مسرحيات : لويس الحادى عشر ، أوديب ملكًا ، عطيل .

سيجفريد: Saison Italo- Française (Wagner: Siegfried)

وفى خريف ١٩١٢ بدأ الموسم السنوى للأوبرا فى ستين حفلة تجمع بين الروائع الإيطالية والفرنسية وكان فيها من الجديد أوبرا «سيجفريد» لڤاجنر فى أول عرض لها بمصر !

مسرح الكورسال: Théâtre Kursaal (Mascagni, La Rotella..)

وفى ٦ من فبراير عام ١٩١٣ افتتح مسرح الكورسال الكبير (شارع عماد الدين مع شارع الألفى)(٢) أقامه الإيطالى «دالبانى» الذى جاء من الإسكندرية بعد قيامه بأنشطة متعددة فيها ، وفى أواخر الأربعينيات كان ما زال هناك من آثاره فى ميدان الرمل مسرح الشانزليزيه .

وكان قد انتقل إلى القاهرة بعد أن خسر كل شىء هناك إلا الشرف كما يقول !

وفى القاهرة شملت مشروعاته إقامة مسرح «الأمباسادور» ثم «الكورسال» الذى كان يحتوى أكثر من ثمانمائة مقعد ، اتخذت مع المقصورات شكلاً مماثلاً لمسرح محمد على (سيد درويش) بالإسكندرية .



قائد الأوركسترا پاسكوالى لاروتيلا — المؤلف إرميتى زاكونى

وقد شهد هذا المسرح من حفلات «ماسكانى» أكثر مما شهدت أوبرا القاهرة حين كان يقود أوبراته وبرامجه من الموسيقى السيمفونية ! وكان هناك من قادة الأوركسترا «لاروتيلا» مؤلف أوبرا «فازما» التى قدمها فى أول عرض لها بدار الأوبرا .

ومن مشاهير الفنانين كانت هناك أيضًا عروض راقصة الباليه المشهورة : أنا پاڤلوڤا ، ومن الفرق المسرحية زاكونى وكوكلان وغيرهما كالفنانة : كاپسيس مرسيدس !

---

(١) أصدرت ابنته الوحيدة «سعاد أبيض» كتابين عن والدها الرائد الكبير ، بعنوان :

* چورج أبيض : المسرح المصرى فى مائة عام - إصدار دار المعارف عام ١٩٧٠ .

* چورج أبيض : أيام لن يسدل عليها الستار - إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب - عام ١٩٩١ .

(٢) يشغل المبنى الآن فى جزئه الرئيسى متجر كبير (عدس) .


Celle qui pesa si peu sur la terre...

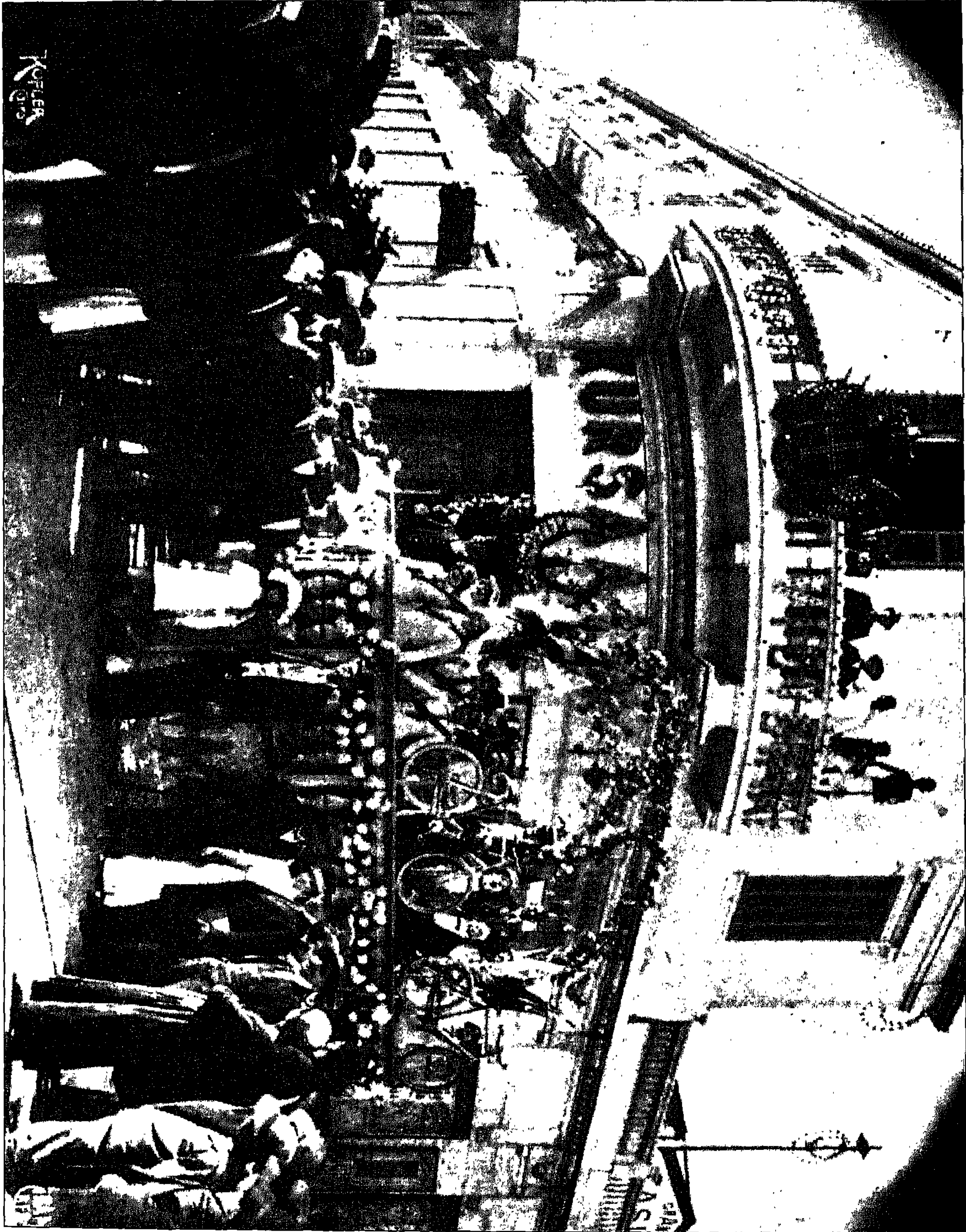
Cette photo garde intacte la grâce si expressive d'**Anna Pavlova** qui fut la plus grande danseuse classique de notre temps et dont le souvenir est encore vivant chez les Alexandrins.

على خشبة المسرح
◄ الراقصة باڤلوڤا


◄ مرسيدس كاپسيس .


▼ زاكونى


◄ واجهة مسرح الكورسال



مسرح الكورسال من الخارج



◄ الجمهور بمسرح الكورسال



باڤلوڤا ◄

چورچ أبيض والأوپرات :

وفى موسم الربيع من عام ١٩١٣ شارك چورچ أبيض فى تجارب جديدة استحدث فيها نقل الأوپرات العالمية إلى اللغة العربية ، فقدم موسمًا من عشرين حفلة تقريبًا شملت عايدة والإفريقية .

آخر المواسم قبل الحرب : Saison Italo-Française (Wagner-R.Strauss: Salomé)

وكان موسم الخريف من عام ١٩١٣ هو آخر مواسم الأوپرا قبل الحرب العالمية الأولى ، قدمت فيه فرقة «باروش» ستين حفلة من الأعمال الإيطالية والفرنسية ، ومن روائع ڤاجنر تريستان وايز ولده وتانهويزر وسالومى لريتشارد شتراوس . وامتد الموسم حتى ربيع العام التالى ١٩١٤ ، وتخلل الموسم حفل لفرقة كورال برلين (٤/ ٣/ ١٩١٤)- وبعد انتهاء الموسم تبادلت الحفلات فرقتا چورچ أبيض وعكاشة !

المرحــــلة الرابعــة (١٩١٤ - ١٩١٩)

وتوقف وفود فرق الأوبرا من أوروبا طوال فترة الحرب العالمية الأولى، واقتصر نشاط الدار على الجهود المحلية من مسرحيات وحفلات للجمعيات والهيئات والنوادى، وفرق الترفيه عن المحاربين كفرقة «عاداه ريف» للمسرحيات الغنائية - وكذا فرق الهواة للأجانب المقيمين، وكان بعضها مستقراً منتظماً فى تقديم الأوپريتات الإنجليزية كجمعية القاهرة لهواة المسرح والموسيقى . .

چورج أبيض وسلامة حجازى :

وفى خريف عام ١٩١٤ قدمت حفلات چورج أبيض مع سلامة حجازى وفيها مسرحية صلاح الدين، وأوبرا «الإفريقية» لمايربير ! واستأنفت عروضها فى العام التالى . .

وقد اقتصر موسم الخريف من عام ١٩١٥ على حفلات الجمعيات والهيئات وكانت تحييها أحيانا، كما قلنا، فرقة «چورج أبيض وسلامة حجازى» . . وكذا فرق الهواة والتى قدمت إحداها أوپرا : فتاة الكتيبة [١] واستمرت هذه الحفلات حتى موسم الربيع من عام ١٩١٦ الذى شاركت فى بعض حفلاته فرقة عكاشة !

حفل الجمعية الخيرية
«كاريتاس» ١٩١٦
لقطات من جـو الأوپرا إبان
الحـرب العـالميـة الأولى





صورة ريفية من شبرا البلد (فى بطاقة البرنامج)

(١) La Fille du Régiment



فتاة (بريشة A. Cásonato)



بامبا (بريشة M.B.)

صفحات في برنامج الحفل (تابع)

HANNO PRESTATO IL LORO GENTILE CONCORSO:

Per l'organizzazione: *Contessa Yvonne Semi, Signore Edith Cohen, Linda Gallico, Rita Sciarrino, Camelia Tonin, Conte Semi R° Console d'Italia, Bar. Morana, Ing. Patricolo, Avv. Cav. Rossetti, Signori P. Parvis, N. Jacovelli, A. Beer, C. Cases, G. Coronel.* — — — — —

Per la direzione artistica: *Prof. T. Perillo, Co. Semi, Bar. Morana, Ing. Patricolo, Avv. Tornano, Sig. Mansour Ganem.* — — —

Per la decorazione: *Sig. Enrico Mistri.* — — —

Per l'orchestra: *M. E. Bonomi, Sig. M. Pilogalli.* —

Per il canto: *Signore Paola Bardone, Mary Parvis, Cav. E. Ventura, Sig. N. C. Papanicola.*

Pei quadri: *Prof. T. Perillo, Contessa Yvonne Semi, Sig.re Edith Cattani, Adele Commnos, Camelia Tonin; Signorine Andreina Dialobos, Germana Dialobos, Marcella Bonsenstein, Vittorina Bonsenstein, Yvonne Curiel, Mary Curiel, Gilberta De Lancker, Elisabetta Garozzo, Rita Garozzo, Elena Giordano, Gemma Hassan, Dora Hess, Rebecca Karman, Edmea Liberman, Lidia Liberman, Fanny Marchettini, Jolanda Monasco, Margherita Monasco, Elena Parvis, Ida Rotenberg, Nadja Sanguinetti, Lina Tonin; Signori Dott. Guido Coli Bizzarini, Nicola Colucci, Alfredo D'Elia, Marcello Tonin.* — — — — — — — — — —

Per il balletto: *Signore Iris Cattani, Edith Cohen, Nelly Ades; Signorine Edmea e Lidya Chaloms, Yvonne Curiel, Henriette e Marie Economopoulo, Eveline e Marcelle Sakakini, Henriette Toledano, Signori Max Rabiou, Jull's.* — —

Per le scene napoletane: *Cav. Serra-Caracciolo M. U. Valentino.* —

Soliste: Signorine Maria Hache, T. Luri-Mazzolini, Letizia Palladino, A. Caneri, M. Casimiri. — — — —

Solisti: Sig. Parisi Guglielmo, tenore; Sig. Cancellario, baritono, 34 Coristi, popolo. — — — — — — — —

Estudiantina Italiana: sotto la presidenza dei Signori E. Tonelli e M. U. A. Ruzler. — — — — —

Per l'albo ricordo: *Prof. Amelia Casonato, Signorina M. B., Prof. T. Perilla, Sig. L. Fiorillo, Sig. L. Rosi, gli alunni delle scuole italiane.*

SVOLGIMENTO DEL PROGRAMMA

PARTE PRIMA

I. FORONI . Ouverture in Do Minore . . . . . Orchestra

II. VERDI . . Don Carlos. . Aria Filippo. . Sig. N.C Papanicola

III. CILEA . . . Adriana Lecouvreur { Romanza Atto I / Romanza Atto IV } Signora Mary Parvis

IV. A. LONGO. Quintetto per Pianoforte e Archi
Prof. VALENTINO, ISAIA, CACCAMO, BACCHETTA e ROMEO

V. QUADRO . La Primavera . . . . (vedi pag. 8)

PARTE SECONDA

VI. E. ISAIA . . . . Minuetto Moderno . . . Orchestra

VII. QUADRO. . . . . . Trento e Trieste! . . (vedi pag. 9)

VIII. PUCCINI . . . . . Madame Butterfly -- Duetto Atto I
Signora Mary Parvis — Cav. E. Ventura

IX. QUADRO . . . . . . Il Fregio delle Muse . (vedi pag. 9)

X. PUCCINI . . . . . . Manon Lescaut. . . Duetto Atto II
Signora G. Bardone — Cav. E. Ventura

XI PIEDIGROTTA . . . Scene Napoletane. . . . (vedi pag. 11)
Canzonette e cori con mandolini e chitarre

PARTE TERZA

XII. PUCCINI. . . . . . Manon Lescaut . . . . Intermezzo

XIII. id. . . . . . id. . . . . Atto Quarto
Signora G. Bardone – Cav. E. Ventura

XIV. QUADRO. . . . . . Ultima Visione. . . . . (vedi pag. 8)

XV. MASSENET . . . . Thaïs. . . Meditazione per Violino

XVI. CATALANI . . . . Loreley . Danza delle Ondine (v. pag. 5)

XVII. QUADRO. . . . . . La Vittoria della Civiltà . (vedi pag. 7)

Maestri Direttori d'Orchestra: E. BONOMI — U. VALENTINO

وكان موسم الخريف امتداداً لنفس الوضع ، مع إضافة العنصر العسكرى فى مجال حفلات الترفيه عن قوات الاحتلال الإنجليزى ،وأضافت فرقة چورج أبيض إلى أعمالها : مكبث ، الملك يلهو ، الماريونت ، مدام سان چين ، بينما قدمت فرقة سلامة حجازى آخر مواسمها حيث كانت وفاته فى ٤/ ١٠/ ١٩١٧ ، وشمل الموسم من أعماله : غرائب الأسرار ، شيخ العائلات ، اليتيمتان ، وقدمت فرقة أولاد عكاشة بعض حفلاتها ، وأقام نادى سپورتنج الجزيرة أكثر من حفلة .

المسرح الغنائى العربى :

وفى موسم الخريف ، نجد من الفرق الجديدة عبد الرحمن فوزى وعبد الرحمن رشدى ، ومسرحيات غنائية منها : «توسكا» و «حلاق إشبيلية» كما نقرأ عن فرقة «المنيرة» تقدم أوپرا «كارمن» ولا يتضح إن كانت الفرقة مصرية لمنيرة المهدية أم فرنسية تنتمى للمعهد الفرنسى بالمنيرة !

وبوجه عام يمكن القول أن هذه الفترة شهدت أكثر من غيرها أولى تجارب المسرح الغنائى المصرى ، ومهدت الطريق إلى قمة ظهرت فى سماء الإسكندرية ، عندما استحدث الفنان الشاب سيد درويش روائعه من الأوپريت والتى انتقل بها خلال ربع قرن من عالم الطرب إلى عالم المسرح الغنائى .

وماعدا ذلك فقد استمرت حفلات الجمعيات والهيئات المصرية والأجنبية : الجمعية الخيرية الإسلامية والمواساة وفيلودراماتيكا الإيطالية ، مع بعض الأوپرات لما سنيه قدمتها فرق الهواة الأجانب .

نوڤيللى : Théâtre Italien (Novelli)

وكانت فرقة نوڤيللى المسرحية الإيطالية من الفرق الوافدة التى اعتادت تقديم مواسمها بدار الأوپرا ، ولكن الحفلات لم تكن منتظمة فى موسم محدد المعالم ، بل كانت متناثرة وكأنها مجرد تجارب واختبارات للجو العام فى أذيال الحرب العالمية ! وقدم هذا الفنان موسمه بعد ذلك فى أول عام ١٩١٩ فى سياق حفلات مماثلة لفرق أخرى كتلك التى شارك فى تنظيمها الإيطالى المقيم بمصر «دالبانى» صاحب مسرح الكورسال مع الإنجليزى «موريس باندمان» الذى سبق له تقديم بعض المواسم بالدار ، وذلك مع استمرار حفلات الفرق المحلية بالدار مثل چورج أبيض فى مسرحياته وعبد الرحمن رشدى فى حلاق إشبيلية وكذا فرقة عكاشة .



المرحـــــلة الخامسة (١٩١٩ - ١٩٣٠)

Saison Lyrique Italienne... opéra, opérette, ballet, concerts, recital (Serrato) - 1919
Catalani: Loreley-Mascagni: Isabo-Ponchielli: Gioconda-Puccini: Fanciulla del West]

وبانتهـاء سنـوات الحـرب وتوابعـهـا ، بدأت بدار الأوبرا سلسلة من القـمم فى مـواسم سنوية طويلة بدأ أولها فى منتصف شهر ديسمبر عام ١٩١٩ ، وقدمت فيه فـرقـة «دلفـينو لنيـانى» روائع الأوبرات والأوبريت والباليه فى ثمانين حفلة وثلاث حفلات سيمفونية وحفلتين لعـازف الفيـولينة «سيراتو» ، الذى سبق له تقديم حفلاته بالدار فى عام ١٩٠٥ .

ومن الأعمال الجديدة فى الموسم أوبرات : لوريلاى لكتـلانى ، وإيزابو لماسكانى ، وچوكندا لپـونكيللى ، وفتاة الغرب لپوتشينى ، والتى كانت قد قُدمت بإيطاليا للمرة الأولى فى عام ١٩١٠ ! وبعد انتهاء الموسم جاءت سلسلة حفلات الجمعيات والنوادى ومنها نـادى اليهود الأشكناز المسـرحى والمواسـاة وسـپـورتنـج الجـزيرة والنادى الأهلى ، والمكفوفين بالزيتون .





طلعت باشا حرب :

وفـى اليـوم الأول من شـهـر مـايو عـام ١٩٢٠ شـهـدت دار الأوبرا حـدثا يهمُّ مـصـر كلهـا ، وهو انعـقاد مـؤتمر خـاص عن إنشاء بنك مصـر ، والذى أضـاف به طلعت حـرب إلى إنجازاته الاقـتـصـادية العملاقة فى البلاد إقامة مسرح الأزبكية ثم ستوديو مصر ، إيمانًا منه بدور الفن فى صنع البشر .

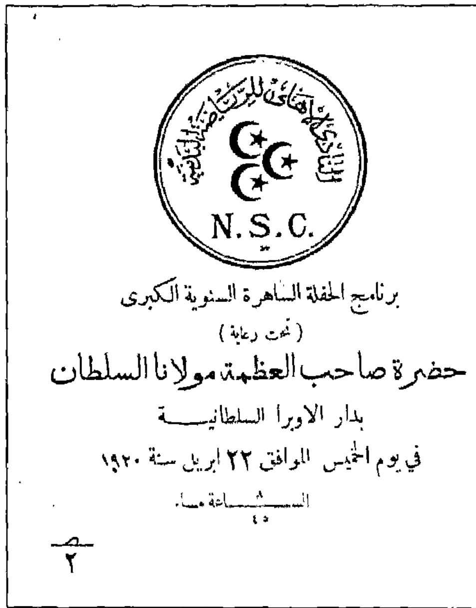
أكبر المواسم :

Grande Saison Lyrique (95 spectacles: opéras italiens, français & allemands-nov. Francesca da Rimini) 1920

وفى شهر ديسمبر عام ١٩٢٠ ، بدأت عروض الأوبرا الإيطالية والفرنسية والألمانية فى خمس وتسعين حفلة ، مما يعتبر رقمًا قياسيًا منذ افتتاح الدار فى عام ١٨٦٩ - ومن الجديد فى الموسم كان : فرانشيسكا داريمينى للمؤلف زاندوناى ؛ وامتد الموسم حتى ٢٢ مارس عام ١٩٢١ .

وبعد انتهاء الموسم قدمت كالعادة بعض حفلات الجمعيات والهيئات وشملت حفلا لإحياء ذكرى «دانتى» وتحدث فيه عضو مجلس الشيوخ الإيطالى «ماتسونى» نظرا لأهمية أديب إيطاليا الكبير صاحب «الكوميديا الإلهية» وأحد الثلاثة الكبار فى تاريخ الأدب بإيطاليا . .

وفى هذه الفترة بدأت حفلات نادى الموسيقى الشرقية .



N.S.C.

برنامج الحفلة الساهرة السنوية الكبرى

(تحت رعاية)

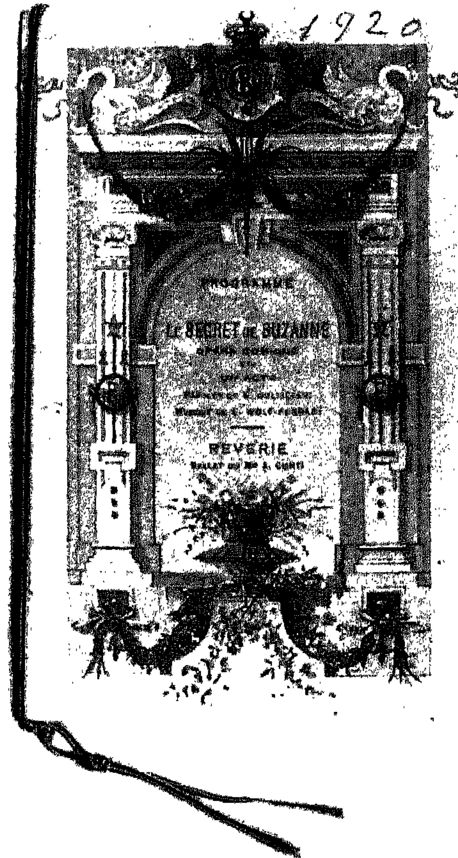
حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان

بدار الاوبرا السلطانيـــــة

في يوم الخميس الموافق ٢٢ ابريل سنة ١٩٢٠

الســـــاعة مساء

ص
٢





معطف (كيمونو) الميكادو ◄

موسم أوبرا: IIe Grande Saison Lyrique 1921 (Massenet: Hérodiade)

وعلى غرار الموسم السابق ، بدأ فى الخامس من ديسمبر عام ١٩٢١ موسم طويل للأوبرات الإيطالية والفرنسية والألمانية والأوبريت (قصص هوفمان). وذلك فى أكثر من تسعين حفلة بدأت بأوبرا ماسنيه «هيروديادا» .

أوبريت الميكادو : Sullivan & Gilbert : The Mikado, opérette

وبعد انتهاء الموسم قدمت جمعية القاهرة لهواة المسرح والموسيقى الإنجليزية المحلية خمس حفلات لأوبريت «الميكادو» لساليڤان ، ثم قدمت الجمعيات بعض الحفلات ومنها نادى الموسيقى الشرقية . .

موسم كبير للأوبرا: IIIe Grande Saison Lyrique (90 spectacles d'opéras italiens, français & allemands-nov: Boito: Mefistofele)

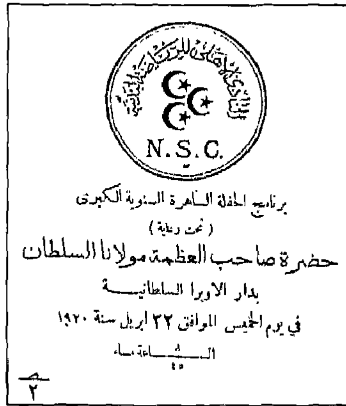
وجاءت فرقة الإيطالى : كوارانتا لإحياء الموسم التالى فى ديسمبر عام ١٩٢٢ وفى تسعين حفلة تقريبًا ، شملت أيضًا الروائع الإيطالية والفرنسية والألمانية ، وكانت أوبرا الإفتتاح فى الموسم هى «مفيستوفيلى» .

أوبريت بحارة الجندول : Sullivan & Gilbert: The Gondoliers Opérette

وبعد انتهاء الموسم ، قدمت جمعية القاهرة لهواة المسرح والموسيقى الإنجليزية أوبريت «بحارة الجندول» ! ومن الواضح أنها كانت أنشط وأكثر جدية فى إنتاجها المتتابع من أى جمعية أخرى .

الجمعية الجغرافية :

وقبل أن يبدأ الموسم الجديد (١٩٢٣) ، نظمت الجمعية الجغرافية الملكية محاضرة لأحمد بك حسنين ، وربما كان موضوعها اكتشافاته فى الصحراء الغربية ، وقد عرف هذا المكتشف كلاعب للشيش ، ويرجع الفضل إليه فى بدء اشتراك مصر فى الأولمبياد منذ عام ١٩٢٤ .





أوبرا وكوميدى فرانسيز : Saison Itatienne & Comédie Française (B. Conigliano)

تولى الإيطالى السكندرى «بيتينو كونيليانو» وريث مسرح الهمبرا عن والده «سيمون» صاحب تجربة المسارح الأولى بالثغر ، تنظيم موسم طويل بالدار استهله بثلاثين حفلة من الكوميدى فرانسيز بدأت فى شهر نوفمبر فى عام ١٩٢٣ ، وأعقبتها سبعون حفلة أوبرا ! ويمكن اعتبار هذا الموسم من أبرز المواسم فى تاريخ دار الأوبرا !

جورج أبيض والمسرحيات العربية :

وبدأ موسم الخريف (١٩٢٤) بحفلات فرقة جورج أبيض فى أطول مواسمه بدار الأوبرا منذ اعتلى خشبة المسرح فيها ، فقدم ثلاثين حفلة تقريبًا تكاد تخلو من التراث الأوروبى وتقوم فى معظمها على مسرحيات عربية .

موسم ٢٤ /١٩٢٥: Saison Lyrique Italienne (1924/25)

REPERTOIRE:

Meistersinger, Mefistofele, Werther, Manon, Manon Lescaut, Rigoletto, Aida, Traviata, Falstaff, Ballo in Maschera, Nabuco, Amico Fritz, Cavalleria Rusticana, William Tell, Barbiere di Siviglia, Fedora, Fra Diavolo, Tosca, M.Butter fly, Pagliacci, Adriana Lecovreur, Sonnambula, Carmen, La Favorita.

ومن الأوبرات المعادة فى القرن العشرين : Meyerbcer: L'Africana, Ugonotli

Giulietta e Romeo (Zandonai) - Zaza (Leoncavallo) - La Rondine (Puccini) - Compagnacci (P.Riccetelli)

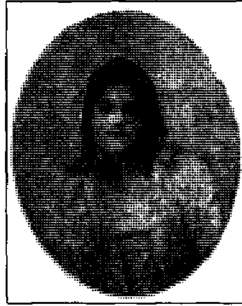
BALLETS:

Tutankhamen (Joseph Klein) - Cupido a Schoenbrunn (Klein su motivi di Mozart, Beethoven, Schubert, Lanner...) - Vita Viennese (Irene Sironi su motivi di Strauss, Weber, Lanner...) - Catalana (Hellmesberger - Festa Al Toredo (Danze Spagnole) - Paesaggio Slavo (baccanale - Divertimenti Danzanti) - 1 a Ballerina: B. Gallizia.

Chefs d'Orchestre:Commendatore Giulio Falconi (sostituti: Benvenuti et Cicchetti) .



Aurora Buadès
أورورا بواديس (امنيريس)



Bianca Scacciati
بيانكا سكاتشاتى (عايدة)



José Palet
جوزيه باليه (راداميس)



Luigi Ferrone
لويجى فيرونى (كبير الكهنة)



Gaetano Viviani
جايتانو فيفيانى (أموناصرو)



Abele Carnevali
ملك مصر

موسم إيطالى للأوبرا وكوميدى فرانسيز:

Opéra & Comédie Française (.. Noces de Figaro)

فى ٢٤ من نوفمبر عاد الإيطالى السكندرى «كونيليانو» لتنظيم موسم طويل أيضًا بدأ بثلاثين حفلة من روائع الكوميدى فرانسيز ، ثم حفلات الأوبرا فى أكثر من سبعين حفلة مع أشهر الفنانين وبدأت بثلاثة عروض لأوبرا«زواج فيجارو» لموزار ، ثم عادت عروض الكوميدى فرانسيز لمدة شهر تقريبًا مما حقق للموسم رقمًا قياسيًا فى تاريخ الدار!

مسرح محمد على :

وإلى هذه الفترة يرجع افتتاح مسرح محمد على بالإسكندرية (سيد درويش) وفى نفس الموقع الذى كان يشغله مسرح زيزينيا ، ولكن على مساحة أصغر بعد أن احتلت العمارات السكنية المساحة بينه وبين الطريق الرئيسى . . وقد مارس منذ إقامته رسالة سابقه زيزينيا [١] .

موسم أوبرا وكوميدى فرانسيز :

Saison Italienne & Comédie Française

وعلى غرار الموسم السابق فى خريف عام ١٩٢٤ ، فقد تولى الكومنداتور «كوارانتا» الإيطالى تنظيم موسم طويل أيضًا فى خريف عام ١٩٢٥ بدأه بعشرين حفلة من مسرحيات الكوميدى فرانسيز تديرها «مدموازيل سيمون» ثم قدمت الأوبرات فى أكثر من سبعين حفلة منها ثمانية عروض لأوبرا «بترفلاى» .

ماسكانى : Mascagni

وجاء المؤلف الكبير «پيترو ماسكانى» إلى دار الأوبرا فى شهر يناير عام ١٩٢٦ وقاد حفلاً سيمفونياً خلال الموسم .

Rappresentazioni d'Opera Italiana

Programma

AIDA

Opera in 4 atti di A. Ghislanzoni — Musica di G. VERDI

DANZE — LOGHE

Maestro Direttore-Concertatore — Comm. GIULIO FALCONI

Pianoforti e Harmonium — Ditta F. BORBA

Parrucche della Ditta — TOMMASO FUSCO





(١) شهدنا فى أواخر الأربعينيات فرقة أوبريت إيطالية فى مسرحية «شنشيلا» . . وكان المسرح يعمل أيضًا كدار للسينما ، وفى أوائل الستينيات كنا ننقل إليه بعض عروض موسم الأوبرا المقدم بأوبرا القاهرة ! وفى فترة لاحقة ألغيت فيه حفرة الأوركسترا حتى يستريح السكندريون الجدد من ضوضاء الغناء الأوپرالى ، ويبدو أن الأمور عادت بعد ذلك إلى ما كانت عليه ، انتظاراً لمستقبل أفضل .



موسم أوبرا وكوميدى فرانسيز :

Saison Italienne & Comédie Française (Mlle Simone)
(Puccini: Turandot)

وعاد الإيطالى «كوارانتا» لتنظيم الموسم التالى فى خريف عام ١٩٢٦ ، حيث استهل الموسم بحفلات الكوميدى فرانسيز مع م . سيمون ، ثم بدأت حفلات الأوبرا فى الثالث من يناير وحتى العشرين من مارس عام ١٩٢٧ ، فى أربع وسبعين حفلة منها سبعة لأوبرا «توراندو» آخر أوبرات پوتشينى ، والتى مات قبل أن يكملها وتولى «ألفانو» مهمة استكمالها .

الذكرى المئوية لبيتهوفن :

وفى الثالث عشر من شهر مارس فى عام ١٩٢٧ أقيم خلال الموسم حفل بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة بيتهوفن .

چاك تيبو : Jacques Thibaut

وفى مجموعة من حفلات الجمعيات والهيئات بعد انتهاء موسم الأوبرا قدم عازف القيولينة «چاك تيبو» حفلى ريسيتال . وتعرف الآن باسم هذا العازف فى فرنسا مع أستاذة البيانو «مارجريت لونج» إحدى المسابقات الدولية الكبيرة لعزف البيانو والقيولينة .

أوپريت يولانت : Opérétte: Iolante (Sullivan)

وأضافت هذا الموسم «فرقة القاهرة لهواة المسرح والموسيقى» إلى رصيدها من «الأوپريت» عملا جديدا هو «يولانت» لساليڤان والتى ترجع إلى عام ١٨٨٣ فى عرضها الأول بلندن .

مسرح إنجليزى : English Drama (R.Atkins)

وفى بداية موسم الخريف (١٩٢٧) قدمت فرقة «لندن لروبرت أتكنز» موسمًا شمل من الروائع لشكسبير : هاملت ، الليلة الثانية عشرة ، تاجر البندقية ، عطيل ، ترويض النمرة .

وتخللت الحفلات محاضرة ثقافية لصاحب الفرقة .

موسم أوپرا وكوميدى فرانسيز:

Opéra & Comédie Française (Wagner: Tristan - Débussy: Pélleas et Mélisande)

وفى أعقاب حفلات المسرح الإنجليزى بدأ الموسم الجديد الذى قام بتنظيمه الكونت جويدوڤيسكونتى دى مودرونى » مبتدئا بحفلات الكوميدى فرانسيز ، وبعدها عروض الأوپرا فى سبعين حفلة تقريبًا وفيها مع الأوپرات الإيطالية : تريستان لڤاجنر ، وپلياس وميليزاند لديبوسى ، ومن الحفلات خلال الموسم ما كان لمناسبة افتتاح أحد معاهد الكونسير فتوار بالقاهرة ، وكذا حفل افتتاح مؤتمر الإحصاء ، وعرض خاص لأوپرا عايدة بمناسبة زيارة ملك أفغانستان .

ألفريد كورتو : Alfred Cortot

وقدم عازف البيانو الكبير «كورتو» حفل (ريسيتال) فى ٥ من فبراير فى عام ١٩٢٨ ولعله كان فى تلك الفترة أشهر الإعلام فى عالم البيانو ، كحامل لتقاليد القرن التاسع عشر العظيمة ومؤسس لمدرسة الموسيقى الشهيرة فى باريس «إيكول نورمال» والتى استقبلت فى الثلاثينيات من القرن العشرين أولى بعثاتنا المصرية فى عزف الوتريات ، وكانت تسجيلاته لموسيقى شوبان من أهم ما كنا نعتز به عند الاستماع إلى «الجراموفون»

مسرح ا٠جليزى : Robert Atkins

وفى موسم الخريف عادت فرقة «لندن لروبرت أتكنز» فى موسم من ثلاثين حفلة تقريبا قدمت فيها من روائع شكسبير سبع مسرحيات .

وفى ١٠ من نوفمبر أقيم حفل تأبين لعبد الخالق ثروت باشا .

موسم أوبرا وكوميدى فرانسيز : Saison Italieme & Comédie Française (.. Wagner: Lohengrin)

تولى الإيطالى المقيم بالقاهرة «دالبانى» صاحب مسرح الكورسال تنظيم موسم الخريف لعام ١٩٢٨ بالدار فى ثلاثين حفلة من المسرحيات للكوميدى فرانسيز ، جاءت بعدها عروض الأوبرا فى سبعين حفلة تقريبا بدأت فى مستهل العام الجديد(١٩٢٩) وكانت أوبرا الافتتاح هى «لوهنجرين » لڤاجنر! ومن الملاحظ فى هذا الموسم تقديم بعض العروض لأوبرا «تاييس» لماسنيه بأسعار مخفضة مما يشير إلى إقبال جماهيرى لشريحة جديدة فى مجتمع الأوبرا !

أوبرا فازما : Fasma (La Rotella)

وقدمت فى موسم الأوبرا لأول مرة أوبرا «فازما» بقيادة مؤلفها «لاروتيلا» فى الثانى عشرمن مارس وكان من أشهر قادة الأوركسترا فى مسرح الكورسال .

إيتوربى وهوبرمان : Iturbi & Huberman

ومن الحفلات خلال موسم الأوبرا (١٩٢٩) حفلان ريسيتال : بيانو ، لچوزيه إيتوربى ، وآخر للڤيولينة لهوبرمان! وقد أتيح لنا بعد ربع قرن الاستماع إلى «إيتوربى» بالقاهرة فى حفل اللجنة الموسيقية العليا بمناسبة اتفاقية الجلاء مع الإنجليز فى عام ١٩٥٤ (بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة) .

إميل فون زاور وفريدمان : E. Von Sauer & Friedman

وبعد انتهاء الموسم قدمت من حفلات العزف المنفرد (ريسيتال) حفلتا «إميل فون زاور» و«فريدمان» من مشاهير العصر .

يوسف وهبى :

وفى مستهل موسم الخريف (١٩٢٩) كانت بداية يوسف وهبى مع دار الأوبرا حيث قدم خمس حفلات من مسرحية «إيڤان الرهيب» .



فاطمة رشدى :

وجاءت فاطمة رشدى بعد يوسف وهبى فى مسرحيتى : كليوباترا وهاملت، ويبدو أنها مع مرور السنوات لم تكمل المشوار كما بدأته ، وشهدناها فى وقت لاحق تنضم لمسرح المنوعات لشقيقتيها : رتيبة وأنصاف رشدى .

موسم أوبرا وكوميدى فرانسيز : Saison Italienne & Comédie Française (.. Puccini: Manon Lescaut)

وفى ٢ ديسمبر (١٩٢٩) قام دالبانى بتنظيم موسم طويل من تسعين حفلة على غرار موسمه السابق، واستهله بحفلات الكوميدى فرانسيز (تحت شعار الفرقة الرسمية) والأوبريت ومن بعدها عروض الأوبرا مبتدئة بمانون ليسكو لبوتشينى .

ياشا پشيهودا : Yaša Přihoda

وتخلل الموسم حفل ريسيتال للعازف التشيكى «ياشا پشيهودا »

وبعد انتهاء الموسم قدمت بعض حفلات الهيئات والجمعيات وحفل موسيقى لجمعية أصدقاء الموسيقى، كما أحيت فرقة عكاشة حفل النادى الأهلى! وأقيم حفل موسيقى بقيادة «كانتونى» الذى تولى إدارة الأوبرا عام ١٩٣٢ .

المرحلة السادسة (١٩٣٠ - ١٩٣٩)

موسم أوبرا وأوبريت فرنسية : Saison Italienne: Opéra & Opérette Française

قام «فيرونى » بتنظيم موسم آخر العام (١٩٣٠) واستهله بعروض فرنسية للأوبريت وتخللها حفل ريسيتال بيانو للعازف «ألفريد كورتو » فى زيارته الثانية لمصر، ثم بدأت عروض الأوبرا فى أكثر من ستين حفلة كانت أولاها «فاوست» «وتخللها حفل ريسيتال للعازف «إميل فون زاور» فى زيارته الثانية أيضًا لمصر .

ومن الملاحظ فى الموسم تقديم عروض لأوبرا «ريجوليتو» بأسعار مخفضة !

ومن الفرق المحلية فى نهاية الموسم كانت حفلات ڤيكتوريا موسى وأولاد عكاشة .

وفى افتتاح موسم الخريف عام ١٩٣١ قدمت «فاطمة رشدى» حفل الجمعية الخيرية الإسلامية أعقبه حفل فى ذكرى سلامة حجازى! هذا ويمكن القول بأن تغييرًا ما فى الجو العام بالدار بدأت تظهر آثاره



بوضوح على حجم الموسم التقليدى، الذى كانت تقدمه كل عام ، فالنمو الكبير فى الإنتاج المسرحى المحلى كـان يقـابله تقلص ملمـوس فى الموسم الإيطالى للأوبرا وينخـفض بعـدد العـروض فـيـه إلى النصف تقريبًا . ونتساءل فى نفس الوقت إن كان هذا التقلص يرجع إلى الجهة المصدرة للموسم وهى إيطاليا ، حيث بدأ النفوذ الفاشى بقيادة موسولينى طريقه إلى السلطة، وهو لايتعاطف بالطبع مع النظم الملكية ، وانتهى الأمر فـعلاً فى أثناء الحرب إلى المواجـهات الحـادة بينهـما ، دون نصرحـاسـم لأحـد الطرفـين ، وفى النهـاية قـتل مـوسولينى. وكمـا رحل الخديوى إسماعيل من قبل وعـاش فى إيطاليا، فقد تبادل معه الرحلة ملك إيطاليا ڤيتوريو إيمانويل، الذى جاء إلى مصر حيث عاش ومات ودفن بالإسكندرية فى عام ١٩٤٧ .

المطربة القديرة الفنانه



الفنانـة نـادرة ◄

نادره

(مطبعة الرغائب بشارع محمد على بمصر)

دار الاوبرا الملكيه

يوم السبت ٢٣ مارس سنة ١٩٢٩

بروجرام

الادوار والقصائد التي ستلقيها

نادره

على تختها المؤلف من اكبر رجال الفن

فى الحفله الخيرية السنوية

لجمعيـــة المساعى الخيرية المارونيـــة

◄ پوستر وبرنامج الحفل الخيرى السنوى لجمعية المساعى الخيرية المارونية

أوركسترا الإسكندرية السيمفونى :

وفى تلك الفترة من عام ١٩٣١ كانت الإسكندرية فى حركة دائبة على مختلف مستويات المجتمع . . فبالإضافة إلى مواسم الهمبرا ومحمد على ، وبعد اختفاء المايسترو بونومى من حفلات كازينو سان ستيفانو فى ظروف مأساوية[1] قامت جماعة من الفنانين بإنشاء أوركسترا الإسكندرية السيمفونى بقيادة التشيكى «هيتيل» وتقديم حفلاته التى شملت أروع البرامج ، وفيها من المؤلفات ما كان من وحى الأجواء المصرية مثل رابسودية «بيرجرين» الذى عرف باسمه معهد للموسيقى له شهرته بالقاهرة !

موسم غنائى إيطالى وكوميدى فرانسيز: Saison Lyrique Italienne & Comédie Française(1931 - 1932) (.. Verdi: Forza del Destino)

تولى تنظيم الموسم ماريوبيلوجاتى M. Pilogati فى عشرين حفلة للكوميدى فرانسيز ، ثم سبع وثلاثين حفلة أوبرا ، امتدت حتى أول شهر مارس عام ١٩٣٢ ، ومن الجديد فيه كانت أوبرا ڤيردى «قوة القدر» فى حفلتين فى ختام الموسم وبينهما عرض لأوبرا ريجوليتو قدمته الجمعية السورية الكاثوليكية .

REPERTOIRE: Aida, Manon, Linda Di Chamounix, Turandot, Gioconda, L'Elixir D'Amore, Butterfly, Lohengrin, Trovatore, Barbier De Seville, Tosca, William Tell, Samson & Dalila, Crispino, Ballo in Maschera, Méfistofele, Matrimonio Segerto.
BALLET: M. Reuchssel: Mirtho - Les Folies De Colombine.

Chef d'Orchestre: Gius. Antonicelli (2e chef: Mo. Ottavio, F.Mogliotti) - Coro: B. Erminero.
Cantanti: Jacobo, F.Tafuro, M.C.Iréne A.Bagnariol, F.Somigli, W.Bardone, A. Csavecchi, O.Arbore, A. Da Monte, Gius. Manacchini, C. Girolami, M.Gubiani.
E. Nava, R. Morisani, E. Safir, A. Solei, A. Bordonali.
Ballet: Nikolska - Camara, E. Bernini, L. Germani
Comédie: G. Morlay, A. Clariond, Délia-Coll, A. Terroy, R. Hédouin, J.Serviér, H.Harment, A. Reyval, M. Yrem, M. Faure.


كلارا چاكوبو (عايدة)


مايسترو چوزيبى أنتونيتشيللى


فرانكو تافورو (راداميس)


إيتورى ناڤا (أموناصرو)


م . كاتانيو إيرين (أمنيريس)

(١) وجد قتيلاً فى مسكنه عقب إحدى حفلاته .

هايفتز : Heifcz

وقد تخلل حفلات الموسم حفل (ريسيتال) لعازف الڤيولينة هايفتز من مشاهير العصر (١٤/ ٢/ ١٩٣٢) ونظمت الحفل جمعية الموسيقى المصرية ، التى ظلت تمارس رسالتها حتى أواخر الخمسينيات !

مسرح إنجليزى : English Drama: Sybil Thorndike & Louis Casson

وفى منتصف شهر مارس فى عام ١٩٣٢ بدأ موسم الفرقة المسرحية إدارة «باربر» للزوجين : سيبل ثورندايك ولويس كاسون (١) ، وقدمت فيه عشر مسرحيات بعضها لشكسبير . .

وبعد انتهاء الموسم أقيمت كالعادة بعض حفلات الجمعيات والهيئات كالجمعية الملكية لرعاية الطفولة ونقابة موظفى الدولة وجمعية المواساة والشبان المسلمين والموظفين غير الحكوميين والتوفيق والجالية اليهودية الأشكناز التى قدمت مسرحية : المال والحب والعار ! وقد أحيت معظم هذه الحفلات فرق چورچ أبيض وڤيكتوريا موسى مع فرق عكاشة ويوسف وهبى وفاطمة رشدى والفرقة المصرية لهواة المسرح التى قدمت مسرحية «چاكلين » فى حفل نادى الجزيرة الرياضى !

مؤتمر الموسيقى العربية عام ١٩٣٢:

وخلال الحفلات خارج الموسم ، أقامت وزارة المعارف العمومية فى ٣ من إبريل عام ١٩٣٢ حفلاً لتكريم أعضاء المؤتمر الدولى الأول للموسيقى العربية تحت رعاية الملك فؤاد الأول ، وقام على تنظيمه الأستاذ الأول للموسيقى فى مصر الدكتورمحمود الحفنى ، أمين عام المؤتمر . .

وكان هذا المؤتمر يضم نخبة من أعلام الموسيقى فى أوروبا مثل پول هندميت وبيلا بارتوك وپتسيتى وهنرى رابو وألويس هابا ، ومن تركيا رؤوف يكتا ، وكانتونى مدير الأوپرا !

سليمان نجيب :

بدأت حفلات موسم الخريف (١٩٣٢) بحفل للجمعية الخيرية الإسلامية اكتسب أهمية خاصة من وجهة النظر الرسمية عندما اشتركت فى إحيائه فرقة الهواة مع سليمان نجيب فى مسرحية «إله العباد» من تأليفه وجاء لمشاهدة الحفل من كبار الرسميين مندوب الملك زكى باشا ورئيس الوزراء إسماعيل صدقى باشا ودوس باشا وحسن باشا حافظ ، والمندوب السامى السير پيرسى لورين وزوجته وهما لايعرفان اللغة العربية بالطبع !

الشاعر أحمد شوقى :

وفى ٣٠ من نوفمبر عام ١٩٣٢ أقيم حفل تأبين للشاعر أحمد بك شوقى .

---

(١) مات لويس كاسون فى لندن فى عام ١٩٦٩ عن تسعين عامًا ، كما علمنا من رسالة الإنجليزية مسز أيڤور چونز من الإذاعة البريطانية ، بعد مجيئها للقائنا بدار الأوپرا ، وأشرنا إلى ذلك فى مكان آخر من الكتاب .

المسرح الإنجليزى ووزارة المعارف العمومية : English Drama: Leo Cherniavsky

وبدأ فى ٨ من ديسمبر موسم فرقة «شيرنياڤسكى» إدارة : باربر ، الذى ألقى محاضرة قامت بتنظيمها وزارة المعارف التى تتبعها الأوبرا ، وذلك للتقديم للموسم ، الذى خصصت فيه ثلاث حفلات مسرحية لطلبة القاهرة والأقاليم عند عرض رواية «كرايتون العجيب» ، وربما كانت مقررة حينذاك فى مناهج الدراسة .

أوبرا ڤيينا : Saison de L'Opéra de Vienne

وفى الثانى من يناير عام ١٩٣٣ بدأ موسم للأوبرا والأوبريت من ڤيينا وقام بتنظيمه : هيجو جرودر - جونترام وكانت أوبرا الافتتاح هى «دون چوڤانى» لموزار ، وقاد الأوركسترا فى الحفلات «رايخنبرج» الذى استقبله الملك فؤاد الأول عند حضوره إحدى الحفلات . . وامتد الموسم حتى ٤ فبراير ، وعرضت فيه أوبرات فيدليو لبيتهوفن ، وزواج فيجارو ، والناى السحرى لموزار ، وكارمن لبيزيه ، والخطيبة البديلة لسميتانا ، و سالومى لريتشارد شتراوس ، وعايدة باللغة الألمانية (باستثناء البطلة مدام روزيل التى غنت بالإيطالية) وكذا أوبريت «قصص هوفمان» لأوفنباخ ! وقدمت حفلتان من الموسم بأسعار مخفضة ، كما تخلل الموسم حفل سيمفونى من مؤلفات موزار وبيتهوفن وڤاجنر . .

ومن المناسبات العامة خلال الموسم ، كان افتتاح المؤتمر الدولى للسكك الحديدية بحضور الملك فؤاد الأول والأمراء والوزراء والسلك الدبلوماسى - وتبعه فى شهر فبراير المؤتمر الدولى للسياحة بحضور الملك أيضًا !

باكهاوس وماريا روتا : W. Backhaus & Maria Rota

وبعد انتهاء الموسم الوافد ، قدمت جمعية الموسيقى المصرية حفل (ريسيتال) لعازف البيانو «باكهاوس» وحفلا للمغنية ماريا روتا . . وذلك فى اليومين ٩ و ١٢ من فبراير .

كوميدى فرانسيز : Comédie Française

وبعد انتهاء موسم أوبرا ڤيينا بدأ موسم الكوميدى فرانسيز فى منتصف فبراير (١٩٣٣) ، وقام بتنظيمه الإيطالى «ماتيوميلانى» وامتد الموسم حتى السادس من شهر مارس . .

وقد تخلل الموسم حفل منوعات بحضور الملك فؤاد الأول بمناسبة زيارة ملك وملكة إيطاليا والأميرات ماريا ومافالدا - وقاد الأوركسترا المايسترو «كانتونى» المدير الجديد للأوبرا عند عزف السلامين الإيطالى و المصرى ! وكان كانتونى قبل ذلك قائدًا لأوركسترا البلاط ومعلمًا للأميرات . . وفى هذا الأوركسترا شارك بالعزف بعض المصريين ممن قاموا بعد ذلك بدور له أهمية فى أوركسترا الإذاعة عند إنشائه بقيادة التشيكى هيتيل .



أم كلثوم:

وفى ١٠ مارس (١٩٣٣) أقيم حفل الجمعية الخيرية المارونية وشاركت فى إحدى فقراته أم كلثوم. . وفى فقرة أخرى چورچ أبيض، وموسيقى، ورقص، وموسيقى عسكرية!

سليمان نجيب:

وفى ١٤ من مارس، قدم سليمان نجيب مسرحية فكاهية فى حفل لنادى الجزيرة الرياضى.

رشاد حافظ:

وفى سلسلة الحفلات التى أقامتها الهيئات والجمعيات، كانت بعض العروض الموسيقية والرياضية لمدارس وزارة المعارف، وحفل آخر قدمت فيه مسرحية «سميرة» لرشاد حافظ (الجائزة الأولى فى مسابقة الوزارة). وقدم چورچ أبيض حفل رابطة الإيرانيين فى مصر، ومعه فى مسرحية «الأرليزيه» فرقة باليه «دالبير» وعازف البيانو: پولياكين. . .

تأليف مسرحى مصرى:

ويلاحظ فى هذا الموسم نمو حركة التأليف المسرحى بشكل واضح، فنرى مثلاً إلى جانب اسم الشاعر أحمد شوقى، عباس علام وسليمان نجيب ومحمد السوادى وإبراهيم رمزى وأمين صدقى وعبد الوارث عسر، وترجمة لإلياس بك فياض وعثمان جلال وخليل بك مطران. . وفى الموسم التالى: توفيق الحكيم.

الإعلام الصحى:

وفى منتصف شهر نوفمبر (١٩٣٣) أقيم حفل لجنة الإعلام الصحى من فقرتين:

١ - الواجب

٢ - العلاقات السرية: رواية مونولوج لفؤاد رشيد وسليمان نجيب. .

هوبرمان: Hubermann

وفى الثانى والعشرين من شهر ديسمبر، عاد عازف الڤيولينه هوبرمان لتقديم حفل (ريسيتال) قامت بتنظيمه جمعية الموسيقى المصرية!

كوميدى فرانسيز: Comédie Française

وفى أواخر شهر ديسمبر (١٩٣٣) جاء الإيطالى «ماتيو ميلانى» لتنظيم موسم جديد من مسرحيات الكوميدى فرانسيز، وفيه بعض أعمال ألفريد دى موسيه وساشا جيترى وغيرهما، واختفى الموسم الإيطالى للأوپرا!

المحاكم المختلطة:

وفى ٣١ ديسمبر أقيم احتفال فى ذكرى مرور خمسين عامًا على إنشاء المحاكم المختلطة بحضور الملك فؤاد الأول والوزراء والسلك الدبلوماسى! وبعد سنوات ألغيت نهائيًا هذه المحاكم، ولكن يبدو أن ذكراها ظلت

ماثلة فى ذاكرة الدار حتى عام ١٩٥٢ ، فتصورت أن هذه المحاكم لا تزال قائمة وحررت عقداً بينها وبين متعهد الموسم الإيطالى «ميلانى» وذكرت فى بنده الأخير أن أى نزاع بين الطرفين، يرجع فيه إلى المحاكم المختلطة ! ولم يقدم الموسم بالمرة فى ظروف قيام ثورة ٢٣ يوليو . . فى العام التالى (١٩٥٣) حذف مستشار الدولة لوزارتى المعارف والشئون الاجتماعية حامد عبد الكريم كلمة «المختلطة» من العقد قائلاً: إنها ألغيت فى عام ١٩٤٩ ! وجاء فى سياق الفتوى أن الموسم هو كسب لمصر لجذب السائحين (لم يذكر هنا أى غرض ثقافى) !

موسم فرنسى للأوبرا: Saison Lyrique Française (.. Aida & Barbier de Séville)

وفى أول فبراير (١٩٣٤) بدأ موسم فرنسى قصير للأوبرا فى خمس وعشرين حفلة فقط ! وفيه من الأعمال الإيطالية: عايدة وحلاق أشبيلية !

وتخلل الموسم فى ٧ فبراير افتتاح المؤتمر الدولى للبريد بحضور الملكة نازلى والأمير فاروق أمير الصعيد مندوبًا عن والده الملك فؤاد الأول .

مسرح إنجليزى: English Drama: Leo Cherniavsky

وفى شهر مارس قدمت فرقة «ليو تشيرنياڤسكى» فى زيارتها الثانية لمصر بعد عامين فقط، موسماً من اثنتين وعشرين حفلة من روائع المسرح الإنجليزى، وحضر إحداها الأمير آرثر !

رباعى روما: Quartetto di Roma

وقدم المعهد الموسيقى الإيطالى بالقاهرة حفلاً لرباعى روما عزفت فيه بعض أعمال ريسبيجى وماليپيرو وكازيللا وتيرنى وكاسكو وڤيردى - وديبوسى من غير الإيطاليين ! ومن المعروف أن ڤيردى لم يؤلف سوى رباعى وترى واحد !

وجدير بالذكر أن ماليپيرو لم ينقطع عن التأليف حتى سن الثمانين، وفى الستينيات قدمت أوبرا لاسكالا بعض أعماله الجديدة[1] .

أوپريت الميكادو: Sullivan : Opérétte, The Mikado

وفى ٤ ابريل عام ١٩٣٤ أعادت جمعية القاهرة لهواة المسرح والموسيقى تقديم أوپريت «الميكادو» لساليڤان . . وكانت الجمعية هى الأكثر نشاطًا وجدية فيما تقدمه وتضيف الجديد دائمًا الى مسرحياتها من الأوپريت مثل بحارة الجندول ويولانت .

سلوكيات:

وفى حفل جمعية النجاح الخيرية فى سياق الموسم كانت المسرحية المقدمة هى: المستهترة . . وانتظر الجمهور حتى الساعة العاشرة مساءً دون رفع الستار، وذلك لعجز رئيس الجمعية عن سداد أجور الفنانين والضرائب الحكومية، وكان أن أعطى مدير الأوبرا تعليماته بانصراف الجمهور ! وانصرف الجمهور فى هدوء!

---

(١) فى عام ١٩٧١ حررنا إليه لزيارة القاهرة ورحّب بذلك ولكن حريق دار الأوبرا قطع الاتصال بيننا .

هذا وقد قدمت كالعادة فى نهاية الموسم بعض حفلات الهيئات والجمعيات، كانت من بينها «عايدة» لفرقة عكاشة، و«تارتوف» لموليير ترجمة أحمد الصاوى و«إرنانى» لڤيكتور هيجو، قدمتها فرقة چورچ أبيض فى حفل جمعية الشبان المسلمين - ثم: مجنون ليلى فى حفلة نادى سپورتنج (الجزيرة) وثلاث حفلات موسيقية لمدارس وزارة المعارف العمومية حضرت إحداها الملكة نازلى والأمير فاروق والأميرات.

وفى موسم الخريف عام ١٩٣٤ اقيم حفل الجمعية الخيرية الإسلامية، وقدمت فيه مسرحية لسليمان نجيب مع فقرة غناء لأم كلثوم!

ميلشتاين: N. Milstein

وفى ١٣ من ديسمبر، قامت جمعية الموسيقى المصرية بتنظيم حفل ريسيتال لعازف الڤيولينة «ناتان ميلشتاين» والذى ظل يمارس العزف حتى الشيخوخة[١]!

وشغلت حفلات الهيئات والجمعيات أمسيات دار الأوپرا حتى نهاية العام.

راديو ماركونى:

وفى ٧ يناير عام ١٩٣٥ بدأ نقل الحفلات بالإذاعة (راديو ماركونى)، وكان قد أنشىء بالقاهرة فى مايو عام ١٩٣٤.

كوميدى فرانسيز و أوپرا إيطالية: Saison Italienne: Opéra & Comédie Française

وفى ٩ يناير بدأ موسم «ماتيو ميلانى» لمسرحيات الكوميدى فرانسيز وحفلات الموسم الإيطالى للأوپرا فى ست وعشرين حفلة للأولى، وأربع وعشرين حفلة أوپرا فقط!

وقد افتتح موسم الأوپرا برائعة بويتو «ميفيستوفيلى» فى حفلتين متتاليتين ثم أكسير الحب ولوتشيا لدونيزيتى وتوسكا والبوهيمية لپوتشينى وعايدة وريجوليتو لڤيردى، ونورما لبللينى والزواج السرى لتشماروزا وپالياتشى لليونكاڤاللو وحفل أوراتوريو لپيروزى!

كارلو زيكى: Carlo Zeccki

وقد تخلل حفلات الموسم حفل (ريسيتال) لعازف البيانو: كارلو زيكى[٢] الذى عاد الينا فى الستينيات قائدًا لأوركسترا القاهرة السيمفونى.

---

(١) استمعنا إليه فى مهرجان ربيع براج عام ١٩٦٤.

(٢) شهدناه فى روما عام ١٩٨٠ قائدًا لأوركسترا سانتاتشيشيليا فى حفل بحديقة ڤيلابورجيزى، وقد تولى القيادة فى شيخوخته وهو جالس على مقعد!.

نجيب الريحانى:

وفى ختام موسم الربيع من عام ١٩٣٥ تتابعت الحفلات المحلية وقدم بعضها نجيب الريحانى ومعه فى البرنامج أم كلثوم فى فقرة للغناء، ونقلت الاذاعة حفلاً سيمفونيًا ربما كان للأوركسترا الجديد بالإذاعة بقيادة التشيكى هوتيل. كما قدمت جمعية القاهرة لهواة المسرح والموسيقى ثلاث حفلات أوبريت! وقدمت فرقة عبد الله عكاشة مسرحية الشيخ متلوف (تارتوف لموليير) والقضاء والقدر إعداد خليل مطران . . .

الفرقة القومية:

وقدمت الفرقة موسمًا من عشرين حفلة فى موسم الخريف حيث كانت مسرحية الافتتاح هى «أهل الكهف» التى كان توفيق الحكيم قد نشرها فى عام ١٩٣٣، وتناولها شيخ الأزهر مصطفى عبد الرازق فى مقالة بجريدة السياسة الأسبوعية بالنقد المتنور إذ يقول فيما نقله إلينا الكاتب أحمد بهجت فى الأهرام (٢/ ٨/ ١٩٩٤):

رواية تقوم على قصة أصحاب الكهف، وقد درس مؤلفها القصة درسًا محيطًا، ثم أسلم جوهرها إلى خيال موفق وفكر مستقيم وذوق سليم، فصور من كل أولئك موضوعًا روائيًا طريفًا كساه الأسلوب السهل الفصيح حلة رائعة . .

وفى رواية أهل الكهف أشخاص نستشف من حوارهم طبائع نفوسهم وخبايا ضمائرهم وأسرار خلائقهم! وفى أهل الكهف ما يريك الدين إيمانًا يملأ الصدر، وما يريكه موهنًا، تلينه عواطف اليأس وتدافعه زينة الحياة وشهواتها، وفى الرواية تحليل للعواطف فى هدأتها وتحليل للعواطف فى ثورتها، وفى أسلوبها أحيانًا ثوب من السخرية يرمى فى لطف إلى مرمى بعيد . . وفيها حب إذا كان لابد للناس من حب، وإن لبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعًا . .

كان ميشلينا الوزير يحب بريسكا متبناة دقيانوس قبل أن يرقد فى الكهف قرونا، فلما أحياه الله وذهب إلى قصر الملك وجد بريسكا أخرى هى بنت صاحب القصر فحسبها حبيبته! وأمر ميشلينا وبريسكا من أقوى حوادث الرواية وأدلها على مهارة الكاتب فى تصوير مواقف الحب تصويرًا يكشف بعض المعانى إيماءً رقيقًا بليغًا، ويذهب هذا الحب القوى الشقى إلى أسمى مراتب الحب وينتهى إلى أنبل نهاياته من الجود بالنفس فى سبيله عن سكينة ورضًا. وقصة آل الكهف من خير ما عرف القصص العربى، وليست تحتاج إلى عناء لتكون رواية تمثيلية قلّما ظفر بمثلها المسرح، وإن كان هذا الأثر باكورة الثمرات بقلم توفيق الحكيم، فهى نفحة النبوغ، تتفتق أكمامه عن زهرة، وإن كان للأستاذ آثار من قبلها فهذه آية نضجه واكتمال مواهبه . . وإن العبقرية تشق سبيلها إلى الكمال والنجاح على كل حال . .

وشمل موسم الفرقة القومية أيضًا مسرحيتى شكسبير «الملك لير» ترجمة إبراهيم فوزى و«تاجر البندقية» ترجمة خليل مطران، و«أندرو ماك» لراسين ترجمة الدكتور طه حسين.

كوميدى فرانسيز: Comédie Française

عاد الإيطالى «ماتيو ميلانى» لتقديم موسمه فى عام ١٩٣٥ الذى شمل بعض مسرحيات الكوميدى فرانسيز فى سبع وعشرين حفلة ثم قدّمت الفرقة القومية خمس حفلات لمسرحية «المجرم» ترجمة أحمد شكرى.

موسم إيطالى للأوبرا: Saison Lyrique Italienne

واستأنف «ميلانى» موسمه بتقديم خمس وعشرين حفلة من الأوبرات الإيطالية، ومعها «كارمن» لبيزيه.

وفى إحدى الحفلات قدّم مدير الأوبرا «كانتونى» أوبرا جديدة من تلحينه بعنوان «چوليارديكا»!

ولو كان الخديوى إسماعيل على قيد الحياة لشنقه! فقد استغل منصبه كمدير وتسلل بتجربته فى التأليف الموسيقى وسط الموسم الرسمى، استنادًا إلى أنه من أهل الثقة، ولم يعرف عنه أنه مؤلف!

وفى هذا الموسم بدأ التقليد الذى اتبع حتى احتراق دار الأوبرا وهو تقديم «كاڤاليريا روستيكانا» لماسكانى مع «پالياتشى» لليونكاڤللو فى نفس الأمسية - ومثلهما «الأرملة اللئيمة «لڤولف فيرارى و«الخادمة المسيدة» لپرجوليزى.

وفى ختام الحفلات، أقيم فى ٨ من مارس عام ١٩٣٦ حفل بمناسبة الذكرى المئوية لمولد «سان صانص»..

كما قدمت خلال الموسم أوپرا «نورما» بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة مؤلفها بللينى - وتخلل الموسم أيضًا حفل وزارة المعارف العمومية فى ذكرى الشاعر «المتنبى».

دبلن جيت: English Drama: Dublin Gate

وفى ١٠ من مارس (١٩٣٦) بدأ موسم المسرح الإنجليزى من روائع الدراما لشكسبير وبرناردشو وغيرهما فى أربع وعشرين حفلة، وكان يدير الفرقة هيلتون إدواردز ومايكل ما كليا موار! وتخلل الموسم حفل وزارة المعارف العمومية لإحياء ذكرى الشاعر «القاسمى» وحفل آخر لتأبين «الفتح الفقى»..

أوپريت:

ووسط الحفلات خارج الموسم أضافت جمعية القاهرة لهواة المسرح والموسيقى إلى حصيلتها أوپريت جديدة[(١)] لساليڤان، لمدة خمسة أيام!

الفرقة القومية:

وفى موسم جديد للفرقة القومية (١٩٣٦) قدمت مسرحيات «السيد» و«أندروماك» لراسين ترجمة خليل مطران، وكذلك «تاجر البندقية» لشيكسپير و«المجرم» لفوس ترجمة أحمد شكرى، ونشيد الهوى «رومانس» للجندى بك، بحضور مندوب وزير المعارف والمحافظ.. وواصلت الفرقة حفلاتها حتى آخر موسم الربيع حيث أعادت عرض «أهل الكهف» لتوفيق الحكيم..

وفاة الملك فؤاد الأول:

وقد توقفت حفلات الفرقة لمدة أسبوع اعتبارًا من ٢٨ إبريل بمناسبة وفاة الملك فؤاد الأول!

ومن الحفلات الأخرى خارج الموسم كان حفل منظمة الشباب الإيطالى الفاشيست، وجماعة الفنانين اليهود الأشكناز!

---

(١) The Yeomen of the Guard.

الفرقة القومية:

وعادت الفرقة القومية في موسم الخريف (١٩٣٦) لتقديم أطول مواسمها وذلك فى أربعين حفلة من المسرحيات الجديدة التى شملت: «الجريمة والعقاب» لدستويفسكى - ترجمة إبراهيم ناجى وفتوح نشاطى، وكذا: «سافو» لألفونس دوديه وبيلو: ترجمة محمد كامل. «المعجزة» ترجمة محمد على حماد. «الشعلة المقدسة» ترجمة محمد حداية. «الفاكهة المحرّمة» لمحمد السوادى وأحمد قراعة.

ومن الحفلات التى تخللت موسم الفرقة:

- حفل تكريم الصحفيين الإنجليز وأعضاء المؤتمر الطبى الدولى بحضور النحاس باشا رئيس الوزراء.
- حفل الجمعية الخيرية الإسلامية بمشاركة «أم كلثوم» فى إحدى فقرات الحفل.
- حفل الذكرى المئوية لإنشاء المدرسة الخديوية.
- حفل جمعية النهوض بالفلاحين بحضور النحاس باشا.

أوبرا وأوبريت من ڤيينا: L'Opéra de Vienne

وفى ٢٩ يناير عام ١٩٣٧، افتتح الموسم بحضور مجلس الوصاية حين عادت الفرقة النمساوية بعد ٤ سنوات لتقدم أربعًا وعشرين حفلة من الأوبرا والأوبريت، شملت «الناى السحرى» لموزار، و«أورفيو وأوريدتشى» لجلوك و«أوبيرون» لڤيبير و«الفارس حامل الوردة» لريتشارد شتراوس! ومن الأوبريت: «چوديتا» لفرانتس ليهار، و«ليلة فى البندقية» لشتراوس.

وقد حضرت الملكة نازلى إحدى حفلات الأوبريت، ولم يكن قد مر عام واحد على وفاة زوجها الملك فؤاد الأول!

مسرح دبلن جيت: English Drama: Dublin Gate

وفى ٢٥ فبراير عاد مسرح دبلن جيت بعد مرور أقل من عام على موسمه السابق وقدم اثنتين وثلاثين حفلة من روائع المسرح الإنجليزى!

ذكرى الشاعر حافظ إبراهيم:

وتخلل الموسم حفل فى ذكرى الشاعر حافظ إبراهيم بحضور مندوب الملك فى ٦/ ٣/ ١٩٣٧، وأعيد تقديمه فى اليوم الثانى على إثر مشادات سياسية ومشاجرات فى أثناء الحفل الأول وإلغائه!

وفى ٣٠ من مارس (١٩٣٧) أحيت وزارة المعارف العمومية عيدها المئوى!

أوبريت: The Gondoliers Opérétte

وفى ٧ من إبريل، أعيد تقديم الأوبريت الإنجليزية «بحارة الجندول» لساليڤان وچيلبير فى أربع حفلات من انتاج وأداء أعضاء جمعية القاهرة لهواة المسرح والموسيقى!

الفرقة القومية:

وقدمت الفرقة القومية فى موسم الخريف (١٩٣٧) تسع حفلات من أعمال توفيق الحكيم وطاهر حقى ومحمد على حماد ومحمد السوادى وأحمد قراعة وترجمات لحسن صادق وسليم سعادة وعبدالوارث عسر مع سليمان نجيب الذى عين مديرًا للأوبرا فى أكتوبر (١٩٣٨).

أقصر موسم إيطالى للأوبرا:

وفى ١١ من ديسمبر (١٩٣٧) قدّم أقصر موسم ايطالى للأوبرا منذ افتتاح الدار، ولكنه تميز كالعادة بكل مقومات الروعة!

وفيه أوبرات عايدة وريجوليتو لڤيردى وحلاق أشبيلية لروسينى ولوتشيا لدونيزيتى وبترفلاى ولابوهيم لپوتشينى!

واستؤنفت بعد ذلك حفلات الفرقة القومية لإحياء معظم المناسبات الخاصة بالهيئات والجمعيات، باستثناء الجهات الأجنبية بالطبع، كمنظمة الشباب الفاشيست التى قدمت أوپريت لمانجانيللى.



غلاف برنامج الموسم

موسم فرنسى: Opérétte & Comédie Française

وفى ٨ من يناير (١٩٣٨) بدأ موسم مسرحى للكوميدى فرانسيز فى خمس وعشرين حفلة، ومن بعدها جاءت عروض للأوپريت فى أكثر من عشرين حفلة.

ومن الحفلات خارج الموسم كان افتتاح المؤتمر الدولى للمواصلات.. ومؤتمر الأولمبياد فى ١٠ من مارس، واسكتشات لمنيرة صبرى رئيسة المرشدات، وحفل لنادى الجزيرة الرياضى. كما قدمت «جمعية القاهرة لهواة المسرح والموسيقى» أوپريت جديدة هى «الملك المتشرد» The Vagabond King.

الريحانى:

وتبادلت بعد ذلك الفرقة القومية مع فرقة نجيب الريحانى معظم الحفلات سواء فى مواسمها الخاصة أو حفلات الجمعيات والهيئات.. ومن الحفلات خارج الموسم، أقيم حفل بمناسبة مولد الأميرة فريال، وشاركت أم كلثوم فى بعض فقراته وحفل مدرسى لوزارة المعارف العمومية قدّمه الدكتور محمود الحفنى!

رباعى لينر: Quatuor Lenner

وفى ٥ من يناير عام ١٩٣٩ أقامت جمعية الموسيقى المصرية حفلاً للرباعى الوترى «لينر».

الموسم الأخير للأوپرا قبل الحرب العالمية الثانية:

Saison Lyrique Italienne (1938 - 1939)

وفى ١١من يناير (١٩٣٩) عادت فرقة «پيلوجاتى» لتقدم موسماً من سبع وعشرين حفلة فقط من الأوپرات الإيطالية، ومعها لوهنجرين لڤاجنر وتاييس لماسنيه وكارمن لبيزيه، وحضر الملك فاروق الأول والملكة فريدة آخر العروض وكان أوپرا «ريجوليتو» التى افتتحت بها الدارفى عام ١٨٦٩! وتخلل الموسم حفل انعقاد المؤتمر الطبى فى أول فبراير.



وجاء الموسم فى ختام مرحلة من تاريخ الدار العريقة شهدت خلالها أشهر الفنانين . . فالقائد موتسيو صديق ڤيردى فى حفل افتتاحها ثم القائد المؤلف بوتيزينى فى «عايدة» مع مونچينى وستيلر وميدينى وپوتزونى وجروسى، تليهم سلسلة من مشاهير العصور مثل تيريزا ستولتز وماريا ڤالدمان وستانيو وفانتشيللى وپاندولفينى ومازينى وبوكولى وڤيرجر وأنتونيتا فريتشى وموريل ولويزا ميلر وديدور وإينس - ثم ڤالنتينا منديورز وتيتا روفو وكاشمان وچيما بيللينشونى وكاروزو - ومن المؤلفين پوتشينى وليونكاڤالو ولاروتيللا وسان صانص وأصحاب الشهرة من العازفين وأعلام المسرح . .

REPERTOIRE: Otello, Tosca, Aida, Thaïs, La Bohéme, Le Barbier de Séville, Tristan et Isolde, La Sonnambula, La Traviata, Elixir d'Amour, Carmen, André Chénier, Rigoletto, Mme. Butterfly, Lohengrin, La Favorita, Les Pecheurs De Perles - Nouveautés: La Surrections (Alfano) - La Baronne de Carini (Mulé)
Chef d'Orchestre: A.Votto (sostituti: M.Detura, E. Pedrozoli)
Maître des Choeurs: A. Fanfani L. Bettarini (souffleur)
Régie: Carlo Gilson


Juanita Toso
خوانيتا توزو


Gino Fratesi
چينو فراتيزى


Mario Basiola
ماريو بازيولا


Elena Nicolai
إيلينا نيكولاى
٦


Nino Ederle
نينو إيدرلى


Vera Peeters
ڤيرا پيترز


Emilio Marinesco
إميليو مارينسكو

أولد ڤيك: English Drama: Old Vick

وفى ٢٧ من فبراير قدمت فرقة «أولد ڤيك» موسمًا من المسرحيات الإنجليزية فى أكثر من عشرين حفلة . . (وتخلل الموسم فى ٨ مارس حفل اتحاد تنس الطاولة) .

المسرح الملكى بأثينا: Théâtre Royal, Athéne

وفى ختام موسم الربيع (١٩٣٩) قدّمت فرقة المسرح الملكى بأثينا موسمًا من مسرحيات :

إليكترا لسوفوكليس وهاملت لشكسبير وليدى واندرمير لأوسكار وايلد .


M^o Antonio Votto
مايسترو انطونيو ڤوتو (قائد الأوركسترا)


A. Pertile (Baritone)
أوريليانو پيرتيله

الحرب العالمية الثانية:

ثم طويت صفحات المواسم الوافدة مع نشوب الحرب العالمية الثانية فى خريف عام ١٩٣٩ ، بينما واصلت الفرقة القومية ويوسف وهبى وغيرهما من الفرق المحلية حفلاتها حتى آخر موسم الربيع .

المرحلة السابعة (١٩٣٩ - ١٩٤٥)

واقتصرت مواسم سنوات الحرب العالمية على أنشطة الفرق المحلية وحفلات الجمعيات والهيئات المصرية والأجنبية .

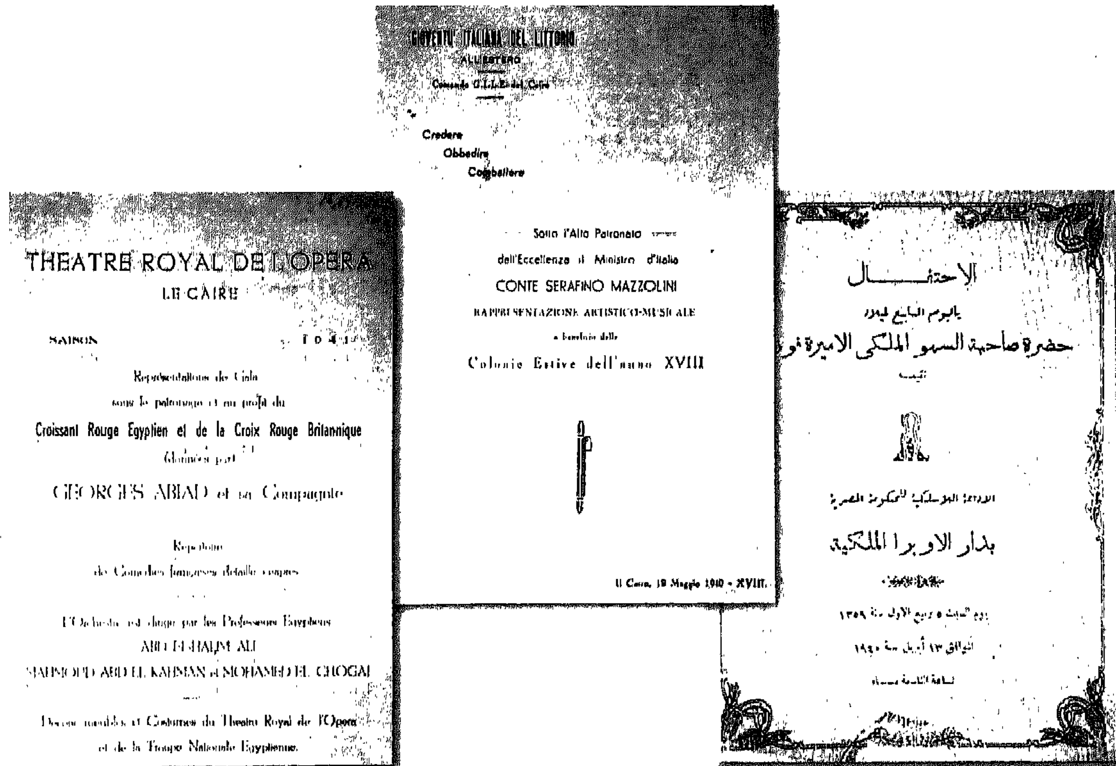
وفى الموسم الأول مثلاً نجد الفرقة القومية فى أول وآخر الموسم . . كما نجد فرقة نجيب الريحانى وفى بعض حفلاتها تغنى أم كلثوم فى إحدى الفقرات . . وعندما تعود الفرقة القومية ، فإنها تقدم مسرحية موسيقية على كلمات بيرم التونسى وغناء زكريا أحمد ، ثم ظهرت فى بعض حفلاتها المطربة ليلى مراد ؛ كما قدّمت فرقة چورج أبيض بعض الحفلات .

أمّا جمعية القاهرة لهواة المسرح والموسيقى ، فقد أضافت إلى أعمالها من الأوبريت «إنجلترا المرحة» ، و«علاء الدين» ، بينما قدمت فرقة الچيزويت أوپرا «جريزيليدس» لماسنيه ، والمدرسة الإنجليزية بالزمالك «إنفيرنيا» قدّمت أيضًا أوپريت جديدة بعنوان : الغجرية !

وكان من حفلات المناسبات انعقاد المؤتمر الطبى فى يناير عام ١٩٤١ .

واقيم حفل تأبين لكل من عبد الرحمن رشدى ومحمد بك تيمور .

ومن حفلات الترفيه عن المحاربين قدّم أوركسترا فلسطين السيمفونى إحدى حفلاته التى تكررت خلال سنوات الحرب .



وأقامت وزارة المعارف العمومية فى ١٥ و١٦ مـن مـارس (١٩٤١) حفلين للمسرح المدرسى للتمثيل والغناء تحت إشراف زكى طليمات، وفى العروض: تاجر البندقية لشيكسبير و«نهر الجنون» لتوفيق الحكيم[١].

حفلة خيرية كبرى

لاعانة مشغل جمعية المرأة الجديدة

المشمول برعاية حضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلى

ورئاسة شرف حضرة صاحبة السمو الأميرة شيوكار

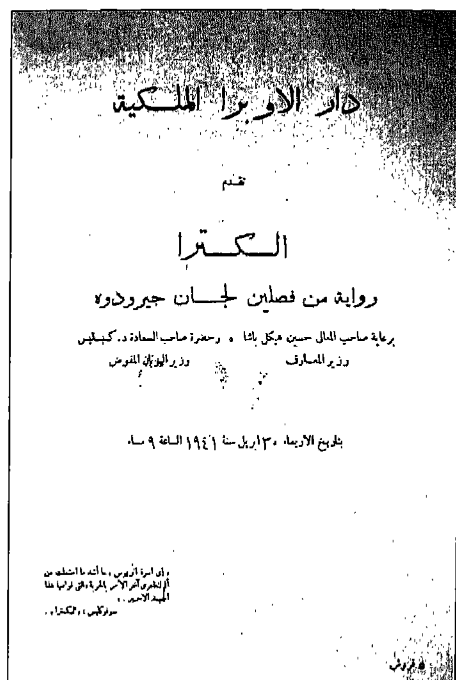
أعضـــاء اللجنة التنفيذية

أعضـــاء

ايرادات ومصروفات سنة ١٩٤١

الايرادات

المصروفات



دار الاوبرا الملكية

تقدم

الكـــترا

رواية من فصلين لجـــان جيرودو

برعاية صاحب المعالى حسين هيكل باشا وزير المعارف و وحضرة صاحب السعادة د. كبـليس وزير اليونان المفوض

بتاريخ الاربعاء ٣٠ ابريل سنة ١٩٤١ الساعة ٩ مساء

توسكانينى: Toscanini

وعن حفلات أوركسترا فلسطين يروى بعض المعاصرين للحياة الموسيقية فى تلك الفترة والمتابعين لأنشطتها عن وعى، أنهم شهدوا «توسكانينى» يقود إحدى هذه الحفلات فى قاعة إيوارت بالجامعة الأمريكية، مشاركة منه فى تعبئة الروح المعنوية للمحاربين الواقفين فى وجه طغيان الفاشية المتسلطة على مصير وحياة مواطنيه فى إيطاليا، وكان قد لقى منهم اهانة كبيرة حين رفض فى إحدى حفلاته بمسرح «لاسكالا» بميلانو عزفًا لنشيد خاص بالفاشيست، فصفعه على وجهه أحد ضباط موسولينى! فحمل متاعه وعاد من حيث جاء! عاد إلى نيويورك فى هجرة نهائية وظل بها حتى مات فى يناير عام ١٩٥٧، وترك بيته هناك متحفًا ومزارًا شأن العظماء، كما ترك لنا ولكل محبى الموسيقى الرفيعة أروع ما لديهم من تسجيلات لأعمال بيتهوفن وغيره! ومن بين ما يجده الزائر، وكان يعتز به صاحب الدار، قصاصة ورق لصحيفة يومية، تحكى قصة بدايته كقائد أوركسترا موهوب فى أوائل القرن حين تخلف القائد المنوط به قيادة أحد عروض أوبرا «عايدة» فوقف الشاب الإيطالى عازف التشيللو أمام الأوركسترا، وقاد الأوبرا كلها من الذاكرة!

(١) وكانت أول تجربة لنا مع رؤية دار الأوبرا من الداخل واعتلاء خشبة المسرح بها فى الحفل، ضمن طلبة مدرسة حلوان الثانوية.

موسم فرقة المسرح الملكى بأثينا (١٩٣٩/٣/٢٢).- Théâtre Royal d'Athénes: La Sérénade de Zante - L'Eventail de Lady Wandermere (Oscar Wilde) - Aprés le Coucher du Soleil- Hamlet (Shakespeare)

مسرح وموسيقى:

□ وفى الموسم التالى نجد أيضًا الفرقة القومية التى تبدو وكأنها قد اتخذت من دار الأوپرا مقرًا دائمًا لنشاطها المتزايد، وسط حركة مسرحية واسعة فى مصر . . وإلى جانبها طبعًا كانت المواسم المحلية القصيرة وحفلات الجمعيات والهيئات ومختلف المناسبات!

□ وتبدأ الفرقة القومية موسم الدار لعام ٤١/ ١٩٤٢، تليها فرقة نجيب الريحانى، ويتخلل حفلاتها عروض لأوپرا «حلاّق أشبيلية» تقدمها الجمعية السورية الكاثوليكية بقيادة المايسترو : عسكر!

ومن الحفلات الخيرية قدمت فرقة چورچ أبيض (يناير ١٩٤١) حفلين لصالح الهلال الأحمر المصرى والصليب الأحمر الإنجليزى، وشمل البرنامج بعض الفقرات الموسيقية بقيادة عبد الحليم على ومحمود عبد الرحمن ومحمد حسن الشجاعى - وبعض مسرحيات الكوميدى فرانسيز التى شارك فيها من الفنانين مع الرائد الكبير : المخرج فتوح نشاطى وسليمان نجيب (مدير الأوپرا) وإدمون تويما وجميل نايلى وچاك تران وچورچ عيد وزوجته مارى جاسپارولى ورولان أبرام وأنور وجدى وإدجار خير وچينيڤييڤ شلهوب والطالبة بمدرسة الراعى الصالح : سعاد أبيض - وحلمى رفله (ماكياچ).

□ ويقام حفل تأبين لمحمد محمود باشا.

□ ومن حفلات الهيئات والجمعيات ما كانت تقدّمه الفرق الإنجليزية ENSA للترفيه عن المحاربين.

□ حفل كلية الآداب وقدمت فيه مسرحية لكورنى وأخرى لكلية الحقوق، أحياها يوسف وهبى، وقدّم فيها «كرسى الاعتراف».

□ جمعية القاهرة لهواة المسرح والموسيقى : أوپريت «بحارة الجندول» - وتعود الجمعية السورية لتقديم أوپرا «حلاق أشبيلية».

□ قدامى طلبة الچيزويت : حفل سيمفونى بقيادة المايسترو : عسكر.

□ المدرسة الإنجليزية بالسبتية : أوپريت «فتيات بوهيميات».

□ المدرسة الإنجليزية بالزمالك «إنقرنيا» : مسرحية موسيقية بعنوان «ملكة مصر» مستوحاة من أوپرا عايدة!

□ حفل جمعية المرأة الجديدة : الريحانى - أم كلثوم - غناء من أوپرا «مانون» لماسنيه.

□ بعض المسرحيات من اخراج زكى طليمات.

□ كليات الحقوق والزراعة ودار العلوم والطب : مسرحيات عربية.

□ كلية الآداب : فصول من : «حلاق أشبيلية - أندروماك - لويس الحادى عشر.

□ فى موسم جديد تقدم فرقة «نيو ڤيك» الإنجليزية ثمان حفلات.

□ حفل ترفيه عن المحاربين الإنجليز.

□ حفل سيمفونى : أوركسترا إذاعة فلسطين فى برنامج من الموسيقى التشيكية يقوده التشيكى «هوتيل» قائد أوركسترا الإذاعة .

□ جمعية القاهرة لهواة المسرح والموسيقى : أوپريت «سيدة الجبال» . وفى مناسبة أخرى تقدم برنامجًا من المنوعات (إسكتشات) فى سبع حفلات .

□ الجمعية السورية الكاثوليك : أوپرا «ريجوليتو» فى حفلتين .

□ الفرقة المصرية : بعض المسرحيات .

□ كلية الحقوق : مسرحية النائب العام (الفرقة القومية) .

□ فرقة الريحانى : موسم لمدة شهر .

□ الفرقة القومية : أوپريت سيد درويش «شهرزاد» كلمات : بيرم التونسى .

□ نادى التجارة العليا : أم كلثوم .

□ كلية التجارة : مسرحية «المستهترة» .

□ وفى مرحلة تالية من الموسم ، نجد الفرقة القومية فى مسرحية «الشيخ متلوف» نقلاً عن «تارتوف» لموليير ، ترجمة عثمان بك جلال . . وفى حفلاتها المتكررة خلال الموسم تقدم من جديد «شهرزاد» لسيد درويش .

□ مدرسة إڤرنيا الإنجليزية بالزمالك : أوپريت : أجراس كورنڤيل .

□ الصليب الأحمر اليوغوسلاڤى : «الأرليزيه» تعريب فتوح نشاطى .

□ حفل سيمفونى لأوركسترا فلسطين السيمفونى .

□ فرقة نيوڤيك فى بعض المسرحيات الإنجليزية .

□ الجمعية السورية الكاثوليك : أوپرا «حلاق إشبيلية» للترفيه عن المحاربين .

□ حفل المرشدات (منيرة صبرى) .

وسار الحال على هذا المنوال طوال سنوات الحرب !



◄ فرقة «الإنسا» علي مسرح دار الأوپرا عام ١٩٤٢ . (الصورة من مقتنيات الفنان شكرى راغب ، مدير المسرح)

المرحـــــلة الثامنـــة (١٩٤٥ - ١٩٥٦)

لقد كان من الأمور الطبيعية أن تبدأ المحاولات بعد انتهاء فترة الحرب العالمية الثانية، لاستعادة الأنشطة المألوفة فى مواسم الدار، وفى الحياة الموسيقية فى مصر بوجه عام، إلا أن الأمور سارت ببطء، نظرًا لارتباط ذلك إلى حد كبير باستقرار الأوضاع فى أوروبا نفسها من حيث كانت تفد الفرق الفنية، وحاجة كبار الفنانين إلى تنظيم جولاتهم فى مختلف الدول لتقديم حفلاتهم.

واستمرت الدار خلال تلك الفترة فى نشاطها العادى من مواسم مسرحية محلية وحفلات للمناسبات والمؤتمرات والجمعيات والهيئات والوزارات حتى أواخر الأربعينيات، حتى شهدت القاهرة فى عام ١٩٤٩ نخبة من مشاهير الغناء الإيطالى فى أكبر المسارح مثل لاسكالا بميلانو وأوبرا روما ومنهم:

ماريا كانيليا ومافالدا فاڤيرى، ومازينى، وبينى، وتيتو جوبى.. ثم باستيانينى الذى عاد إلينا فى الستينيات فى أداء رائع لا ينسى لدور «ياجو» فى أوبرا عطيل، وتمنينا لو عاد إلينا فى مواسم تالية، ولكنه تعرّض بعد ذلك لمشاكل صحية وإصابة لعينة فى رقبته ومات فى ريعان شبابه.

وقدمت فى هذا الموسم (١٩٤٩) عشر أوبرات تولى قيادتها بلليتزا ودى تورا، وشملت الأوبرات:

عايدة - لوهنجرين - كارمن - ريجوليتو - بالياتشى وكاڤاليريا روستيكانا - حلاّق أشبيلية - سونّامبولا - أدريانا لو كوڤرير - أحدب الخليفة.

Saison Lyrique Italienne (1949)

Aida, Rigoletto (Verdi) - Lohengrin (Wagner) - Carmen (Bizet) - Il Barbiere di Siviglia (Rossini) - Pagliacci (Leoncavallo) - Cavalleria Rusticana (Mascagni) - Il Gobbo del Califfo (Casavola) - Adreana Lecouvreur (Cilea) - La Sonnambula (Bellini)


Maria Caniglia ماريا كانيليا


Tito Gobbi تيتو جوبى


Ettore Bastianini ايتورى باستيانينى

وشملت مجموعة الفنانين فى الفرقة الوافدة ستين عازفًا بالأوركسترا وخمسين فردًا فى فرقة الكورال وعشرين من راقصى الباليه (كان بعض العازفين ومنشدى الكورال المحليين من أجانب مقيمين ومواطنين ينضمون إلى هذه الفرق فى عروضها كتقاليد مستمرة انتهت إلى الاكتفاء بالعنصر المحلى فى فرقة مستديمة مع زيادة العدد وحسن التدريب) . .



چينو بيكى



ڤرجينيا زيانى

وفى نفس الموسم كانت أكثر من جهة تحيى الذكرى المئوية لوفاة شوپان!

موسم غنائى إيطالى: Saison Lyrique Italienne (1951)

وعاد الكومنداتور ماتيو ميلانى لتنظيم الموسم الثانى بعد الحرب العالمية الثانية، وقدمت فيه عشر أوپرات:

Organisation:

Mo Cav. Matteo Milani

Dir. Art: Emilio Ferone & Italo Milani

RÉPERTOIRE: Aida, Rigoletto & Traviata (Verdi) - Il Barbiere di Siviglia (Rossini) - Cavalleria Rusticana (Mascagni) - Pagliacci (Leon cavallo) - Werther (Massenet) - Turandot (Puccini) - Guglielmo Tell (Rossini) - Carmen (Bizet).

Chefs d'Orchestre: V. Bellezza - Mario Parenti.

Maître dess Choeurs: P. De Angleis

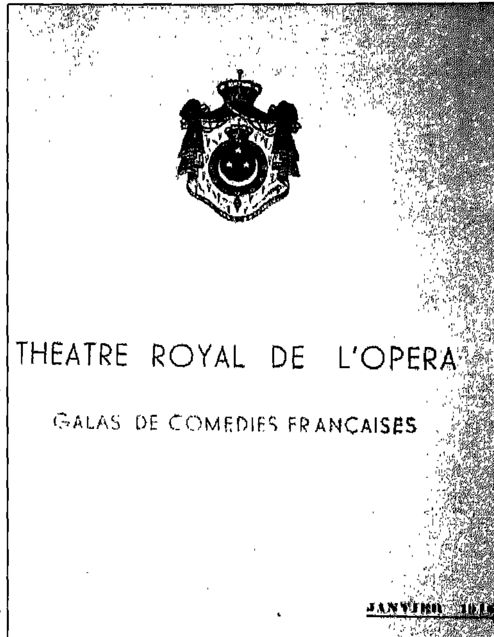
Reg. R.Moresco

E. Barbato (Aida) - M. Radev (Amneris) - A. Salvarezza (Radamès) - G.G. Guelfi (Amonasro) - E. Bastianini (Ramphis) - R. Moresco - A.Cambi - E. Erato - V. Zeani...

Ballet: Schellander (chor.) - 1ère étoile: F. Maraldi



مدير الأوبرا سليمان نجيب مع نجم المسرح الفرنسى لوى جوڤيه



وهكذا لم يتخلف الموسم الإيطالى للأوبرا عن المجىء، ولكن لم تنتظم حفلاته فى عام ١٩٥٢ فى أثناء حريق القاهرة، ونذكر أن شهدنا بعض الصور الصحفية لفنانين من الفرقة يفرون من الفنادق بملابس النوم إلى الشوارع!

وقد شمل الموسم أوبرات: مفيستو (بويتو) - عطيل (ڤيردى) - مانون (ماسنيه) - هاملت (أمبرواز توماس) - الهيجونوت (مايربير) - البوهيمية (پوتشينى) - أندريه شينييه (چوردانو) - دون چوان (موزار) - حفل رقص تنكرى (ڤيردى) - وتولى قيادة الأوركسترا: ڤنشنزو بيلليتزا - ماريو پارنتى.

أستاذ الكورال: پاسكوالي دى أنچيليس. مشاهد مسرحية: من فنانى دار الأوبرا: پاراڤيتشينى - رونديللى.

باليه: تصميم: بريتا شيللاندر - أداء: ماريزا كولايالومو - أنطونيو كورتشونى - چانا وماريزا تشامپاليا - أنا مونداني.

إخراج: ريكاردو موريسكو - وذلك مع صفوة المشاهير من المغنين مثل چينو بيكى وتيتو جوبى وسالڤاريتسا..

موسم غنائى إيطالى: Saison Lyrique Italienne (1953)

وتولى تنظيم هذا الموسم إيتالو ميلانى وريث والده ماتيو منظم المواسم السابقة، وقدم فيه ثمان أوپرات هى:

La Bohéme, Tosca, Lucia Di Lammermoore, Aida, Manon, Butterfly, Rigoletto, Pêcheurs de Perles

Chefs d'Orchestre: V. Bellezza - M. Parenti - M. Choeurs: G.Lazzari

ومن مشاهير فنانى الغناء:

P. Martorell (Aida) - L. Scipioni (Amneris) - S. Puma (Radamés - G.G. Guelfi (Amonasro).

Ballet: B. Shellander (chor.) - M. Otinelli (1 ere danseuse).

Régie: D. Messina



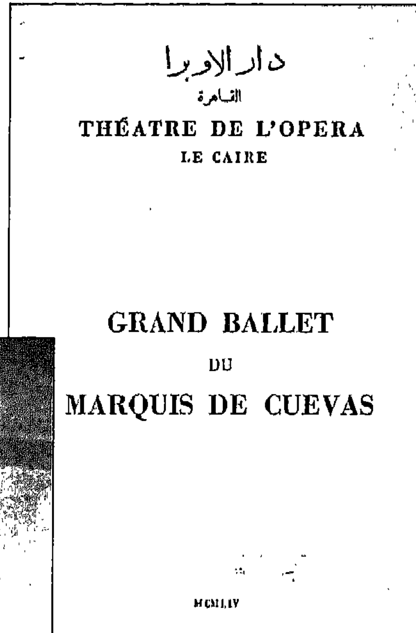
◄ الرئيس محمد نجيب يصافح السوپرانو.. كارول

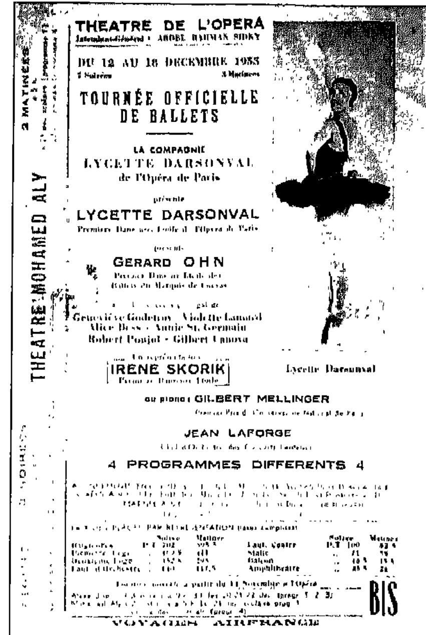


... ويصافح جويلفى (أمونا صرو) ◄

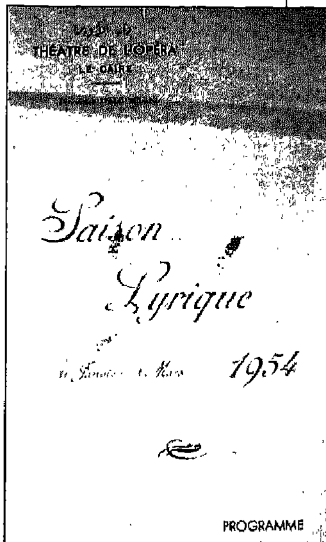
Ballet Marquis De Quevas (1954) - (1955)

▶ باليه ماركيز دى كويفاس





▼ ٣١ يناير إلى ٣ مـــارس ١٩٥٤



Soison Lyrique Italienne (I. Milani) 1954 **موسم غنائى إيطالى :**
Répertoire:

Sonnambula -Pagliacci - Amelia al Ballo - Aida - Andréa Chenier

Interprètes: M. Carosio, G. Frazzoni, R. Scotto, A. Galié, G. Bechi, A. Analoro, U. Borsó, U. Savarese, L. Dedier, S. Bertona, C. Zampighi, L. Pedretti, A. Misciano, E. Renzi, N. Carta, E. Achilli, G. Rigiri.

Chefs d'Orchestre: V.Bellezza - Mario Parenti

▼ مدير الأوبرا : عبد الرحمن صدقى مع بعض الفنانين





▶ ماركيز دى كويفاس

موسم عام (٥٤/ ١٩٥٥):

Saison Lyrique Italienne (1954/55)

Répertoire:

Andréa Chenier - Amélia Al Ballo - Il Barbiere di Siviglia - La Sonnambula - La Traviata - I Pagliacci - L'Amico Fritz - Boleró (Ballet)

Interprétes: G. Bechi, A. Annaloro, U.Bertona, M. Carosio, M.T.Bertasi, R.Scotto, A.Galié, C. Zampighi, S. Bertona, N.Carta, R. Cavallari, M. Cioffi, L. Dadier, G. Frazzoni, I. Favati, A. Giunta, A. Maccianti, A. Misciano, P. Pedani, L. Pedretti, E. Renzi, U. Savarese, G.Rigiri, M. Spataforo

Chefs d'Orchestre: V.Bellezza, M. Parenti (sos. Moresco, Lazzari, Tagini, Ferrari, Brainovich)

Ballet: B. Shellander : S. Marmoglia, C. Faraboni (danseurs).



▲ الرئيس محمد نجيب وفي الصورة عبد الرحمن صدقي وشكري راغب

الموسم الغنائي الإيطالي (١٩٥٥):

Soison Lyrique Italienne (1955)

Répertoire:

Beethoven: 4 e & 9 e Symphonies-
Aida, Trovatore, Forza del Destino (Verdi)- Madame Batterfly, Turandot & Fanciulla del West (Puccini)- Francesca da Rimini (Zandonai)-Shahrazad (Rimsky Korsakov) - Amélia al Ballo (Menotti)

Interprétes:

R. Scotto, E.Achilli, A.Annaloro, D. Barioni, P. Campolonghi, V. Carbonari, L. Carol, M. Caruso, G. Consolandi, S.Dall'Argine, M. Di Lorenzo, M.Ferrrara, M.Filippeschi, G.Frazzoni, A. Giunta, G.G. Guelfi, M. Koiwai, I. De Maria, M. Mas, Amina M. Lazzari,

P. Pendani, B. Ronchini, B. Rigiri.

Soliste (violon): **Gioconda De Vito** (Beethoven concerto)

César Frank (sonate)

Chefs d'Orchestre: V. Bellezza, G. De Santis, N. Verchi

Maitres des Choeurs: Lazzari(Brainovich, Tagini: Sostituti)

Régie: B.Nofri

هـذا وكـان من الجـديد فى تلك المرحلة حـضـور مـجـموعـة من فنانى أوپرا «بكين» من الصين فى طليـعـة الوافـدين إلينا من الكتلة الشرقيـة، وكـانـت المفاجـأة أن نـرى كيف أن الدولة الحديثة هناك نجحت خـلال سنوات قليلة فى الوصول إلى درجة كبيرة من النجاح فى تطوير فنونها.



Serge Lifar

سيرچ ليفار

قمم فرنسية:

ومن فرنسا جاءت فى نفس العام فنانة الباليه «دارسونڤال» فى فرقـة كبيـرة لهـا أهميـتـهـا فى أوپرا باريس وقدمت أربعـة برامج مـختلفـة.. ومن بعـدها جـاء موسـم الكـوميـدى فرانسيـز: هيلين پيـوريير ـ چان داڤى.. ثم الفنان الكبيـر: سيـرچ ليـفـار من أكبـر العلامات فى تاريخ فن الباليه، حيث قدم من البرامج ما شمل:

سلسلة رقصات عاطفية (موسيقى شوپان) ـ وعلى موسيقى بيتهوفن: پروميثيوس (افتتاحية) وصلاة (الحركة الثانية من السيمفونية السابعة) ـ فيدر (مأساة لچان كوكتو على موسيقى چورچ أوريا) ـ چيزيل (موسيقى آدم) ـ كوميديا الخبثاء (موسيقى روسينى عن موليير).

باليه سيرچ ليفار:

وفى ختام المرحلة، شهدت دار الأوپرا قمة فن الباليه فى أوروبا ممثلة فى فرقة: سيرچ ليفار!

THEATRE DE L'OPERA
Directeur Général : ABDEL RAHMAN SIDKY
DU 12 AU 18 DECEMBRE 1955,
ET AU
THEATRE MOHAMED ALY
ALEXANDRIE, DU 20 AU 23 DECEMBRE 1955.

TOURNÉE OFFICIELLE DE BALLETS
avec le Patronage de l'Association Française d'Action Artistique.
La Compagnie
LYCETTE DARSONVAL
de l'Opéra de Paris
Présente
LYCETTE DARSONVAL
Première Danseuse-Etoile de l'Opéra de Paris
GERARD OHN
Premier Danseur-Etoile des Ballets du Marquis de Cuevas
et le concours principal de
GENEVIEVE GODEFROY — VIOLETTE LAUTARD — ALICE BESS
ANNIE St. GERMAIN — ROBERT POUJOL — GILBERT CANOVA
En représentation:
IRENE SKORIK
Première Danseuse Etoile
AU PIANO:
GILBERT MELLINGER — 1er Prix du Conservatoire de Paris
JEAN LAFORGE — Chef d'Orchestre des Concerts Pasdeloup
4 PROGRAMMES DIFFERENTS — BIS
Voyages AIR FRANCE

PAR ACCORD SPÉCIAL quelques bonnes tables sont réservées aux amateurs de ballet ...
Chez Véronique
... ou du reste, est coutume de se retrouver tous les artistes. Souper froid et chaud à toute heure
APRÈS LE SPECTACLE

18
THÉATRE DE L'OPÉRA - LE CAIRE
Tournée Officielle Française de Comédie
HÉLÈNE PERDRIÈRE - JEAN DAVY
SOIRÉE 9 p. m. — 1955 — MERCREDI 30 Novembre
AMPHITHEATRE
Prix Net P.T. 17,-
Taxe 3,5
Bienf. 0,5
P.T. 21,-
N° 114
Tout billet détaché n'est ni échangé ni remboursé.

THEATRE DE L'OPERA
Directeur Général : ABDEL RAHMAN SIDKY
THEATRE MOHAMED ALY
ALEXANDRIE
LE BUREAU EGYPTIEN D'ORGANISATION DE SPECTACLES
PRESENTE
LES BALLETS DE SERGE LIFAR
Maître de Ballet, Chorégraphe du Théâtre National de l'Opéra de Paris
avec le Concours des
Etoiles de la Danse du Théâtre National de l'Opéra de Paris
par autorisation de Mr. JACQUES IBERT
Administrateur de la Réunion des Théâtres Lyriques Nationaux
SERGE LIFAR
Premier Danseur Etoile de l'Opéra de Paris
NINA VIROUBOVA
Première Danseuse Etoile de l'Opéra de Paris
MICHEL RENAULT
Premier Danseur Etoile de l'Opéra de Paris
ALEXANDRE KALIOUJNY
Premier Danseur Etoile de l'Opéra de Paris
MARIA DALBA
Première Danseuse Etoile des Ballets des Champs Elysées
CLAIRE SOMBERT
Première Danseuse Etoile des Ballets de Monte Carlo
Orchestre sous la Direction de :
JEAN LAFORGE
Les artistes voyagent par AIR FRANCE et AIR LIBAN

APRÈS la musique envoûtante des BALLETS... les rythmes trépidants du JOLLY SEXTETTE d'Italie et Nini d'Aura vous feront danser jusqu'aux petites heures
chez Véronique
(Souper froid et chaud à toute heure)

المرحلة التاسعة (١٩٥٦ - ١٩٥٩)

ومع عودة الموسم الإيطالى التقليدى وغيره من الفرق ومشاهير العازفين، بدأت مرحلة يبدو فيها التغيير فى الجو العام لما كانت تقدمه الدار، سواء من ناحية الفرق الكبيرة التى تفد إليها لأول مرة، أو الجهود المحلية الوليدة التى تشارك فى المواسم كعنصر وطنى يتكامل فى الإنتاج الفنى مع الفرق الوافدة!

وقد جاءتنا قمة التجربة الروسية فى تطوير الرقص الشعبى على أسس أكاديمية: فرقة إيجور مويسييف التى ألقوا عنها كتابًا[١] فى فرنسا عندما قدّمت عروضها هناك! ومن بعدها فرق المسرح الكبير (البولشوى) ثم لينتجراد (بطرسبورج) العريقة.. وكان أن شهدنا «جالينا أولانوڤا» بعد أن قرأنا كتابًا عنها، ثم «مايا پليسيتسكايا» التى صنعوا لها تمثالاً رائعًا!

ومن تشيكوسلوڤاكيا، جاءت فرقة «سلوك» للرقص والغناء الشعبى.

ومن مشاهير عازفى البيانو جاء «هرنادى» من المجر، و«ديموس» من النمسا.

وجاء الرباعى الوترى التشيكى «نوڤاك».

الموسم الإيطالى (يناير ١٩٥٦):

Soison Lyrique Italienne (1956)

Répertoire:

L'Elisir D'Amore-La Traviata-Rigoletto- Il Barbiere Di Siviglia-Tosca-Lucia Di Lammermoor-Otello-Carmen-Manon

Chefs d'Orchestre:

Mario Parenti-Franco Patané

Maître des Choeurs: Gianni Lazzari

Régie: Bruno Nofri.

Ballet: Anita Bronzi

أما فنانو الغناء فقد جاءوا من أكبر المسارح مثل لاسكالا ونابولى وفلورنسا وروما وپارما..



فرقة مويسييف فى زيارة لمتحف قصر عابدين ◄

(١) تأليف: چورج سوريا.

ولقد كان من الأمور الطبيعية، بعد أن أفاقت مصر من كابوس الإعتداء الثلاثي عليها فى خريف عام ١٩٥٦، أن تستعيد مسيرتها بكل همة وفى كل مجال، بعد إسدال الستار على مسرحية الاعتداء الهزلية . .

وهكذا نجد أن الموسم التقليدى للأوبرا، والذى اعتبر دائما من أبرز المظاهر فى حياتنا الثقافية، لا يكاد يختفى فى عام ١٩٥٧، حتى يعود لامعًا مرموقًا فى العامين التاليين ٥٨ و ١٩٥٩!

ولقد افتتح أولهما بأوبرا «عايدة» تذكيراً بالماضى العريق، وإلى جانبها من روائع ڤيردى أيضاً: لاترافياتا وتروڤاتورى . . ومن أشهر الأعمال لپوتشينى: البوهيمية وبترفلاى، ثم أوپرا كارمن لبيزيه! ومن مشاهير الفنانين نخبة من المغنين، مثل سيموناد اللارچينه وفيدورا باربيرى وجابرييلا توتشى، وذلك مع القادة فرانكو مانينو ونابوليون أنوڤاتسى - وتولى الإخراج كارلو أتسولينى .

وفى الموسم التالى ١٩٥٩، أضيفت إلى «عايدة» من روائع ڤيردى كل من «ريجوليتو» و«لاترافياتا» ثم «زواج فيجارو» لموزار «وتوسكا» لپوتشينى «وكارمن» لبيزيه . .

وقد شارك فى أدوار الغناء من المشاهير :

Gino Bechi - O. Bersellini - U. Borsò - E. Boschi - E. Di Stasio - M. Filippeschi - U. Frisaldi - A. Galié -

A. Marchiandi - S. Verlinghieri - U. Trama - Maria Caniglia - S. Dall'Argine - C.Fusco - L. Galvano - J. Gardinno

V. Montanari - O. Moscucci - R. Ongaro - M. Pirazzini - E. Rizzieri - F. Sacchi - R. Zerbini

Chef d'orchestre: Manno Wolf Ferrari (Choeurs: V. Barbieri, E. Cordone, G. Rathle)

Régie: Frusca, Shoukri Ragheb - Décors: E. Rondelli - Costumes: Zeinab Hagras

وانضم إليهم لأول مرة من عناصر فرقة كورال الأوپرا: كيتى فيلاكوريدس ونينا دراكوپولو ويولنده منسى وأميرة كامل ونيكولا كانتيلس ويرڤانت إيريتسيان .





Luciana Serafini
لوتشانا سيرافينى
(موسم ٥٥ / ١٩٥٦)

O. Bersellini
أوتيللو بيرسيللينى
(موسم ١٩٥٩)





F. Barbieri
فيدورا باربيرى
(موسم ١٩٥٨)

Renata Scotto
ريناتا سكوتو
(موسم ٥٤ / ١٩٥٥)

المرحـــــلة العاشـــرة (١٩٥٩ - ١٩٧١)

أوركسترا القاهرة السيمفونى:

وانتلقت تبعية أوركسترا الإذاعة إلى الوزارة الجديدة للثقافة والإرشاد القومى فى ١٧ / ٢ / ١٩٥٩، حيث بدأت الإجراءات المتتالية لتطويره، فأضيف المزيد من العازفين لاستكمال مجموعاته ودعم قدراته الفنية لمواجهة العمل فى أكثر من مجال وفى مستويات فنية متميزة، وبدأت برامج حفلاته السيمفونية تخرج من دائرة الكلاسيكيات المبكرة! ولتنويع الثقافات فى تنشئته بدأ استقدام أكثر من قائد أوركسترا حققوا التنويع والترغيب فيما كان يقدّم ويجذب المستمع إليه! ولإضافة عنصر التشويق فى البرامج كان العازفون المنفردون يستقدمون للمشاركة فى معظم الحفلات عند عزف مؤلفات الكونشيرتو.

ومع دعم فرقة الكورال واستكمال مجموعاتها توقف استقدام المزيد من المنشدين ضمن الفرق الوافدة، وشاركت فى أداء الأعمال السيمفونية الكبيرة مع الأوركسترا، بعد أن كان الاستماع إلى مثل هذه الأعمال متاحًا فقط فى مواسم الأوبرا الإيطالية وفى نطاق محدود، والأوركسترا بدوره كان منتظمًا فى تقديم حفلات الطلبة والشباب صباح الجمعة ومساء السبت للجمهور. أمّا برامج المواسم الأوبرالية فقد ظهر فيها التنويع بشكل واضح عندما بدأت الفرق تفد إلينا من بلاد أخرى غير إيطاليا بالإضافة إلى موسمها التقليدى.



الأوبرا وفرقة الباليه:

ومع ظهور العناصر المتميزة من فرقة الكورال وإسناد الأدوار الثانوية - وأحيانًا الرئيسية - إليها فى المواسم الأجنبية، وما أسفر عنه ذلك من القدرة على بدء تقديم الأوبرات العالمية بعناصر مصرية، وظهور باكورة هذا الإنتاج فى عام ١٩٦٨ بمشاركة بعض فنانى الباليه، فإن هذه التجربة أتاحت الفرصة أيضًا للتعريف بالمهارات البارزة فى فن الباليه، وأسفر ذلك عن بدء تكوين فرقة للباليه، استكملت بها دار الأوبرا مكوناتها الرئيسية وتتابعت إنجازاتها كما نجد فى غير هذا المكان، وخاصة بعد عودة رواد الخريجات من البعثات الدراسية فى موسكو: ماجدة صالح وعلية عبد الرازق وودود فيظى ومايا سليم وديانا حقاق، ثم ماجدة عز ويحيى عبد التواب وعبد المنعم كامل وصحبهم مع تتابع ظهور النجوم فى الفرقة وتألقها..

الديكور المسرحى:

وفى مجال الفنانين من المصورين، فقد بدأ المواطنون فى تولى مهمة الديكور بدلاً عن الإيطاليين پاراڤيتشينى ورونديللى، وظهرت أسماء جديدة مثل السكندرى سيف وانلى الذى صمم مناظر أوبرا كاڤاليريا روستيكاناو«مهر العروسة» تجارب المسرح الغنائى، ثم جمال زكى الذى صمم بالإمكانيات المحلية القرص الدائرى عند عرض أوپريت الأرملة الطروب، وعلى سعد الدين، وعبدالله العيوطى الذى تولى إدارة المسرح بعد المخضرم شكرى راغب، وكان من الدارسين فى مسرح لاسكالا بميلانو، ثم سامى رافع من الدارسين فى أوپرا ڤيينا، ومعهم سكينة محمد على وحياة درويش وسهير الطوخى وشويكار عكاشة - ثم مصطفى صالح الذى تولى المهمة فى مجال فرقة الباليه! وتولى فايق حنا أعمال الإضاءة المسرحية بعد رحيل الإيطالى أبرامينو!



قسم الديكور أثناء تنفيذ بعض الأعمال

وهكذا نصل إلى المرحلة العاشرة فى تاريخ الدار، فى أعقاب رحلة طويلة للمؤلف، ما بين قراءات فى أضابيرها واكتشاف لما لم تبح به من أسرارها طوال تسعين عامًا تقريبًا من تاريخها، وكان فى ذلك الزاد لانطلاقها فى مرحلة أخيرة زاهرة، وزاخرة بالجهود الوطنية التى حققت لها المزيد من الازدهار والبقاء كقاعدة صلبة انطلقت منها الدار الجديدة فى إنجازاتها، وأمل متجدد فى مواصلة المسيرة والصعود، ونراها الآن تحتفل بمرور عشر سنوات على حمل الرسالة والإضافة إليها، مع اعتزازها بالماضى المجيد والتقاليد المتوارثة!

وزارة الثقافة والارشاد القومى

(الاقليم المصرى)

الادارة العامة للفنون المسرحية والموسيقى

دار الاوبرا

حفـــــلة موسيقيـــــة

بمناسبة

انعقاد مؤتمر الشباب الافريقى الاسيوى

اوركسترا القاهرة السيمفونى

الاثنين ٩ فبراير سنة ١٩٥٩
الساعة التاسعة والنصف مساء

PROGRAMME

1 – Hymne "Allah Akbar" — Paroles de A. CHAMSEDDINE, Musique de M. EL-CHERIF, Arrangement pour les chœurs V. BARBIERI

2 – Ouverture de l'Opéra "La Mort d'Antonio" — H. Rechid

3 – "Misr" Poème Symphonique — Y. GREISS

INTERVALLE

4 – Symphonie No. 3 en Do Majeur Op. 33 — A. KHAIRAT
- allegro vivo
- andante cantabile "Variazione sur un thème de Sayed Darwich"
- tempo di Waltzer con intenzione drammatica
- allegro finale

Orchestre Symphonique du Caire
dirigé par AHMED EBEID

توليت الإعداد والإشراف على إقامة هذا الحفل فى إطار مهرجان للفنون أقيم بمناسبة انعقاد المؤتمر الذى كنت فيه مقرراً للجنة الفنون، ضمن أنشطة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، قبل انتمائى الوظيفى للوزارة الجديدة للثقافة (المؤلف).



أولى التوجيهات فى عمل الوزارة الجديدة للثقافة: الوزير ثروت عكاشه ومدير مكتبه «الفنان أحمد سعد الدين» ومدير الأوبرا المهندس محمود النحاس ومدير أوركسترا القاهرة السيمفونى صالح عبدون.



بالأوبرا: الرئيس جمال عبد الناصر فى وداع ضيفه الملك محمد ظاهر شاه (أفغانستان).



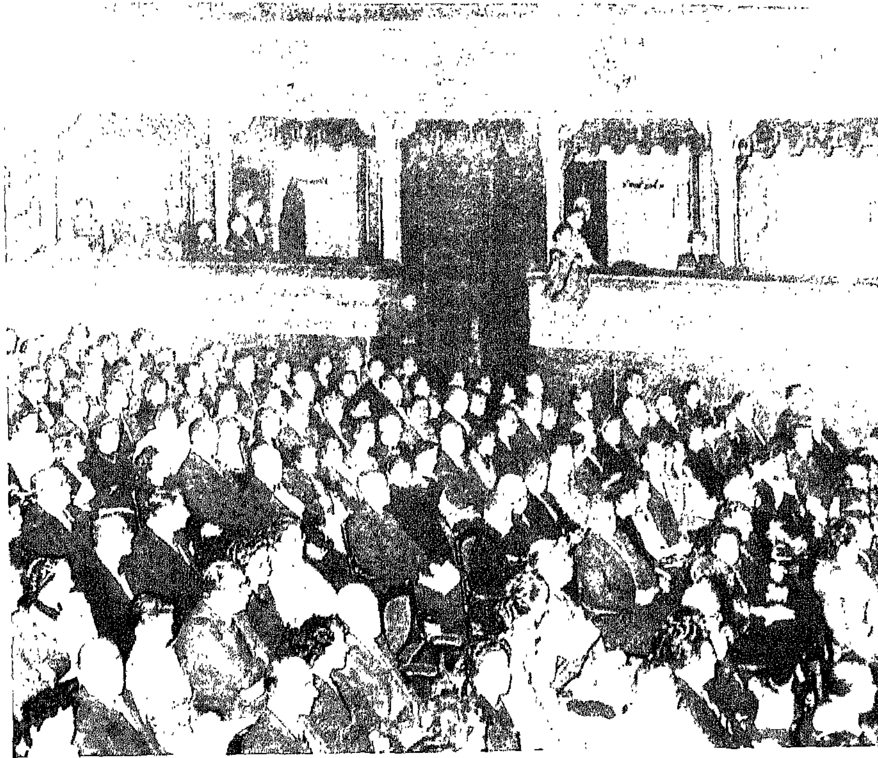
▲ الرئيس جمال عبد الناصر يودع ضيفه الملك محمد الخامس (المغرب)



▲ الرئيس جمال عبد الناصر فى وداع ضيفه الرئيس الأندونيسى أحمد سوكارنو



◀ الرئيس جمال عبد الناصر فى وداع ضيفه الملك محمد ظاهر شاه (أفغانستان)



◄ لقطة من داخل دار الأوبرا فى أواخر الخمسينيات



◄ الراقصة الأولى فى «عايدة» ١٩٥٨ أنطونييتا بيكولى

موسم ١٩٥٨: **Saison Lyrique Italienne (1958)**

Répertoire:
Aida - La Bohéme - Carmen - Mme Butterfly - La Traviata - Il Ttrovatore
Interprètes:
Simona D'Allargine - Umberto Borsò - Fedora Barbieri - Ezio Boschi..
Chefs d'Orchestre:
Franco Mannino - N.Annovazzi
Régie: C. Azzolini



الموسم الغنائى الإيطالى (١٩٥٩):

عايدة، ريجوليتو، لاتراڤياتا (ڤيردى) زواج فيجارو (موزار) ـ كارمن (بيزيه) ـ توسكا (پوتشينى)

Gino Bechi - O.Bersellini - U.Borsò - E.Boschi - E. Di Stasio - M. Filippeschi - U. Frisaldi - A.Galié - A.Marchiandi - Maria Caniglia - S.Dall'Argine - C.Fusco - L.Galvano - J. Gardino - V. Montanari - O. Moscucci - R. Ongaro - M. Pirazzini - E.Rizzieri - **Chef d'Orchestr:**
F.Sacchi - R.Zerbini
Manno wolf Ferrari
Mo. (Choeurs) V.Barbieri, E. Cordone, G.Rathle
Régie: Frusca, Shoukri Ragheb
Décors: E.Rondelli - Costumes: Zeinab Hagras.

أدوار ثانوية من الكورال:

يوسف عزت ـ خانتيلس ـ إميل كوريچ ـ يولندا منسى ـ كيتى باباليوسوس ـ حنا فؤاد ـ يرڤنت إيرزيان ـ أميرة كامل ـ جريجوار بارتميان.

الموسم الغنائى الإيطالى ١٩٦٠: Saison Lyrique Italienne (1960)

بالاشتراك مع: أوركسترا القاهرة السيمفونى وفرقة كورال الأوبرا.

أوبرات الموسم: عايدة ـ لاتراڤياتا ـ عطيل ـ لوهنجرين ـ حلاق اشبيلية ـ كاڤاليريا وپالياتشى

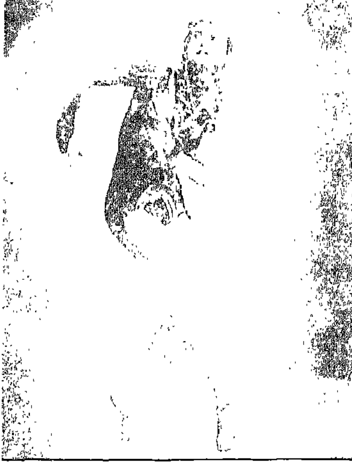
باليه: فرقة أوجو داللارا الإيطالية: الدون چوان الأخير (يعرض لأول مرة) ـ افتتاحية ملكات الرقص ـ خطوة العشرة ـ رحلة شهر العسل.

قيادة الأوركسترا: مانو ڤولف فيرارى ـ چو زيپى موريللى ـ مساعد: أ. دانچيلو ـ إخراج رينزو فروسكا ـ كارلو أتسولينى ـ أستاذ الكورال: ڤيتوريو باربييرى ـ مشرف فنى: فرج العنترى.

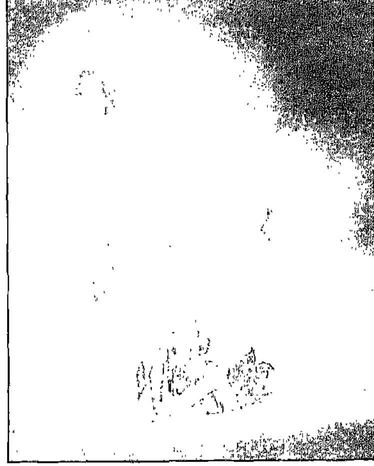


Leningrad Ballet

باليه لينـنجراد بالاشتراك مع
أوركسترا القاهرة السيمفونى
يناير ١٩٦٠













مايسترو «أوجين دوبقسكوى»





مايسترو «يورى جماليه»





فى البرنامج : ـ بحيرة البجع (تشايكوفسكى)
ـ نافورة بخشى سراى (أصافييف)
ـ شـوبنيـانا، پاجـانينى (على موسيقى رحمانينوف)، ليلة من عالم الجان (موسيقى جونو)
ـ منوعات على موسيقى :
جلينكا ـ تشايكوفسكى ـ جلوك ـ خاتشادوريان ـ أصافييف ـ سان صانص ـ رحما نينوف . .

◄ ديمترى بيجاك ـ ماريا كولباكتشى





SAISON DE L'OPÉRA DE BELGRADE (Jan. 1961)

Cast:

M. Cangalovic, D. Popovic, V. Hejbalova, M. Stojanovic, M. Miladinovic
D. Starc, Z. Cvejic, L. Korosec, M. Sanjina, K. Obradovic.

موسم أوپرا بلچراد بالاشتراك مع أوركسترا القاهرة وفرقتى الكورال والباليه بأوبرا بلغراد (كورال أوپرا القاهرة فى الفصل الثالث من أوپرا الأميرايجور)

أوپرات : الأمير إيجور - دون كيشوت

باليه :

أسطورة أوخريد

موعد فى لويزڤيل

الكعكة - چيزيل

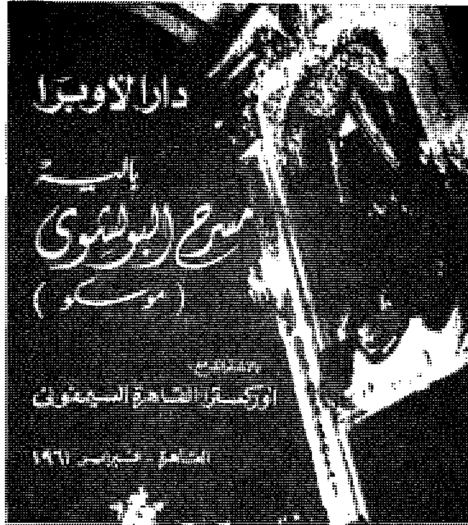
قيادة الأوركسترا : كريزيمير بارانوڤيتش Kresimir Baranovic

أوسكار دانون Oscar Danon

دوشان ميلادينوڤيتش Dusan Miladinovic



الفنان الكبير : شانجا لوڤيتش
(فى دور دون كيشوت) ولاتكو كورستش





مايا پليسيتكايا



جالينا أولانوڤا



بوريس خوخلوف



بارسولاف سيخ



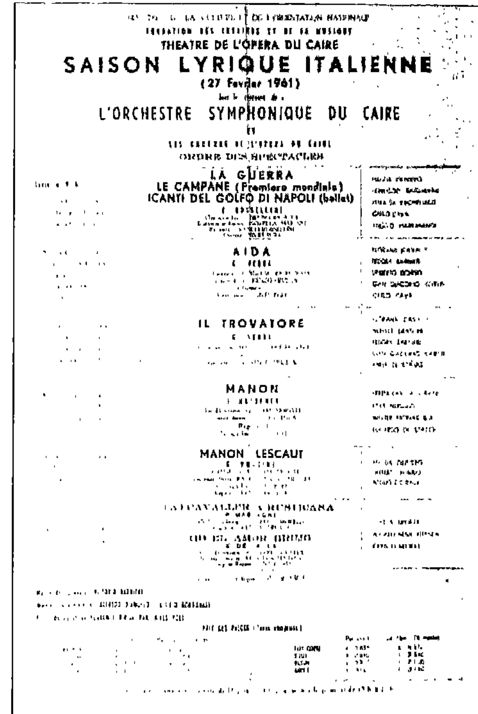
مارينا كوندراتييفا



جورجي فارمانيانتس



ليونيد جدانوف


THEATRE DE L'OPERA DU CAIRE

SAISON LYRIQUE ITALIENNE

(27 Fevrier 1961)

L'ORCHESTRE SYMPHONIQUE DU CAIRE

LA GUERRA

LE CAMPANE (Premiere mondiale)

I CANTI DEL GOLFO DI NAPOLI (ballet)

AIDA

IL TROVATORE

MANON

MANON LESCAUT

Saison Lyrique Italienne (1961)

Répertoire:

Aida - Il Trovatore - Manon (Massenet) - Manon Lescaut (Puccini) - Cavalleria Rusticana - El Amor Brujo (Falla) -

Rosellini:

La Guerra, Le Cam pane (1ere mondiale), I Canti Del Golfo Di Napoli (Ballet).

الموسم الغنائى الإيطالى

مارس ١٩٦١:



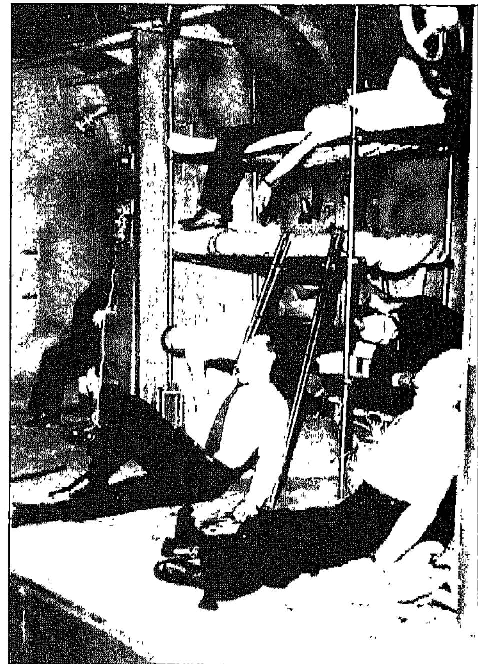
بالاشتراك مع أوركسترا القاهرة السيمفونى

وفرقة كورال الأوبرا بالقاهرة وفرقة باليه فلورنسا

فى البرنامج: عايدة - تروڤاتورى (ڤيردى) - مانون (ماسنيه) - مانون ليسكو (بوتشينى) - كاڤاليريا روستيكانا (ماسكانى) - الحب الساحر (فايا) - لاجويرا (الحرب) والأجراس (لى كامپانى فى أول عرض مسرحى لها) وباليه: أغانى خليج ناپولى وكلها من أعمال روسيللينى.

من أوبرا القاهرة مع الفرقة الإيطالية:

* ريچينا يوسف
* كيتى فيلاكوريدس
* جريجوار بارتاميان



▶ أوبرا روسيلليني: الأجراس



CONCERTS KHATCHADURIAN
avec:
L'ORCHSSTRE SYMPHONIQUE
DU CAIRE

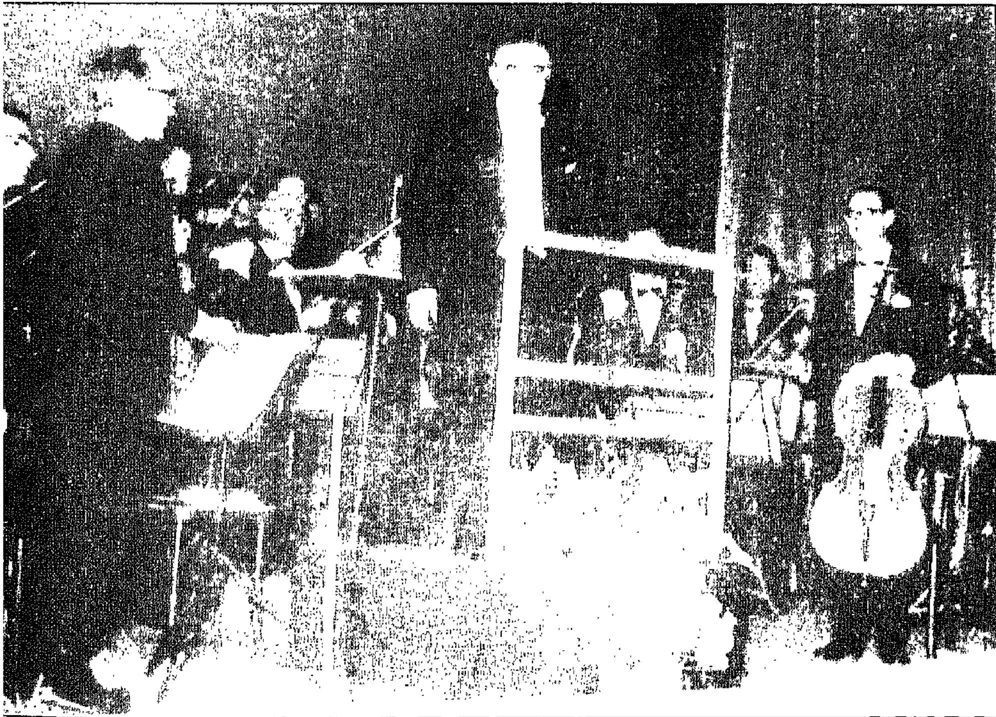
أوركسترا القاهرة السيمفونى

حفلات الفنان الكبير آرام خاتشادوريان

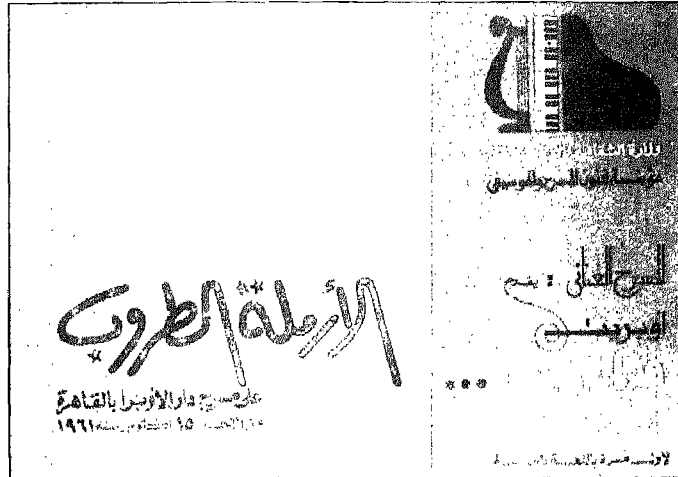
أبريل ـ مايو ١٩٦١

وبدعوة من الوزير ثروت عكاشة، جاء المؤلف الكبير آرام خاتشادوريان لقيادة حفلات أوركسترا القاهرة السميفونى بالقاهرة والإسكندرية وبيروت، يرافقه عازف الڤيولينة الروسى: ڤيكتور پيكايزين.. ومن القاهرة قدمنا له عازف البيانو الإيطالى: سيرچو پيرتيكارولى الذى رافق الضيف بعد ذلك فى جولة فنية بالاتحاد السوڤيتى، وكان لها أثرها فى حياته الفنية.. ثم شهدناه فى الثمانينيات أستاذًا مرموقًا بأكاديمية سان تشيتشيليا بروما، صاحبة الأوركسترا المشهور على المستوى العالمى.

فى استقبال الفنان الكبير بمطار القاهرة ◄



ترجمة : عبد الرحمن الخميسى
إخراج : تونى نپسنار
قيادة : إدوارد شتراوس
فرقة الكورال : فيتوريو باربييرى .
أدوار رئيسية : رتيبة الحفنى - كنعان وصفى - منار أبو هيف - أميرة كامل - ريچينا يوسف - حسين رياض - يوسف عزت - يوسف صباغ - محمد نصار - أمين فكرى - صبحى خميس - أحمد شكرى - نوال أبو الفتوح - آمال زايد - عبد المنعم بسيونى - زيزى مصطفى - عباس يونس - لطفى عبد الحميد .
باليـه : فرقة سونيا إيڤانوڤا (ثنائى : دولوريس لنج ويورى تاجانوف)
تدريب الأصوات الفردية : چيلان رطل
تدريب غناء : فؤاد الظاهرى - محمد الدبس
ماكياچ : محمد نعيم
تصوير : أڤيديسيان

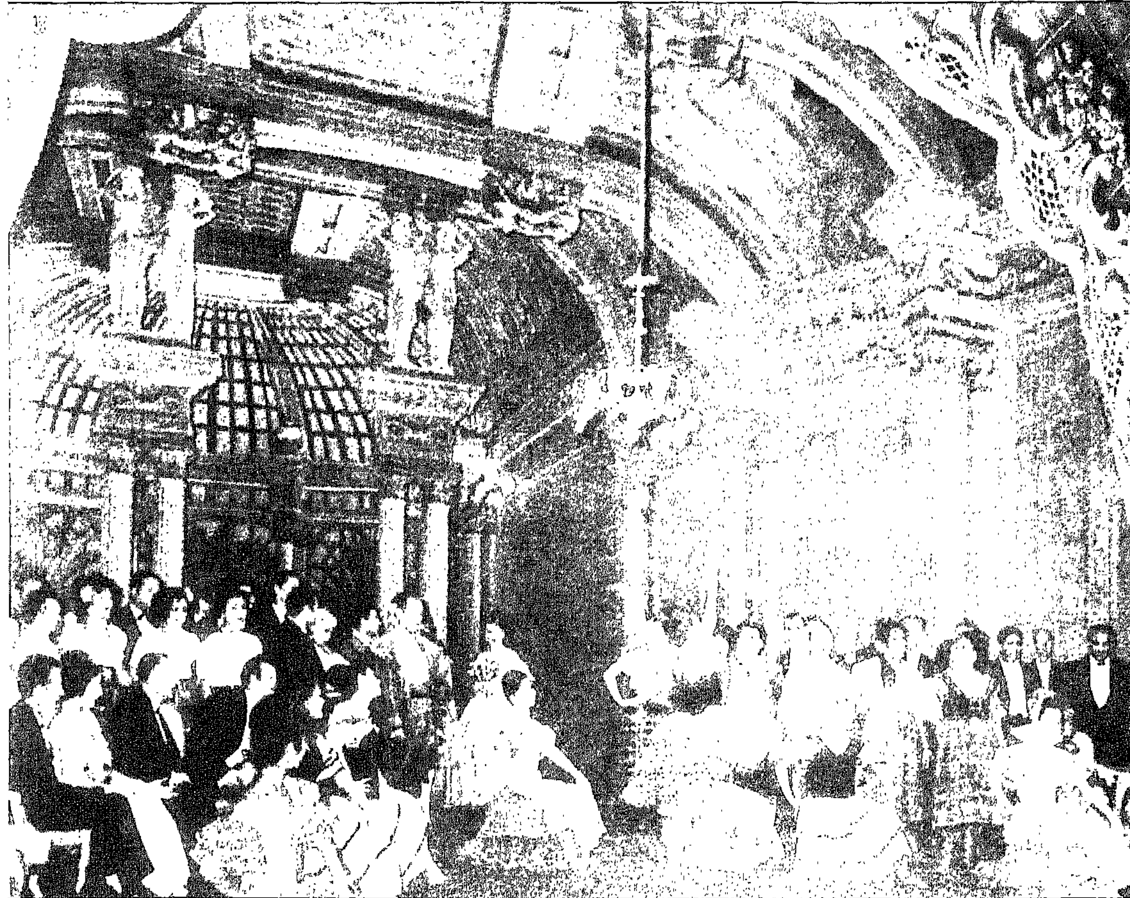


Geilane Rathle ▶



Ettore Cordone ▶







موسم أوپرا بلجراد ١٩٦١: L'OPÉRA DE BELGRADE (1961)

أوپرا: الأمير إيجور - دون كيشوت.

باليه: أسطورة هوخريت - موعد فى لويز ڤيل - الكعكة.

الموسم الأول لأوپرا بلجراد ١٩٦٢: L'OPÉRA DE BELGRADE(1962)

فرقة أوپرا بلغراد مع أوركسترا السيمفونى وكورال أوپرا القاهرة - قائد الأوركسترا: دوشان ميلادينوڤتش.

أستاذ الكورال: ڤيتوريو باربييرى

برنامج الموسم:

أوپرات: يوچين أونيجن (تشايكوفسكى)

دون كيشوت (ماسنيه)

باليه: رقصات التتار (بورودين: من أوپرا البرنس إيجور)

سيمفونية (بيزيه) الحب الساحر (فايا)

أدوار غناء فردى من أعضاء كورال أوپرا القاهرة:

أميرة كامل - ڤيوليت مقار - سلمى كتليكيان - أنطوان وانيس - يوسف عزت

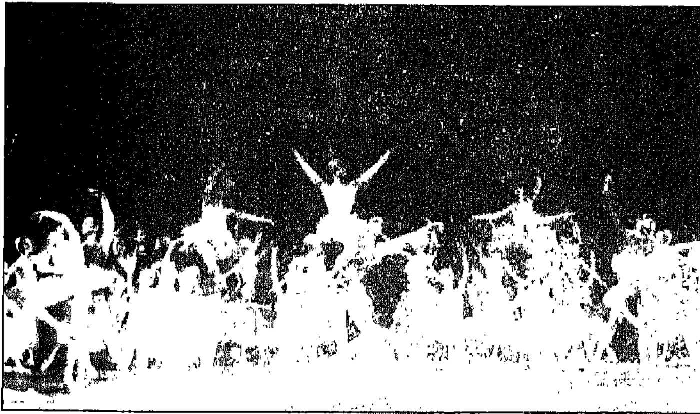
ديكور من أوپرا القاهرة:

جمال زكى - على سعد الدين - عبد الله العيوطى - سكينة محمد على - حياة درويش - شويكار عكاشة - سهير الطوخى.

أزياء: دانيتسا چوراسكوڤيتش (پلتيكس) - أحمد عفيفى.

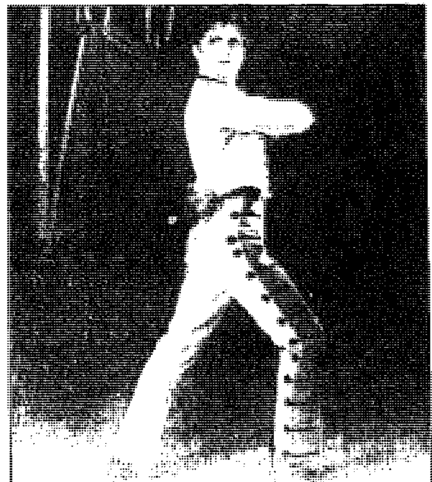


منظر من باليه الحب الساحر



منظر من باليه سميفونية بيزيه

▼ دوشان ترنيميتش (الحب الساحر)





ميرا سانينا
Mira Sanjina



ايفتسا جانزا
Ivica Ganza



دانيتسا چوراسكوڤيتش
(پلتيكس)

الاصوات النسائية من
كورال اوبرا القاهرة

سوبرانو

مزو سوبرانو

التو

باريتون

باص

سوبرانو

افراد فريق الكورال

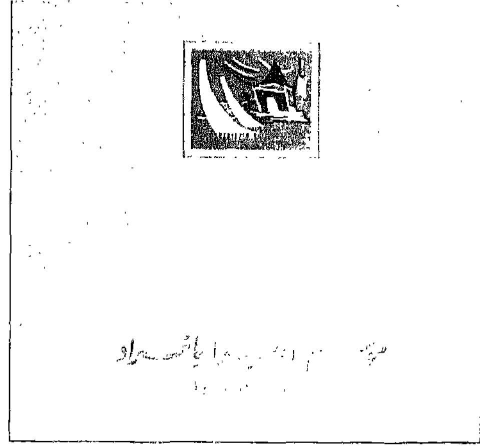
تينور أول

محمود نعيم

محمد زكي نصار — صلاح ابراهيم

انطوان وانسى

فرقة الكورال



الموسم الثـانى لأوپرا بلجـراد ٩٦٢ Saison De L'Opéra De Belgrade (1962)

بالاشتراك مع أوركسترا القاهرة السيمفونى وفرقة كورال الأوپرا.

أوپرات : مدام بترفلاى (پوتشينى)

بوريس جودونوف (موسورجسكى)

الخطيبة البديلة (سميتانا)

دعونا نعمل أوپرا (بريتن للأطفال)

قائد الأوركسترا : دوشان ميلادينوڤيتش - أحمد عبيد

أستاذ الكورال : إيتورى كوردونى

جويدو نيكوليتى (بيانو)

مشرف الفرقة : فرج العنترى

وفى الأدوار الفردية من المواطنين : غالية راشد - ڤوليت مقار - أميرة كامل - نبيلة عريان - زينات زكريا - عفت عزت - كيتى فيلاكوريدس.



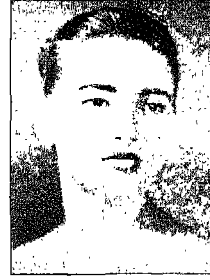
ميروسلاڤ شانجالوڤيتش



مشهد من أوپرا بوريس جودونوف



رادميلا باكوتشڤتش



غالية راشد



ڤيوليت مقار



أميرة كامل



نبيلة عريان



كيتى فيلاكوريدس



زينات زكريا



عفت عزت



موسم الباليه السوفييتى : Novosibirsk Ballet (1962)

(مسرح نوفوسيبرسك) بالاشتراك مع : أوركسترا القاهرة السيمفونى بقيادة كوبيلوف وفرقة كورال الأوبرا بقيادة بارييرى ومعهد الباليه، إشراف عنايات عزمى.

البرنامج :

كسارة البندق (تشايكوفسكى) - أسطورة الحب (عارف ميليكوف)

زهرة الصخور - الفصل الثانى (پروكوفييف) - بحيرة البجع (الفصل الثانى) : تشايكوفسكى

شواطئ السعادة (سيادا ڤيكيا) - رقص التتار (من أوپرا البرنس إيجور) بورودين

من أطفال معهد الباليه فى الأدوار الفردية (كسارة البندق):

مارى عبد الملك - عبد المنعم كامل - رضا شتا - ماجدة حمدى - طارق صالح - هانزاده فيظى - نادية حبيب.


منى الخطيب


ماجدة حمدى


هانزاده فيظى


نادية الوطنى


مارى عبد الملك


نادية حبيب

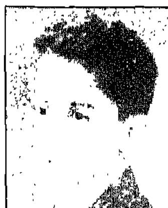

ليلى أمين


هناء يوسف

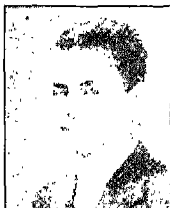

وجيه يوسف


يسرى عبد الله


أحمد شكرى

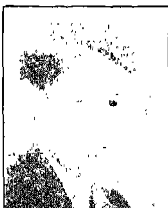

محمد منصور


محسن شطا


صفوت عبد الملك


عصمت عبد الله


عبد المنعم كامل


رضا شتى


عاصم الهنيدى


طارق صالح

Saison Lyrique Allemande (1962)
avec le concours de:
L'Orchestre Symphonique du Caire
Les Choeurs de l'Opéra du Caire

الموسم الألمانى للأوبرا

مارس ١٩٦٢:

بالاشتراك مع أوركسترا القاهرة السيمفونى وفرقة كورال الأوبرا

فى الموسم:

اختطاف من السراى (موزار) - فيديليو (بيتهوفن) - ڤالكيرى (ڤاجنر)

الوطواط (أوبريت يوهان شتراوس)

قادة الأوركسترا: A. Gruber-H.Kast

THEATRE DE L'OPERA
Du 14 au 31 Mars 1962
OPERA ALLEMAND
L'ORCHESTRE SYMPHONIQUE DU CAIRE
ET
LES CHOEURS DE L'OPERA DU CAIRE
ENLEVEMENT AU SERAIL
FIDELIO
CHAUVE - SOURIS
WALKURE

الموسم الغنائى الإيطالى (مارس ١٩٦٣)

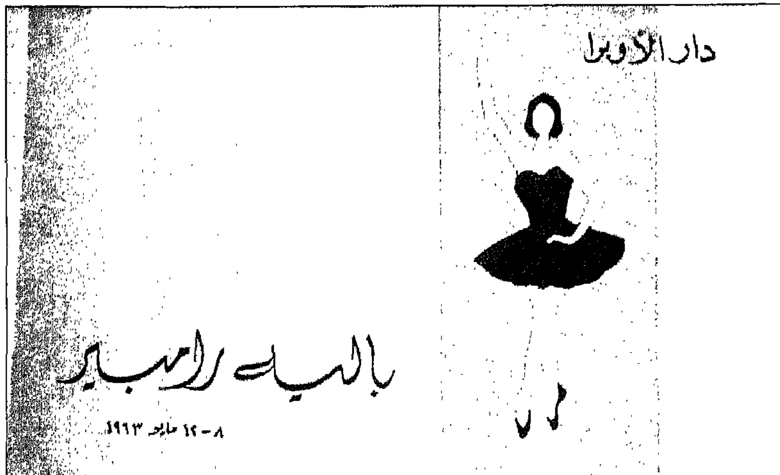
Sison Lyrique Itlienne (1963)

L'Orchestre Symphonique du Caire
Choeurs de L'opéra du Caire
Maître, Choeurs: V. Barbieri - E. Cordone
Ballet do l'Opéra de Rome

أوبرات:
عايدة - لابوهيم - لاترافياتا -
حلاق أشبيليه - أندريه شينييه -
أكسير الحب

Chefs d'Orchestre:
Bruno Rigacci, N. Annovazzi, D. Belardianelli
Régie: R. Frusca, C. Azzolini

Interprêtes:
F. Cavalli, A. Lazzarini, O. Moscucci, M. Dalla Spezia - M. L. Cioni, V. Montanari, R. Gigli, F. Tagliavini, G.G. Guelfi, A. Galié, S. Puma, S.Verlinghieri



Ballet Rambert
Conductor: D. Ellenberg
Pianist: C. Preedy
leader: B. Carelle

(مايو ١٩٦٣)

باليـــه: كوپيليا (ليو ديليب) - فاساد (وولتون) - چيزيل (آدم) - الحوريات (شوپان) - الشقيقان (دونايني) - ليلة شتاء (رحمانينوف)



LENINGRAD BALLET (1963)

موسم باليه لينينجراد

بالاشتراك مع أوركسترا القاهرة السيمفونى

قيادة الأوركسترا : يورى بوجدا نوف.

أولجا بيرج

فى البرنامج :

* بحيرة البجع (تشايكوفسكى)
* الفاتنات السبعة (كارا كارايف)
* منوعات (أ)
* منوعات (ب)

الموسم الغنائى الإيطالى : Saison Lyrique Italienne (1964)

بالاشتراك مع

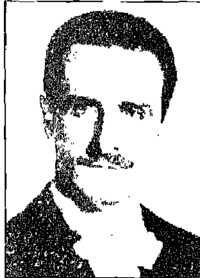
أوركسترا القاهرة السيمفونى وفرقة كورال الأوبرا

أوبرات الموسم:

* عايدة - حفل رقص تنكري (ڤيردى)
* لوتشيا دى لامورمور (دونيزيتى)
* كارمن (بيزيه)
* فاوست (جونو)
* كاڤاليريا روستيكانا (ماسكانى)
* بالياتشى أو المهرجون (ليونكا ڤاللو)


برونو ريجاتشى


فرانكو مانينو


دانيللو بيلاردينللى


نيكولا ريشينيو


انالورو


تالياڤينى

ترجمة الأوبرات إلى اللغة العربية

وكانت وزارة الثقافة فى عام ١٩٦٠، قد رأت تقديم تجربة المهندس إبراهيم رفعت بصورة غير مسرحية (بقاعة النيل: شارع بنك مصر).

وهنا يقف معنا بين المجموعة التى شاركت فى الأداء: منار أبو هيف (سوپرانو) وستاثى اليونانى (تينور) وإيجون (بايتون) وعازفة البيانو: مدام سيڤيرى وكلهم من الإسكندرية.. ثم الناقد الموسيقى: أ. چناوى

(المحرر الصحفى: محمود خطاب).

وفى عام ١٩٦٤ قدمت الأوپرا كاملة بدار الأوپرا!



أوپرا: لاتراڤياتا (بالعربية)

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
لفنون المسرح والموسيقى

دار الأوبرا

لاترافياتا
لفيردي
عن قصة غادة الكاميليا
لاسكندر دوماس الابن
تعريب الدكتور المهندس ابراهيم رفعت

توزيع الأدوار: منار أبو هيف، نبيلة عريان - زينب وصفي وسهير حشمت - أنچيل يوسف وعواطف عوض وفوقية عبد الحفيظ
يوسف عزت وچورچ خريستو وحسن كامي - يوسف صباغ وأسامة خورشيد وحسني محمود - خميس صبحي وجريجوار بارتميان - محمد حرب ومحمد عابد - شعبان وموريس كوريچ - أنطوان وانيس وجابر البلتاجى - سعيد الألفي وفتحي الصنفاوي
باليه: سونيا إيڤانوڤا
إدارة مسرحية: شكرى راغب
قائد الأوركسترا: أحمد عبيد



لاترافياتا باللغة العربية



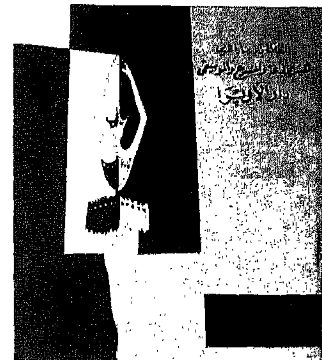
زينب وصفى - جابر البلتاجى - محمد عابد ◄

باليه أوبرا المجر

تشايكوفسكى: بحيرة البجع (الفصل الثانى + منوعات) بيلا بارتوك: الأمير الخشبى - الصينى العجيب.

Ballet De L'Opéra De Hongrie (1964)
avec le concours de:
L'Orchestre Symphouique Du Caire
Chef d'Orchestre: **Andras Korodi**

► آدم: چيزيل (الفصل الثانى + منوعات)



فرقة النجوم للباليه:

Liane Daydé, Michel Renault
(Opéra de Paris) - Rosella Hightower,
Anddré Prokovsky (Marquis de Cuevas)

البرنامــــج من موسيقى : شوپــان، تشايكوفسكى، لالو، مينكوس-
قائد الأوركسترا : چان ميشيل داماس

الموسم الغنائى الإيطالى (١٩٦٥)

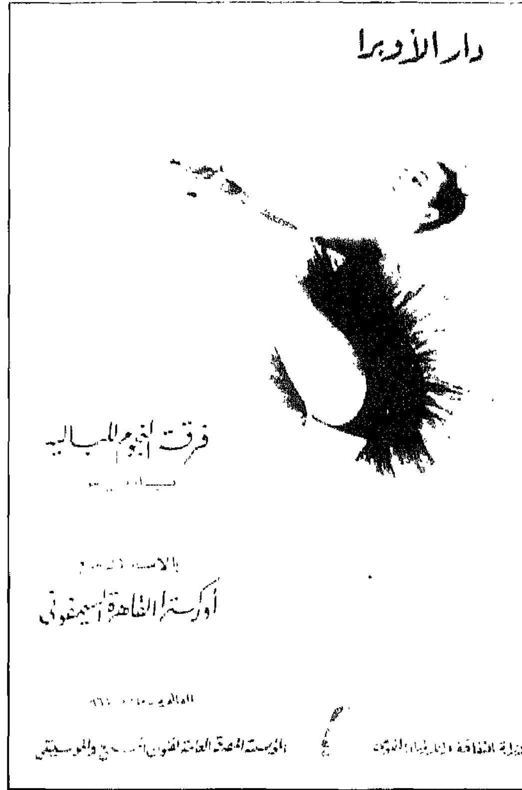
Saison Lyrique Italienne (1965)

ڤيردى : ريجوليتو-تروڤاتورى-عطيل
موزار : زواج الحلاق (فيجارو)
پوتشينى : لابوهيم-ماسنيه : ڤيرتر

Interprètes:
F.Tagliavini, E.Bastianini,
A. Galié, N. Boyd, O. Moscucci, Parada,
M.Dalla Spezia. M. Pirazzini, M. Sunara..
G. Rashed, Amira Kamel, R.El Hefni, V. Makkar

Chefs D'Orchestre:
M. Wolf Ferrari, L.Gavarini, N.Bonavolonta,
Coro:A. Magnato

Régie:
R. Frusca, Azzolini, Marasca
1er Danseur et Choréog: F. Morucci



وزارة الثقافة

دار الأوبرا

مسرح الاتيليه الفرنسي

« باريس »

١١ – ٢٢ أبريل ١٩٦٦

فى البرنامج :
- موعد فى سانليس (چان أنوى)
- قصر فى السويد (فرانسواز ساجان)

* إخراج : أندريه بارساك
* إدارة مسرحية : أندريه بوكرى
* ديكور وملابس : چاك ديپون
* مدير الفرقة : ميشيل باراساك

Sasison Lyrique Italienne (1966)

الموسم الغنائى الإيطالى بالاشـتـراك مع : أوركسـتـرا القـاهـرة السيمفونى وفرقة كورال الأوپرا ومعهد الباليه

L'E.A.Teatro "La Fenice" Venezia

AIDA - Le Barbier de Séville - Madame Butterfly - La Traviata - Carmen
Régie: M.S. Marasca - R.Frusca - A.Arbasino
Chefs d'Orchestre: N.Rescigno - L.Gavarini - F.Mannino - D.Belardinelli
Mº Coro: A.Corsi
Dir. Scène: Shoukry Ragheb

CAST:
Nicola Rossi-Lemeni-Zenaida Pally-U.Borsò-Maria Chiara-Antonio Galié-Joice Blackam-O.Moscucci-M.Mascara-S.Verlinghieri-S.Puma- F.Pugliese-S.Catania-A.Valentini-Simona Dall'Argine-Mietta Sighele-M.Rocchi-Rita Bezzi-Breda-F.Miolli-V. Luchetti-G.Mazzini-U.Frisaldi-C.Giustini-A.Rinaldi-Bruno Grella

موسم باليه سرايڤو Sarajevo Ballet (1965 / 1966)

بالاشتراك مع : أوركسترا القاهرة السيمفونى

البرنامج :

* روميو وچولييت (پروكوفييف)
* أسطورة أوخريد (هريستيش)
* منوعات (شتراوس : الدانوب الأزرق)

إخراج وتصميم رقصات : ب. هورڤات - ب. كوأتشيف

قيادة الأوركسترا : إيڤان شتايتسر



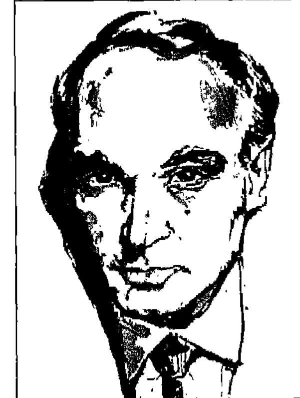


The Harkness Ballet (New York) - 1966
Cairo Symphony Orchestra
Conductors:
Kresimir Sipusch , Andrew Apostle

باليه هاركنس:
المدير الفنى : چورچ سكيپين
الراقصة الأولى : مارچورى تولتشيف
فى البرنامج: كونشيرتو سان صانص - سارا باند - عيد الرماد - وقت ليس فى الحسبان - هايلاند فير - أريادن - بنات الحديقة - دافنس وكلويه



ريبيكا هاركنس ◄



► دونالد سادلر

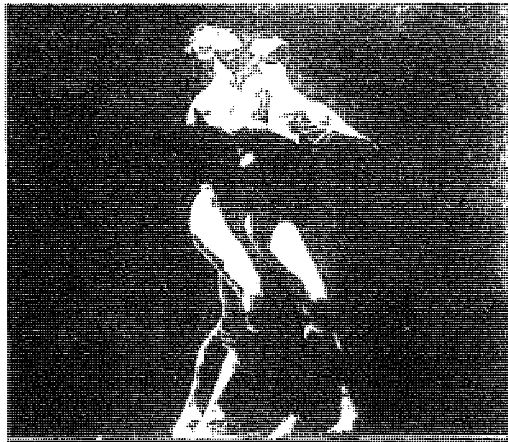




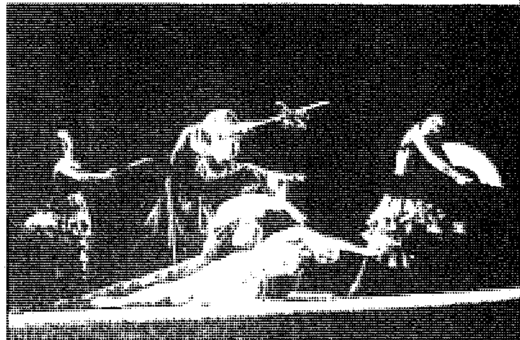
الراقصة مارچورى تولتشيف

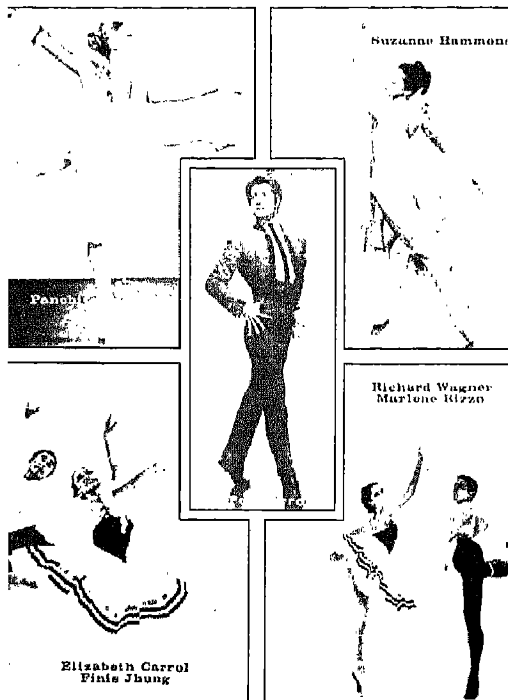


▶ چورچ سكيبين








Suzanne Hammond
Panchi
Richard Wagner
Marlene Rizzo
Elizabeth Carrol
Finis Jhung











Saison Lyrique Egypto - Roumaine (1966/1967)

موسم غنائى رومانى مصرى (تجربة جديدة) عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧

بالاشتراك مع :

أوركسترا القاهرة السيمفونى

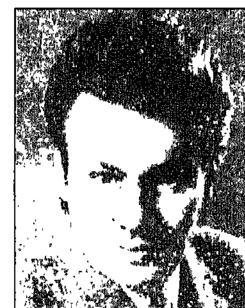
سوليست وكورال الأوبرا

الأوبرات :

مدام بترفلاى - كارمن - تروڤاتورى - حفل ريسيتال غناء)



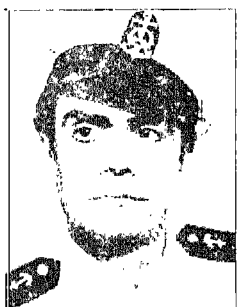




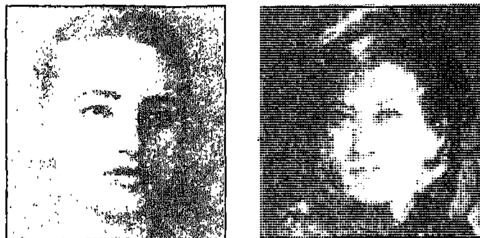
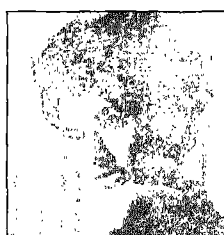
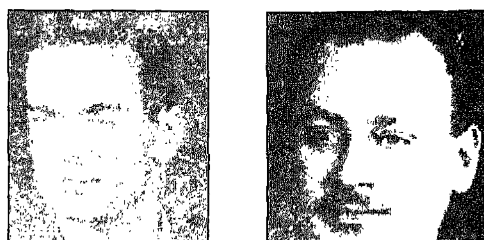
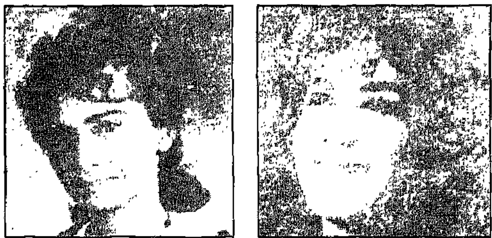
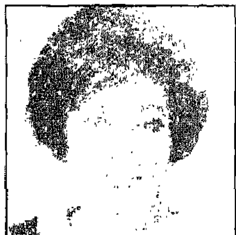


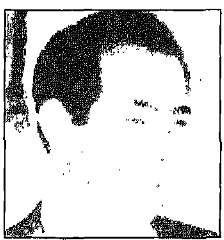
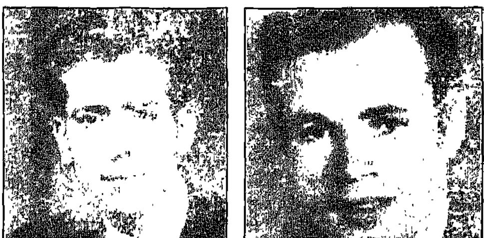


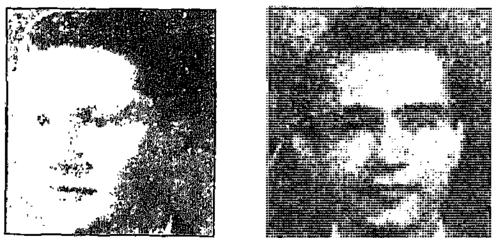


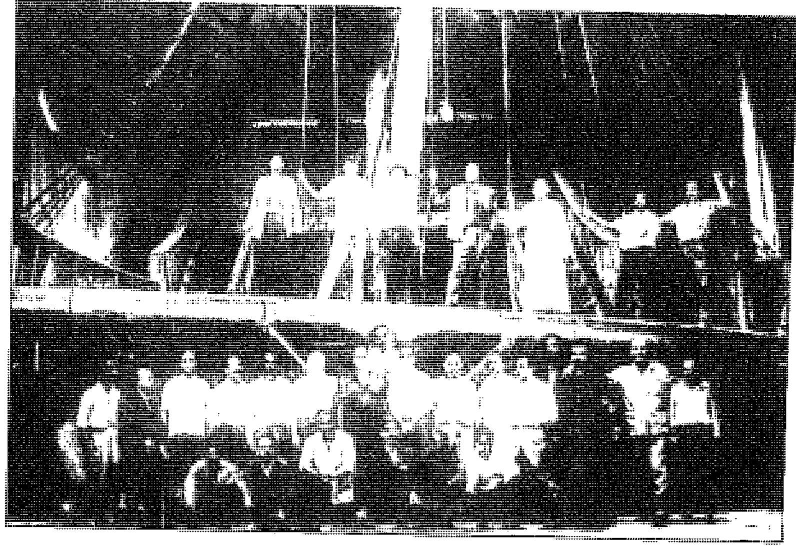



من أوپرا القاهرة فى الموسم



وسحبنا سفينة الرحالة «ڤاسكو دا جاما» فى أوبرا «الأفريقية» التى تم تصنيعها لهذه الأوبرا فى عام ١٨٧٦، حيث بدت لأخر مرة على خشبة المسرح فى عام ١٩٦٦، قبل فكها وتجزئتها لتخلى مكانها فى مخزن المناظر لغيرها مما تطلبته المرحلة الجديدة والأخيرة فى عمر الدار من إضافات!

THEATRE DE L'OPERA
LE CAIRE

Jeudi 20 avril 1967, à 21 heures

RECITAL

DONNÉ PAR



GINETTE DOYEN et JEAN FOURNIER

Centre Culturel Français — Fondation des Théatres et de la Musique

فى البرنامج:

ثنائى بيانو وڤيولينة:
چينيت دوايان
چان فورنييه

دار الاوبـرا

فرقة موريس إيسكاند
مدير عام الكوميدى فرانسيز

القاهرة ١١ ١٩ فبراير ١٩٦٧
الأسكندرية ٢١ ٢٢ (مسرح سيد درويش)

وزارة الثقافة — مؤسسة فنون المسرح والموسيقى

فى البرنامج:

- Le Cid (Corneille)
- Mon Père Avait Raison (Sacha Guitry)



كارمينا بورانا

غنائية :

بحضور المؤلف : **كارل أورف**

Carmina Burana

Orchestre Symphonique Du Caire

Choeurs De L'Opéra (Maître: A. Corsi)

Chef d'Orchestre:

Otakar Trhlik

بالتعاون مع معهد جوته

◄ أكتوبر/ نوفمبر ١٩٦٦)

حفل افتتاح قاعة سيد درويش للموسيقى
(الأحد ٢١ مايو ١٩٦٧)
أوركسترا القاهرة السيمفونى

البرنامج:

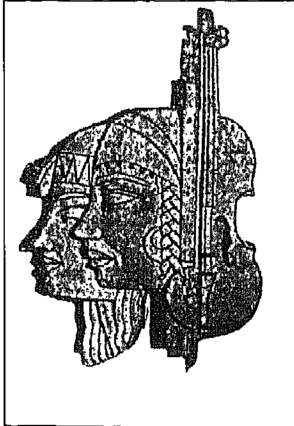
* هيندل : متتالية (موسيقى الماء)
* أبو بكر خيرت : موشح للكورال والأوركسترا بالاشتراك مع فرقة كورال الأوبرا
* ليست : كونشرتو رقم ١ للبيانو والأوركسترا

عازفة البيانو (سوليست) : **نيكول آنريو**

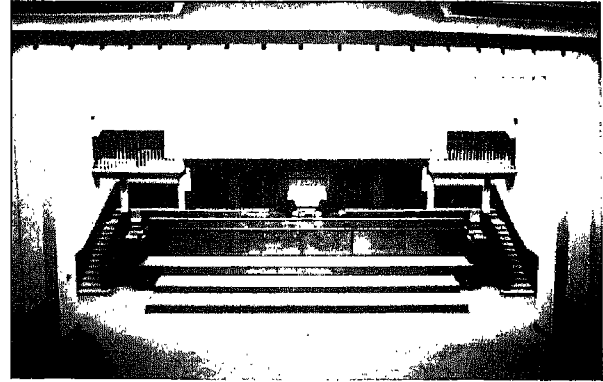
* سان صانص : السيمفونية رقم ٣ من مقام دو صغير (للأورغن والأوركسترا)

عازف الأورغن : يان ڤالاخ (تعزف لأول مرة بمصر)

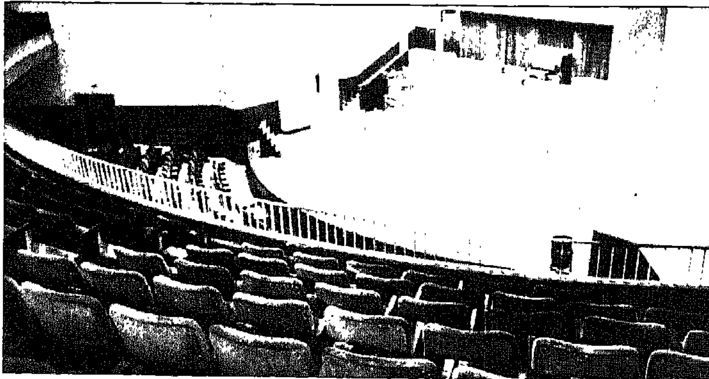
قائد الأوركسترا: شارل مونش



لوحة الواجهة
(الفنان أحمد عثمان)



▲ الأورغن على المسرح





حفلات أوركسترا درزدن الفيلهارمونى

قيادة : هاينز بونجارتس

بدار الأوبرا بالقاهرة وبمسرح سيد درويش بالأسكندرية (١٩٦٧)

Dresden Philharmonic Orchestra

(Mº Prof. H. Bongartz)

* البرنامج الأول : من مؤلفات :
ريتشارد شتراوس - موزار - بونجارتس - برامس
سوپرانو : اديل ستولتى
* البرنامج الثانى : من مؤلفات :
ڤيبر - هايدن - كورتز - دڤورچاك
سوليست ترومپت : ڤولفجانج ستيفان
* البرنامج الثالث : من مؤلفات بيتهوفن :
افتتاحية إيجمونت - سيمفونية رقم ٢ - سيمفونية رقم ٥

◄ المايسترو هاينز بونجارتس

مؤسسة فنون المسرح والموسيقى

دار الأوبرا

القاهرة



مسرح ماندراجور بباريس

الفرقة الفرنسية الألمانية

إدارة : ڤولفرام مهرينج

المعهد الثقافى الألمانى
معهد جوته

المركز الثقافى الفرنسى
(المنيرة)

فى البرنامج : La Marmite (Plaute)
Woyzeck (Büchner)

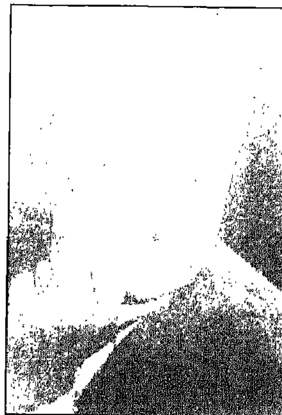


أوبرات الموسم:

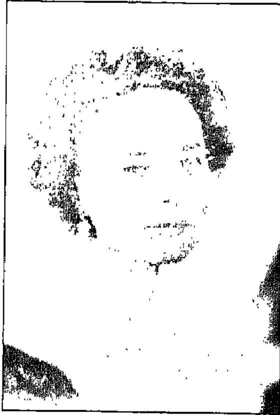
ريجولِيتو - أورفيو - مشهد من الجسر (روسيلليني) وتقدم للمرة الأولى بمصر - أوتيللو - توسكا! وتجلت قمة الليالى فى الموسم مع رائعة پوتشينى «توسكا» وذلك فى إطار تاريخى للثلاثى تيتو جوبى (باريتون) فريد زمانه فى عالم الأوبرا زميلاً ووريثًا لمواطنه چينو بيكى الذى سبقه إلى أوبرا القاهرة فى أيامها المجيدة - وذلك مع أنطونيو جالييه (تينور) الصديق القديم لأوبرا القاهرة وثالثتهما ماجدة أوليڤيرو (سوپرانو) أو «سيدة الغناء» كما أسموها فى إيطاليا، والتى بعد أن تجاوزت الآن التسعين من عمرها، صارت من شهود الصعر على أمجاد فن الأوبرا وشهدناها أخيرًا فى برنامج تليڤزيونى إيطالى تروى ذكرياتها مع أساطين الغناء فى القرن العشرين مثل: كاروزو و. بنيامينو چيلى وتيتو سكيپا! وأكمل الرباعية معهم فى «توسكا» پاولو ماتسوتا..

وقد كان لنا حظ المشاهدة لأوپرا «توسكا» مع نفس المجموعة فى عام ١٩٦٠ بروما، وذلك فى أكبر ساحات العرض فى الهواء الطلق فى العالم، بالمنطقة الأثرية فى حمامات الإمبراطور «كاراكالا» كتقليد مستمر للعروض الصيفية منذ العشرينات، وحتى أوقف ذلك أخيرًا في موجة الحفاظ على الآثار من التلوث بأنواعه!





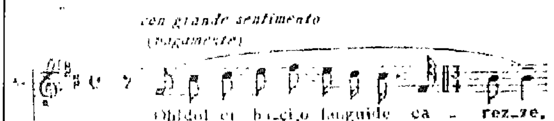
تيتو جوبى
Tito Gobbi



ماجدة أوليڤيرو
Magda Olivero (Tosca)



◄ التينور «جالييه»





پاولو ماتسوتا
▲ Paolo Mazzotta



البالبرينا مايا سليم (لقطة صحفية)

الموسم العربى الأول للأوبرا والباليه أول تجربة لتقديم أوبرا بعناصر مصرية كاملة

أوبرا أورفيو (جلوك) ORFEO

* أوركسترا القاهرة السميفونى
* فرقة كورال أوبرا القاهرة
* فرقة باليه الأوبرا ومعهد الباليه

اشراف فنى : أدريانو كورسى

أستاذ الباليه : ك . شاتيلوف

قيادة أوركسترا : أحمد عبيد (بيانو : سمير عزيز)

أدوار رئيسية :

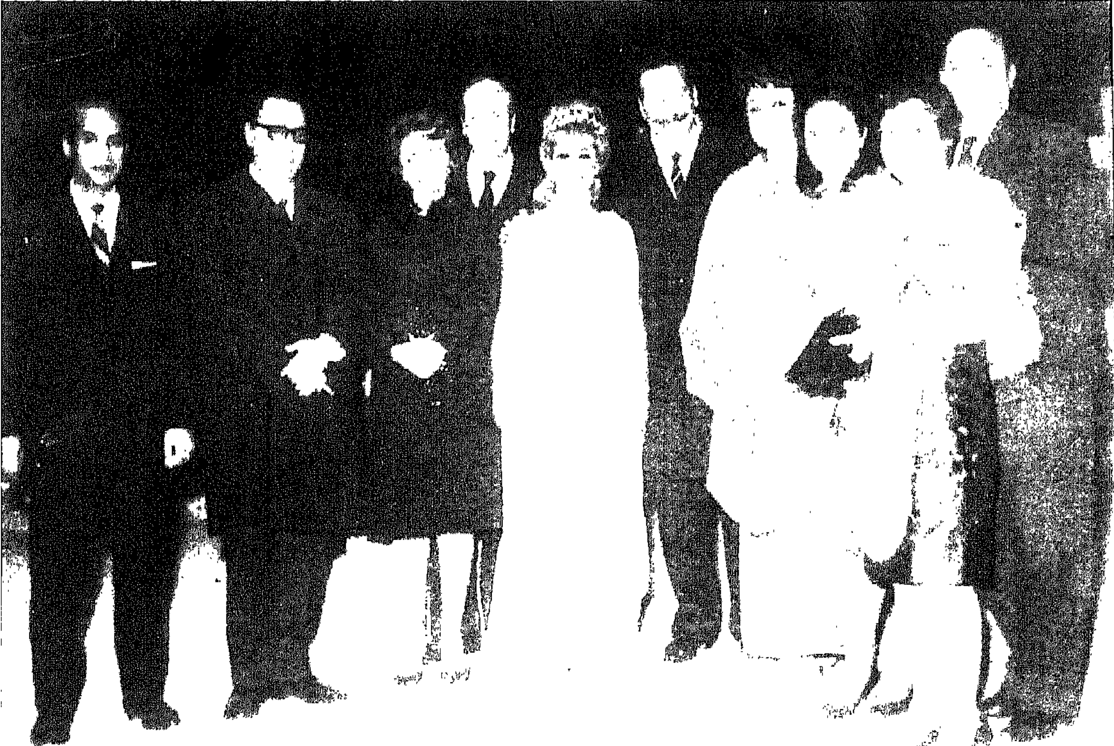
ڤيوليت مقار - أميرة كامل - عواطف الشرقاوى - رتيبة الحفنى - نبيلة عريان - ريجينا يوسف .

مايا سليم - عبد المنعم كامل

إدارة مسرحية :

عبد الله العيوطى (مساعد مخرج : أمين فكرى)

باليه چيزيل (قيادة : شعبان أبو السعد)



باليه لننجراد - كيروف
بالاشتراك مع : أوركسترا القاهرة السيمفونى
Ballet Leningrad - Kirov (1968)

موسم ١٩٦٨:

فى البرنامج:

بحيرة البجع (تشايكوفسكى)، زهور الصخور (پروكوفيف)، منوعات (أ، ب)

قيادة : يورى جماليه

K. Fediceva - Y. Soloviev I. Zubkovskaya - N. Makarova - K.E. Bregvad - I Gensler - A. Sapogov - O. Zabtkina - K. Rassadin.

الموسم الغنائى الإيطالى : Saison Lyrique Italienne (1968)

ENSEMBLE Du Théâtre "La Fenice" Venezia
ORCHESTRE SYMPHONIQUE Du CAIRE
CHOEURS DE L'OPERA Du CAIRE

REPERTOIRE:
La Traviata - La Bohème - Don Giovanni - Andrea Chénier

Chefs d'Orchetre:
Manno Wolf -Ferrari - Nicola Rescigno

Maître des Choeuss:
Adriano Corsi - Aldo Magnato

Cast:
F.Tagliavini - G.Giacomo Guelfi - G.Limarilli - B.Trotta - G.Grimaldi - M. Zanasi - G. Colmagro - L.Saccomani - U.Trama - S.Carroli - S.Vogel - A.Zerbini - C.Maestrini - L.Puggelli - V.Zeani - M.Chiara - B.Rizzoli - R.Pallini - A.Bazzani - M.Allegri.





▲ ومن أبرز الفرق الشعبية فى مواسم الستينات الزاهرة كانت فرقة «مازوفشى» البولندية ومعها فرقة «البانتوميم» الرائعة (بمسرح الأزبكية)

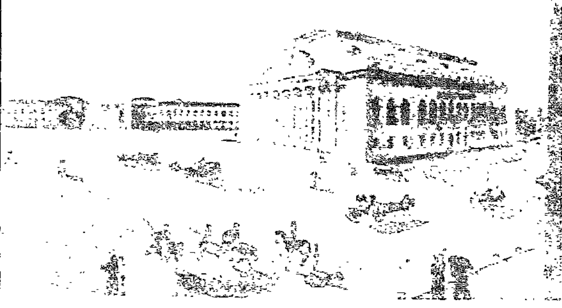


▶ فى البرنامج :
- فيدر (راسين)
- الشر يستطير (أو ديبرتى)
- كاليجولا (ألبير كامو)

Le Caire Millénaire : Le Caire Millénaire : Le Caire Millénaire : Le Caire Millénaire

LE MOIS SOVIETIQUE AU CAIRE

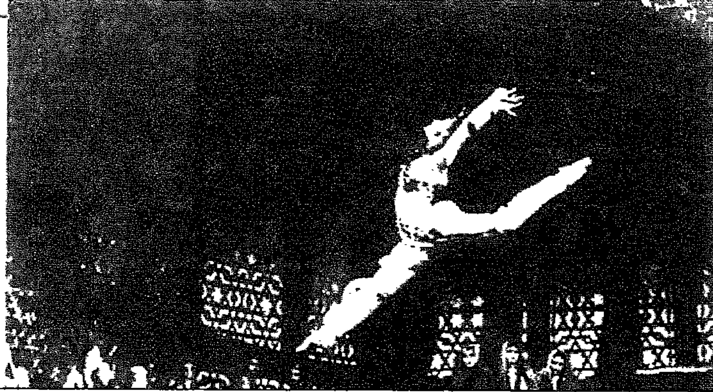
Le Bolshoi



par Zeinab Abdel Aziz







حفلات ألفية مدينة القاهرة والعيد المئوى لدار الأوبرا (١٩٦٩)

Moiseev Folk Dance Company

▶ **فرقة مويسييف للرقص الشعبى**

البرنامج:

- عزف بيانو من مؤلفات :
  رحمانينوف - تشيدرين - شوپان
- أغنيات من أعمال :
  جلينكا : من أوپرا إيڤـان سـوزانين -
  شوستاكوڤيتش : أغنية شعبية
- رقصـات من أوزبكسـتـان وخـاتشـا دوريان من باليه «جايانيه» وأسبانية (فايا) :
- أغنيات من أعمال :
  تشـايكوفسكي وأرينسكي وأغنيـة شـعـبيـة من أوكرانيا ومن روسيا (ترويكا)
- ثنائى راقص من «كسارة البندق»



The Moiseev Folk Dance Company

«THE STATE ACADEMIC FOLK DANCE COMPANY OF THE U.S.S.R.»

CAIRO — JANUARY 1969

Foundation of Theatre and Music — Ministry of Culture

Music and Opera Department





موسم نجوم المسرح السوفييتى



Stars of The Soviet Stage

CAIRO — JANUARY 1969

Foundation of Theatre and Music — Ministry of Cultur

Music and Opera Department



خوخلــوف



ڤولكوڤــا



كوندرا تييڤا



اڤتيخوڤا و فاتيڤ



ميخيــڤ



ايتشنكــو



فــرولـوف



تشيركاسـوف

كوميدى فرانسيز Comédie Française

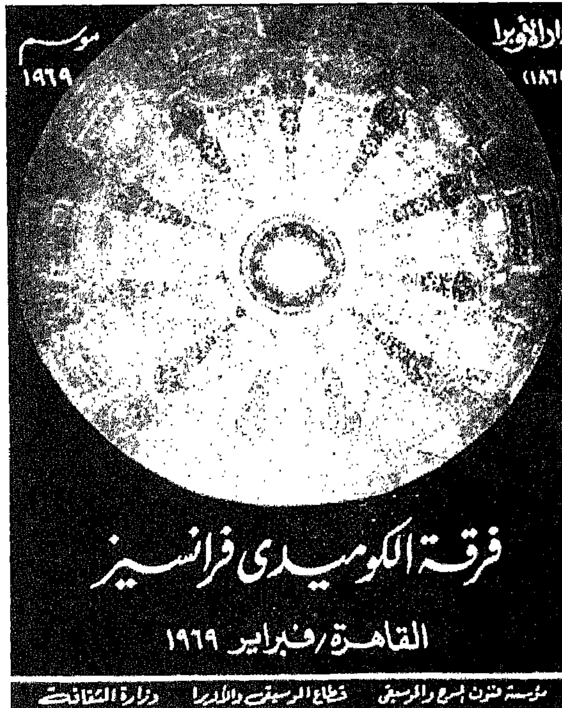
فى البرنامج:

- بريتانيكوس (راسين)
  إخراج : ميشيل فيتولد
  (ديكور وأزياء : فرانسين جايار - ريزلر)
- إليكترا (چان چيرودو)
- أمسية شعرية

موريس إسكاند (مدير عام الفرقة)	Maurice Escande
آنى ديكوه	Annie Ducaux
چورچ شامارا	Georges Chamarat
پول إيميل دبيير	P.E. Deiber
فرانسوا شوميت	F. Chaumette
چينيڤييف كازيل	G. Casile
ميشيل ديشوسوا	M. Duchaussoy
چاك ديستوپ	J. Destoop
فانسواز كانيل	F. Kanel
رينيه أريو	R. Arrieu
ميشيل برناردى	M. Bernardi
پول نويل	P. Noelle
إديت جارنييه	E. Garnier


مشهد من مسرحية بريتا نيكوس


مدير الفرقة والفنانون





Ballet De L'Opéra De Paris
باليه أوبرا باريس

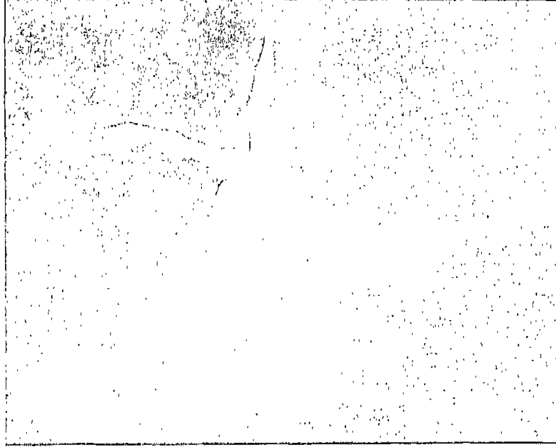
بالاشتراك مع أوركسترا القاهرة السيمفونى

مدير عام المسارح الفرنسية : أندريه شابو
المدير الفنى للفرقة : ميشيل ديكومبيه

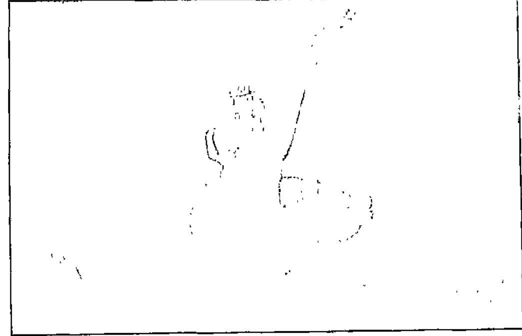
البرنامج:

- برليوز : أركاد (الأروقة)
- ليو ديليب : ثنائى من الفصل الثالث (كوپيليا)
- مارتان : سيمفونية فى أسلوب الكونشيرتو
- راڤيل : ثنائى من باليه : دافنيس وكلويه
- لالــو : متتالية بيضاء لسيرج ليفار

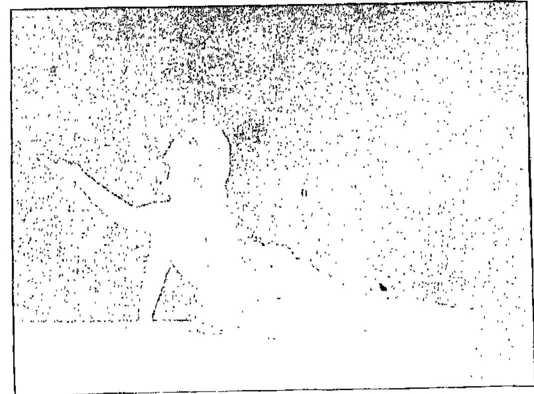
تصميم : سيرج ليفار
قيادة الأوركسترا : ريشار بلارو - ميشيل كيڤال



كريستيان فلاسى



كلود بيسى

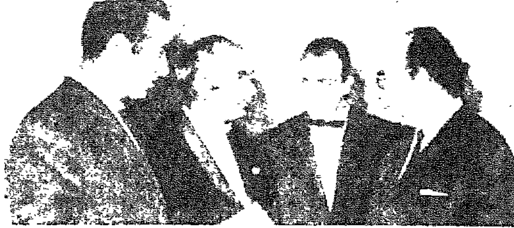


حفل ريسيتال بيانو



سامســون
فرانســوا
Samson
François

LA PREMIERE DECADE DU CONSERVATOIRE NATIONAL....





Le regretté Abu Bakr Khairat, fondateur du conservatoire national



Z. ABDEL - AZ







ألفية القاهرة ١٩٦٩ والعيد المئوى لدار الأوپرا

احتفال الكونسيرڤتوار بعيده العاشر مع العيد العاشر لأوركسترا القاهرة السيمفونى

وزارة الثقافة
المعهد القومى العالى للموسيقى
الكونسرفاتوار

حفل
موسيقى كبير
٥
يقدمه
تلاميذ المرحلة الاعدادية
بالمعهد

بقاعة سيد درويش : مدينة الفنون بالهرم

يقام الحفل فى تمام الساعة السادسة مساء يوم الأحد الموافق
٩ مارس ١٩٦٩

حفل المعهد القومى العالى للموسيقى الكونسرفاتوار
فى عيده العاشر (١٩٦٩)
يقدمه تلاميذ المرحلة الإعدادية بالمعهد
البرنامج
(إشراف العميد: إيراكلى بريدزى)

- بارتوك : رغداء عبد العزيز نظمى - السنة الثانية (فصل مارسيل متى)
- شومان : فاطمة عبد الكريم نمر - السنة الثالثة (فصل فريال الشمس)
- بوكيا : ثنائى سامى إبراهيم محمد وناصر فؤاد حلمى من السنة الأولى (فصل رأفت المصرى)
- هاندل : سامى إباهيم محمد (بيانو : إ. ديللوسترولوجو)
- هومل : خالد محمد فوزى - السنة الرابعة (فصل ڤنشنزو كارو)
- بـــاخ : چان أنطوان اسكندريان - السنة الخامسة (فصل نويمى ملكيان)
- تشايكوفسكى وديليب : نادية محمد حسن - السنة الثانية (فصل ف . إيڤانوف)
- باخ وبيتهوفن : هشام أحمد فوزى - السنة السادسة (فصل عائشة حمدى)
- بارتوك وباخ : راجح سامى داوود - السنة السادسة (فصل راشيل صليب)
- زاخارينا . لوللى . موزار : بسمة جمال عبد الرحيم - السنة الثانية (فصل ل . ياشڤيلى).

مصاحبة على البيانو : ميرا محمد صالح المهدى (السنة السادسة)

- بيتهوفن : إسماعيل صالح عبدون - السنة السادسة (فصل ڤنشنزو كارو)
- تشايكوفسكى وشوبرت : أحمد هانى اسماعيل الشلقانى - السنة الثانية (فصل اسماعيل الشلقانى)
- شوستاكوڤيتش وبورجمولر : نيڤارت ريتا معتمديان - السنة الخامسة (فصل ديللوسترولوجو)
- بيتهوفن : شامل منير عطيه السنة الخامسة (فصل مارسيل متى)
- كورال المرحلة الإعدادية - إشراف : درامبيان
- هاندل : نايرى ألبير كريديان - السنة السادسة (فصل نيڤارت دامديان)
- پرسل : عثمان محمد صالح المهدى - السنة الرابعة (فصل ل . ياشڤيلى)
- مارى وولش وشوبرت : مها أحمد كمال عبيد - السنة الأولى (فصل ناهد ذكرى)
- جوسيك : مها رفعت جرانه السنة الثانية (فصل ف . إيڤانوف)
- بيتهوفن : منى لمعى عزيز - السنة السادسة (فصل م . لوركوڤيتش)
- رقصة البجع الصغير : مها رفعت جرانه ونادية محمد حسن - السنة الثانية (فصل ف . إيڤانوف)
- شـــوبرت : تمارا إيراكلى بريدزى - السنة السادسة (فصل م . لوركوڤيتش)
- ديابيللى : راندا نبيل علوبة - السنة الرابعة ونيڤين نبيل علوبة (فصل أوجايسى)

دار الاوبرا

برنامج حفل افتتاح

اليوبيل الذهبى
١٩١٩ - ١٩٦٩
لاشتراك المرأة فى الثورة الوطنية

الاثنين ٣١ مارس ١٩٦٩ – – الساعة الحادية عشر صباحا

اليوبيل الذهبى لاشتراك المرأة فى الثورة الوطنية ١٩١٩
كلمات:

- مندوب رئيس الجمهورية (وزير الشئون الاجتماعية)
- السيدة بهيجة صدقى رشيد رئيسة لجنة العلاقات الدولية بجمعية هدى شعراوى
- وزير الشئون الاجتماعية
- مندوب جامعة الدول العربية ومندوبات الدول العربية
- مندوبات الاتحاد النسائى الدولى والمجلس النسائى الهنغارى والهند.
- كلمة رئيس تحرير دار الهلال : فكرى أباظة
- السيدة إحسان القوصى من رائدات الكفاح النسائى
- ذكريات عن الثورة للسيدة إستر فهمى ويصا

أوبـــرا برلين (ألمانيـا الديمقراطيــة)
(أوبرا وأوركسترا الدولة)

German State Opera
Berlin (G.D.R)
Così Fan Tutte -
Ariadne - Concert

مارس ١٩٦٩

البرنامج:

- أوبرا : هكذا هن جميعا (موزار)
  أريادنى (ريتشارد شتراوس)
- حفل سيمفونى من مؤلفات موزار





أوتمار سويتنر



زيجفريد فوجل



جونتر لايب





يؤاخيم فراير - قائد أوركسترا

باليه أوبرا القاهرة

(أبريل ١٩٦٩)

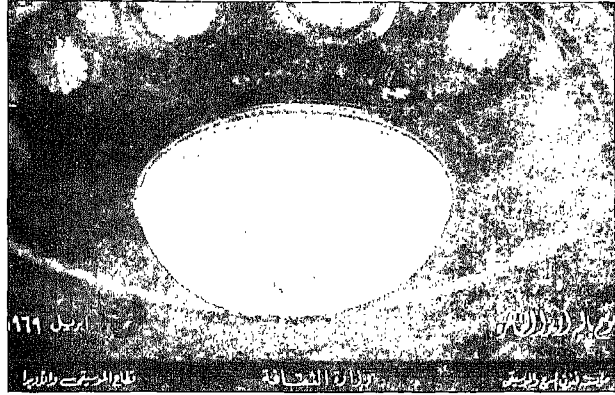
بالاشتـــراك مـــع

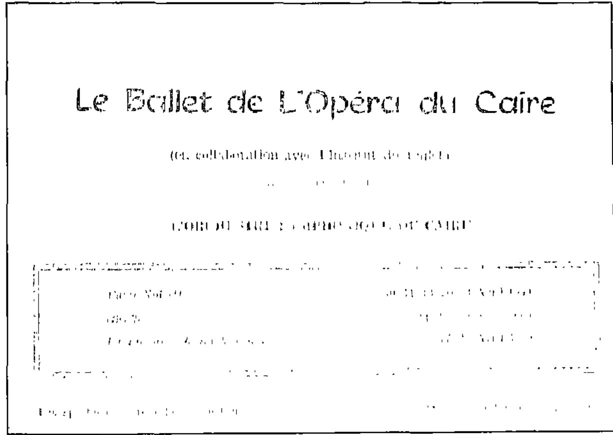
المعهد العالـــى للباليـــه

وأوركسترا القاهـرة السيمفونى

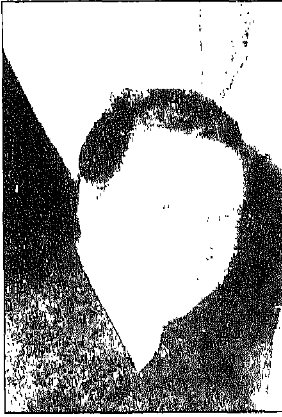
قائد الأوركسترا : شعبان أبو السعد

ادارة مسرحية : عبـد الله العيـوطى - سـامى رافع

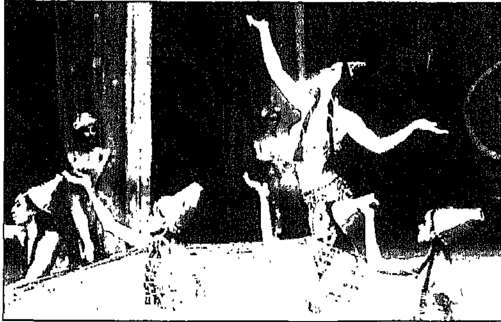




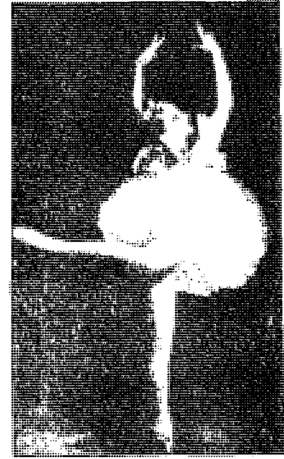
Le Ballet de L'Opéra du Caire



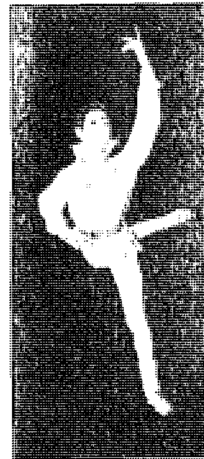
كونستانتين شاتيلوف
المشرف الفنى ومخرج العرض
وكبير الخبراء بالمعهد



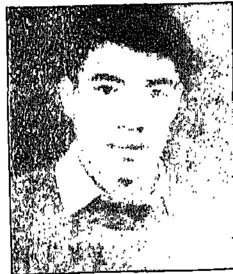
هانزاده فيظى فى باليه كسارة البندق



مايا سليم



عبد المنعم كامل



رضا شتا



ماجدة صالح

بـــدار الأوبرا :

فرقة أوبـــرا القاهرة

وفرقة كورال أوبرا القاهرة

بالاشتراك مع

أوركسترا القاهرة السيمفونى

أوبرا مدام بترفلاى — موسيقى بوتشينى

بقاعة سيد درويش للموسيقى

يوم السبت من كل اسبوع	حفلات سيمفونية
يوم الأحد ٢٠ ابريل	حفل رسيتال أورغن
مايو / يونيه	حفلات سيمفونية

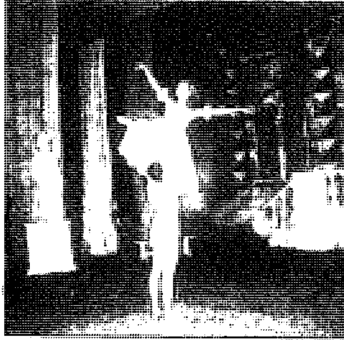
بقيادة : فرانز ليتشاور — جيكا زدرافكوفتش

بوريس باباندوبولو

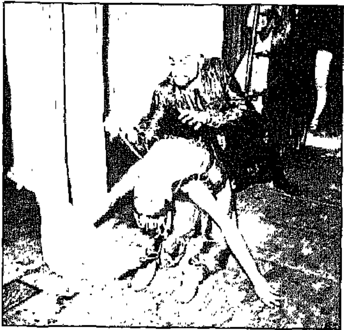
بمناسبة مرور عشر سنوات على انشاء أوركسترا القاهرة السيمفونى

فرقة الموسيقى العربية

الساعة ٧٫٣٠ مساء الخميس مرة كل اسبوعين



ماجدة صالح وعبد المنعم كامل



ديانا حقاق ورضا فريد : نافورة بخشى سراى



أحمد شكرى وصفوت عبد الملك : نافورة بخشى سراى



رضا فريد : نافورة بخشى سراى (مع مدير مسرح البولشوى : لاڤروڤسكى)



علية عبد الرازق : نافورة بخشى سراى



ودود فيظى : نافورة بخشى سراى (زاريما)



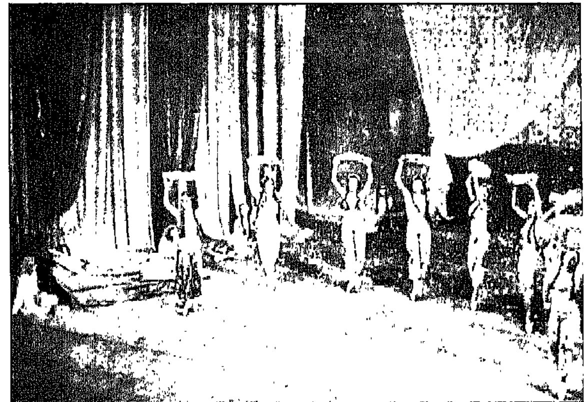


شعبان أبو السعد
قائد الأوركسترا





باليه جيزيل - الفصل الثانى مايا سليم وعبد المنعم كامل



باليه نافورة بخشى سراى - الفصل الثانى



علية عبد الرازق



ودود فيظى

Ballet Hongrois "Maggiar"

فرقة الرقص الشعبى بالمجر «ماچيار»



رقص الكالوتسيجى على موسيقى بيتر جوروج



رقصة سيزار داس من الرقص المجرى الأصيل

Bamberg Symphony Orchestra

أوركسترا بامبرج بألمانيا الاتحادية





الأوركسترا السيمفونى «بامبرج»

قائد الأوركسترا : هاينز ڤالبرج ◄

Covent Garden Ballet (London)

فرقة الباليه البريطانى «كرفنت جاردن»





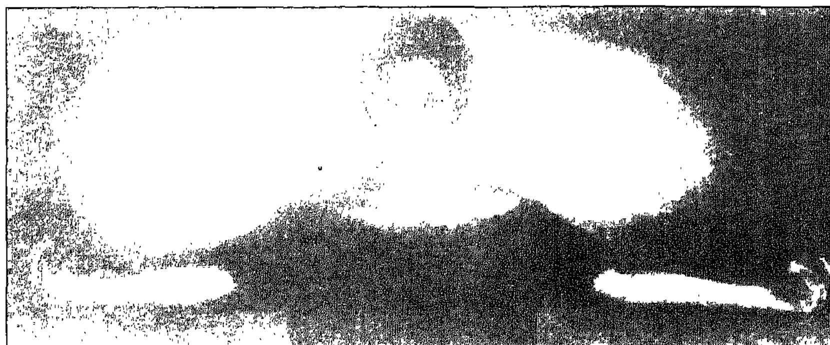
البرنامج :

* بحيرة البجع — * Swan Lake
* سوليتير (مالكولم أرنولد) — * Solitaire
الحلم (فردريك أشتون) — * Dream
كونشيرتو (كينيث ماكميلان) — * Concerto



Luthero Tena

الراقصة الأسبانية : لوثيرو تينا



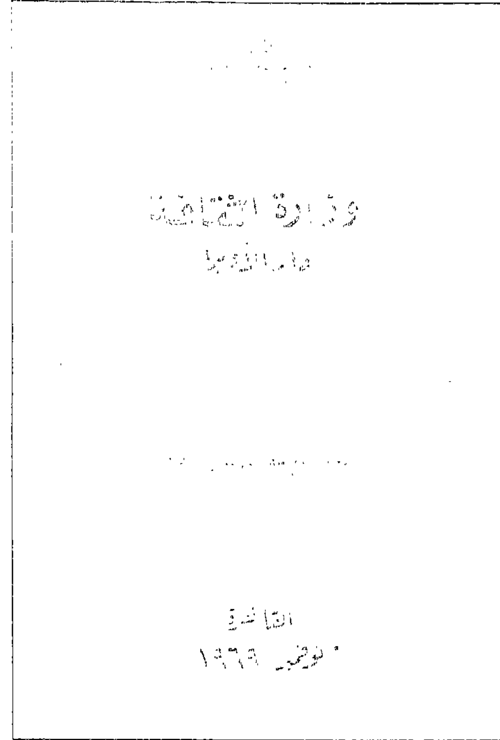


مع الراقصة
الأسبانية لوثيرو تينا





مع الراقصة الأسبانية لوثيرو تينا



الموسم الغنائى الإيطالى

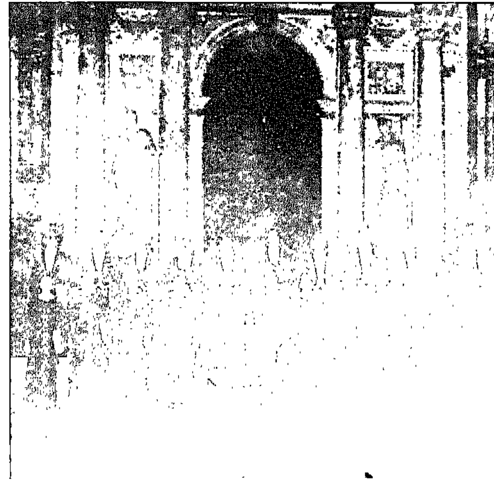
Saison Lyrique Italienne (1969)
Piccolo Teatro Musicale
Della Cittá Di Roma avec I Virtuosi Di Roma

المسرح الموسيقى الصغير بروما

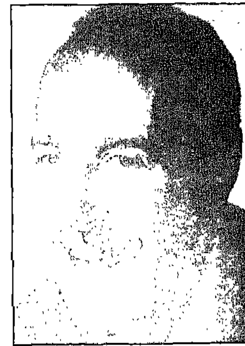
بالاشتـــراك مـــع:
جماعة : «ڤرتيوزى دى روما»
بقيادة: ريناتو فازانو
فرقة كورال الراديو والتليفزيون الإيطالى
بقيادة: نينو أنتونيللى

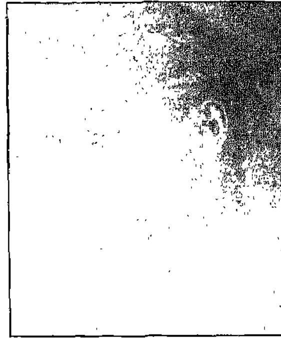
فى البرنامج: أوبرا حلاق أشبيليه (بايزيللو)
سوق مالمانتيلى (تشيماروزا)
حفل سيمفونى :
* حفل من مؤلفات : ڤيڤالدى
* حفل غنائى للكورال

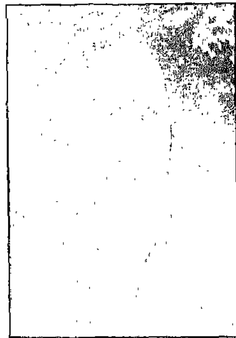


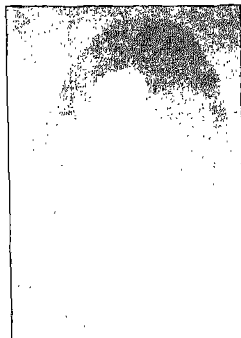


فرقة كورال الحجرة


كارلو باديولى

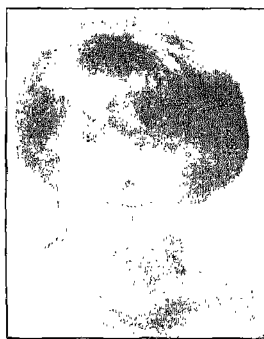

إلينا زيليو

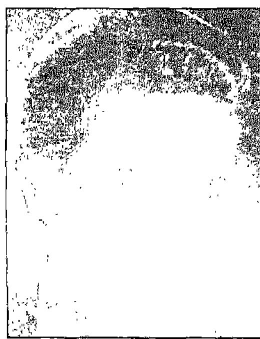

أوجو تراما


چانّى سوتشى

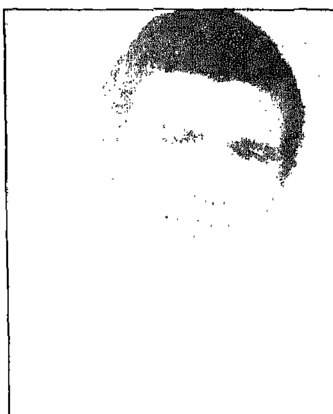

البرتو رينالدى

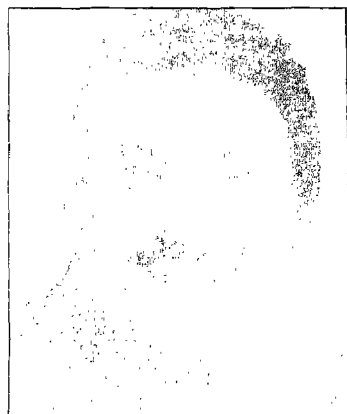

ألڤينيو ميشانو

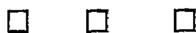

چانّا أماتو


إدوارد خيمنز


تشيتشيليا فوسكو

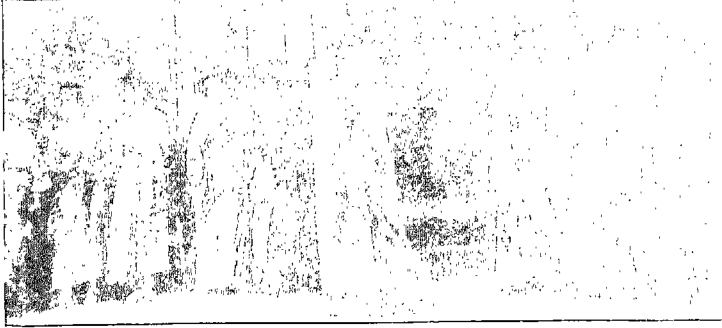

أتيليو بوركيلارو


مانليو روكى



إضافات إلى الجهود الوطنية الرائدة فى الأوبرا والباليه

أوبرا مدام بترفلاى

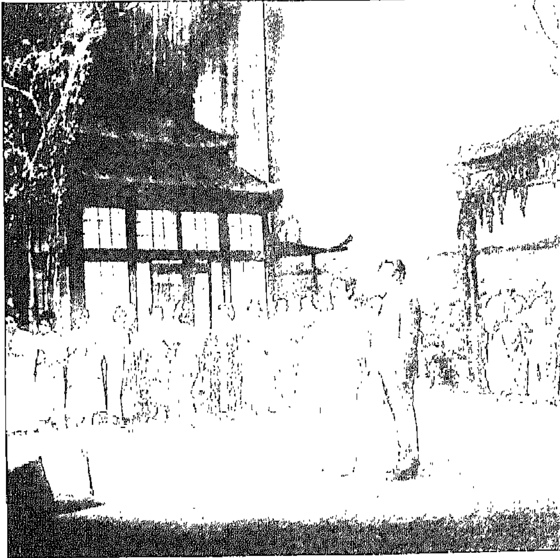


أوبرا لابوهيم: (١٩٧٠)

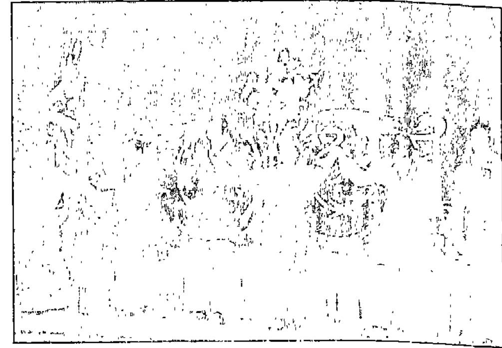
أستاذ الكورال : ألدومانياتو

اخراج : ماراسكا

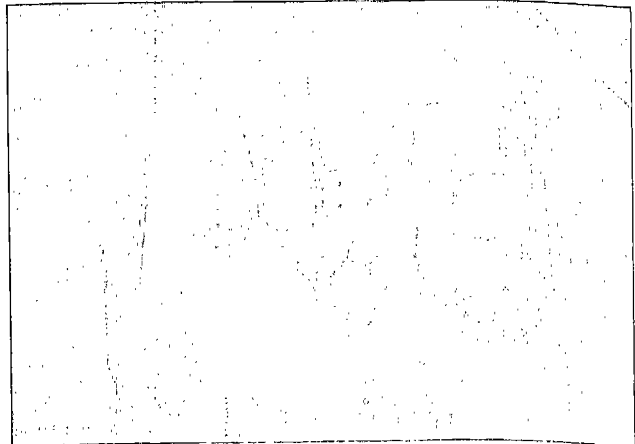
أدوار رئيسية : جابر البلتاجى - غالية راشد - حسن كامى . . . رتيبة الحفنى - عفاف راضى - سيد شحاتة . .









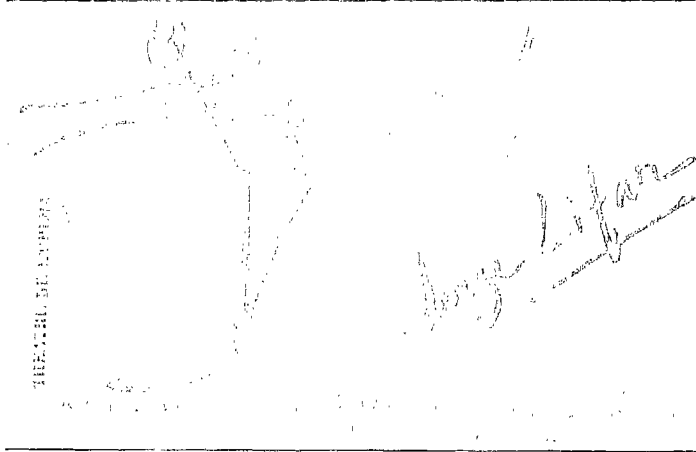




(مايو ١٩٧٠) فرقة باليه أوبرا القاهرة

مع أوركسترا القاهرة السيمفونى وفرقة كورال أوبرا القاهرة

فى الموسم : مقدمة لعصر يوم من أيام إنسان الغاب،، قصيدة للشاعر الفرنسى : مالارميه - موسيقى : ديبوسى - ديكور وملابس : بيكاسو (مهدى إلى سيرج ليفار)



جان الغاب : رضا فريد
دافنيس وكلويه : رافيل
ديكور وملابس (بإذن خاص) :
مارك شاجال
تصميم رقصات وإخراج :
سيرج ليفار

قائد الأوركسترا :
چان لوى چوبير
قائد الكورال :
ألدو مانياتو
تنفيذ الديكور :
عبد الله العيوطى ومصطفى صالح
تنفيذ الملابس :
حميدة حافظ وأحمد عفيفى
إضاءة :
فايق حنا

توزيع الأدوار :

كلويه : ماجدة صالح - دافنيس : عبد المنعم كامل

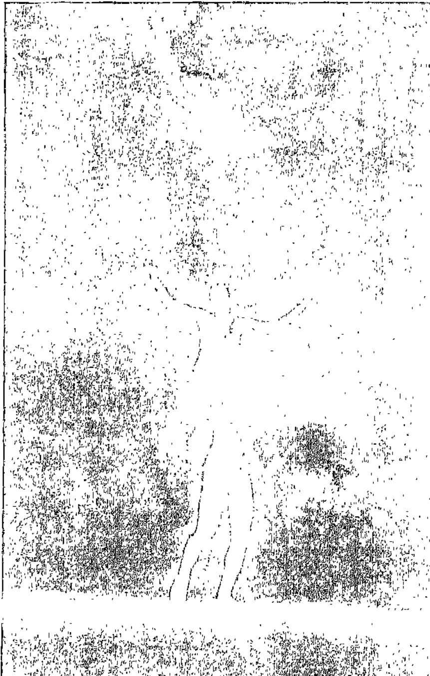
دوركون : رضا فريد - ليسيون : سلوى جلال

رئيس القراصنة : محمد منصور - الحوريات : مرڤت نبراوى وهانزاده فيظي وسهير هندى

القراصنة : عصمت على - وجيه يوسف - يحيى عبد التواب - خالد رامز

راعيات : سناء سليمان - لبنى محمود - سهير الشيشينى - يسرية مرزوق - منى الخطيب - سلوى هنرى - منى عبد الملك - إيڤيت نجيب

رعاة وقراصنة : عاصم الهنيدى - محمود أبو بكر - وديع فوزى - محمد عبد الله - يسرى عبد الله - صفوت عبد الملك - محسن شطا - صلاح الدين حنفى (لامون) الراعى : هارون الرشيد



باليه دافنيس وكلويه ◄
ماجدة صالح وعبد المنعم كامل



BALLET ENSEMBLE OF THE GERMAN OPERA (West Berlin)

فرقة باليه أوپرا برلين (الغربية)

بالتعاون مع معهد جوته بالقاهرة

البرنامج الأول : سيمفونية (بيزيه)
إغراء إيزابو (ڤيرنر إك)
كونشيرتو (باخ)
هاملت (بوريس بلاخر)

البرنامج الثانى : رسومات (من موسيقى تشايكوفسكى)
(ثلاثيتان لآلات الڤيولينة والتشيللو والبيانو)
* رقصة الفلاحين (من باليه چيزيل من موسيقى ف . بورجمولر)
* متاهة الحقيقة (عن راشومين من موسيقى إدجار ڤاريز)
* كونشيرتو (من موسيقى مينكوس)
* دون كيشوت (من موسيقى مينكوس)
* كونشيرتو (باخ)
* حفل الافتتاح (من موسيقى پروكوفييف)

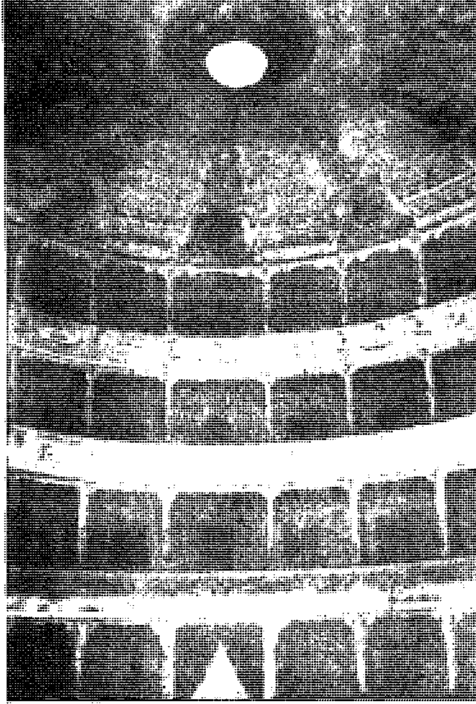


► وزير الثقافة بدر الدين أبو غازى مع شقيقى المؤلف الموسيقى أبو بكر خيرت، على وعثمان، فى مناسبة وضع لوحة جدارية له فى بهو دار الأوپرا



◄ وزير الثقافة بدر الدين أبو غازى مع لويس شقيق المؤلف الموسيقى يوسف جريس، فى مناسبة وضع لوحة جدارية له فى بهو دار الأوپرا. وفى الصورة المخرج السينمائى أحمد كامل مرسى والناقد الموسيقى عادل كامل

أوپريت «حياة فنان» (١٩٧٠)
DANCING YEARS: Ivor Novello



فرقتا الأوپرا والكورال بدار الأوپرا
بالاشتراك مع :
أوركسترا القاهرة السيمفونى
فرقة باليه أوپرا القاهرة ونجوم المسرح القومى
تعريب : عبد الرحمن الخميسى
ديكور : سامى رافع
تنفيذ أزياء : لامبرو ڤاسيلیادس Lambro Vassiladis
أحمد عفيفى
قيادة أوركسترا : أحمد عبيد - يوسف السيسى
قيادة كورال : ألدو مانياتو
إدارة مسرح : عبد الله العيوطى
موسيقى وألحان : نوڤيللو - شتراوس



◄ الوزير بدر الدين أبو غازى مع فنانى الأوپريت



وفى إضافات كبرى لفرقة الباليه، عامى ١٩٧٠، ١٩٧١ قدمت عروض: دون چوان (موسيقى: فيجين) ودون كيشوت (موسيقى: مينكوس)

من إخراج الخبير الروسى : أ. كوزنتوف

Kiev Theater (Opera & Ballet)

فرقة مسرح كييف للأوبرا والباليه

بالاشتراك مع : **أوركسترا القاهرة السيمفونى**

فى البرنامج :

١ - منوعات : موسيقى شوپان
پروكو فييف - عشرة موسيقيين

٢ - أغنية الغابة : باليه من ثلاثة فصول
(موسيقى : سكورولسكى)



الموسم الغنائى الإيطالى (مسرح كاليارى) مارس إبريل ١٩٧١

فى البرنامج :

عايدة
ريجوليتو } ڤيردى
ريكويم

توسكا (پوتشينى)

Saison Lyrique Italienne (1971)

avec le concours de:

L'Organisme Des concerts Du Théâtre Lyrique

G. PIERLUIGI DAPALESTRINA - CAGLIARI

L'Orchestre Symphonique Du CAIRE

Les Choeurs De L'Opéra Du CAIRE

Les Ballets Du CAIRE

Répertoire:

Aida - Rigoletto - Requiem (Verdi) - Tosca

Chefs d'Orchestre:

Ottavio Ziino - Carlo Franci -Danilo Belardinelli

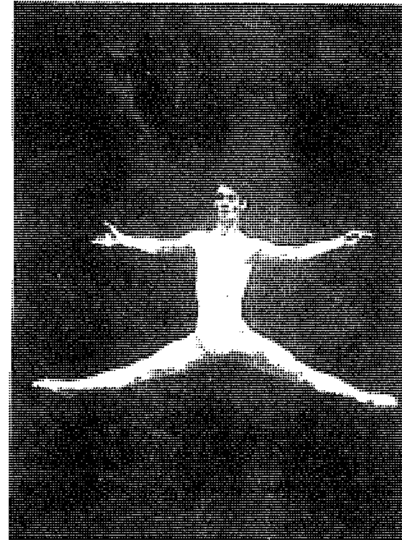
Maître des Choeurs: Aldo Magnato

Interprètes:

M. Sighele - A. Mori - A.M. Rota- C. Cava - O. Santugnione - A. Galié - G.G.Guelfi - P. Mazzotta - L.Risani - A.Farti - A. Pedroni - L. Medda - R. Fornari.

Ballet (solistes):

Abdel Moneim Kamel - A.Shoukry - Kh. Ramez - R. Farid



Ballet of the Comic Opéra (Berlin G.D.R)

فبراير ١٩٧١

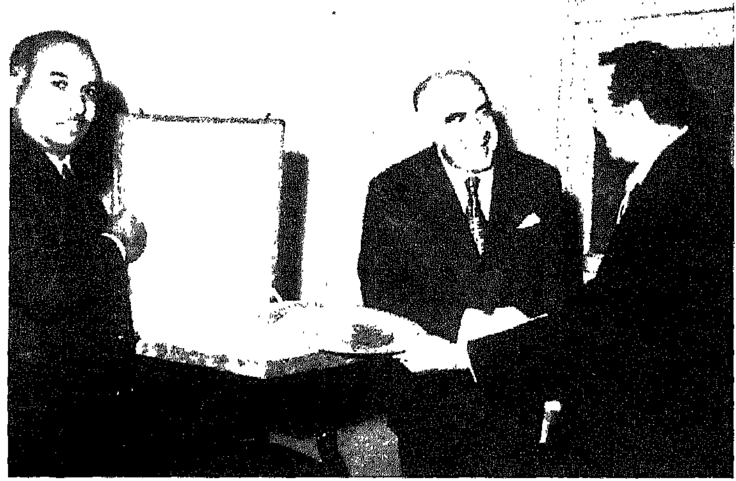
موسم باليه الأوبرا كوميك فى برلين (الشرقية)

فى البرنامج :

* منوعات على موسيقى

أ - سيزار پونى - پروكوفييف - أوبير - ديبوسى
. ڤ . هينزى

ميلستد - تشايكوفسكى - مينكوس -
سان صانص - آدم - ديبوسى - ماتوس -
پروكوفييف - ألحان شعبية



هدية تذكارية إلى مدير مسرح كاليارى ورئيس المدينة



آخر المواسم الإيطالية التقليدية قبل احتراق الدار

تجمع الصورة مع وزير الثقافة بدر الدين أبو غازى والسفير الإيطالى «پلايا»، من مشاهير الفنانين المشتركين في ختام مائة عام من عروض أوبرا «عايدة» المايسترو كارلو فرانشى، من قادة مسرح «لاسكالا ميلانو» الإيطالى وأحد أعرق المسارح الأربعة فى تاريخ الأوپرا مع ڤيينا وپاريس ومترپوليتان فى نيويورك. ومن الطريف أن الفنانة «پاروتو» القائمة بدور الأميرة المصرية: أمنيريس، كانت قد ألحت فى طلب السماح لها بوضع التاج الفرعونى المتحفى على رأسها، وكان لها ما أرادت، ولتبقى صورته هنا بعد مائة عام من تصنيعه خصيصًا للعرض الأول لأوپرا عايدة، من أبقى الذكريات بعد أن فقد فى حريق الدار. وكانت الفنانة ڤرچينيا زيانى، الصديقة القديمة لدار الأوپرا هى آخر من قامت بدور: عايدة!

ومن الطريف أيضا فى هذا الموسم الختامى للدار بعد أن جاوز عمرها القرن بعامين، أن يقدم «لحن الغفران» لڤيردى على غير العادة وكأنه الرثاء للدار نفسها!

لحـــن الغفـــران
چوزيپـــى ڤيـــردى

قـدم لأول مـرة فى ٢٢ مـايو سنة ١٨٧٤ بميـلانو ولأول مـرة بأوپرا القاهرة فى ٢٦ مارس سنة ١٨٧٥

سوليست غناء

ميتا سيجيلى	(سوپرانو)
أناماريا رو '	(ميتزو سوپرانو)
أنجيلومورى	(تينور)
كارلوكاڤا	(باص)







Messa Da Requiem

بالاشتراك مع

فرقة كورال أوپرا القاهرة

أوركسترا القاهرة السيمفونى

قائد الأوركسترا :
أوتاڤيو زينو

Chef D'Orchestre:
Ottavio Ziino

الجـــزء الأول

١ ـ المدخل والدعاء بالراحة الأبدية «٤ سوليست والكورال»

٢ ـ يوم الحشر :

أ ـ تصوير يوم الحشر «الكورال»

ب ـ النفخ فى الصـور والبـعث من القبور «الكورال»

جـ ـ يوم الحساب «ميتزو سوپرانو والكورال»

د ـ الخوف من العقاب والرجاء فى الثـواب «ميـتـزو سـوپرانو، سوپرانو، تينور»

هـ ـ الملك الجـبـار «مـجـمـوعـة السوليست والكورال»

و ـ تذكروا شفاعة المسيح «سوپرانو ـ ميتزو سوپرانو»

ز ـ تنهدات المخطئين «تينور»

حـ ـ الاعتراف بالخطايا «باص»

ط ـ دمـوع النادمين وهـم يطلبـون المغفرة «مجموعة السـوليست والكورال»

الجـــزء الثانى

٣ ـ نشيد القرابين «الكورال»

٤ ـ التـقـديس والضـراعـة لرب السـمـوات والأرض «الكورال»

٥ ـ طلب الشـفـاعـة «سـوپرانو، ميتزوسپرانو، الكورال»

٦ ـ ربنا امنح المتوفى نورك الأبدى «ميـتـزو سـوپورانو، تينور، باص»

٧ ـ ربنا خلص روحه لينعم بالراحة الأبدية فى الملكوت السماوى «سوپرانو والكورال»



Lübeck Chamber Opera

فرقة لوبيك
لأوبرا الحجرة
(٢٢ / ١٠ / ١٩٧١)

البرنامج:

* حديقة الورد (سكارلاتى)
* الشيطان الأعرج (چان فرانسيه)
* پيمپيونى (تيليمان)

أوبرا القــــاهرة

موسم ١٩٧١ / ١٩٧٢

وزارة الثقافة والاعلام
هيئة المسرح والموسيقى والســـينما

◄ موسم المهرجان الدولى لأوپرا «عايدة» والذى لم يتم بسبب حريق الدار



الحريق فى ٢٨ أكتوبر ١٩٧١ ◄



(ترجمه اللعبة المسماة باسم)

عايده

وهى قطعة تياتريه من نوع الالعاب المعروفة باسم الاوبيره
(أى التصوير لحادثة تاريخية شهيره) تشتمل على مناظر عجيبه
ومراقص مستغرب بها يتخللها اغانى موسيقية مطربه
متوزعة على ثلاثة فصول وسبعة مناظر
تأليف المعلم غيزلنسونى وتوقيع الاوزان ويردى
مصنفة
بامر سعادة خديو مصر

Quaderni dell'Istituto di Studi Verdiani **4**
con documentazione inedita sulla genesi dell' "Aida" a cura di Saleh Abdoun

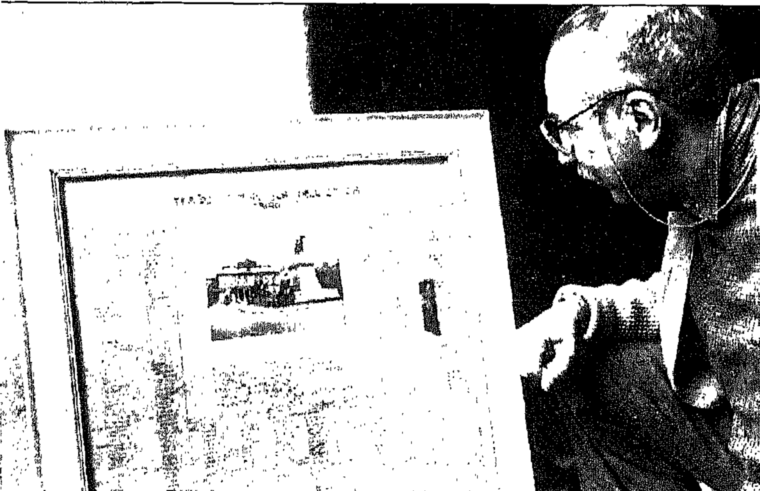
تعريب
العبد الفقير ابى السعود افندى
محرر جريدة وادى النيل

غلاف الكتاب التذكارى الصادر عن:
معهد دراسات ڤيردى فى مناسبة العيد المئوى لأوبرا عايدة
(١٩٧١/١٢/٢٤)



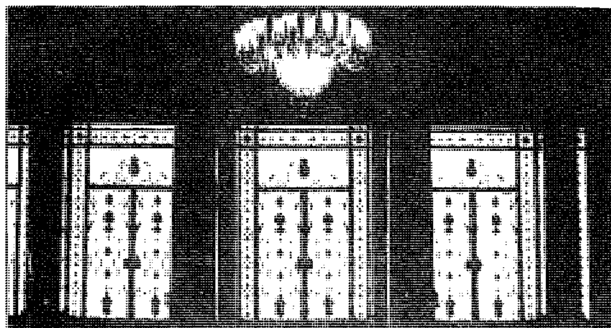
غلاف كتاب: عايدة ومائة شمعة
(١٩٧٥)

(منح جائزة الثقافة من مجلس الوزراء الإيطالى) ◄

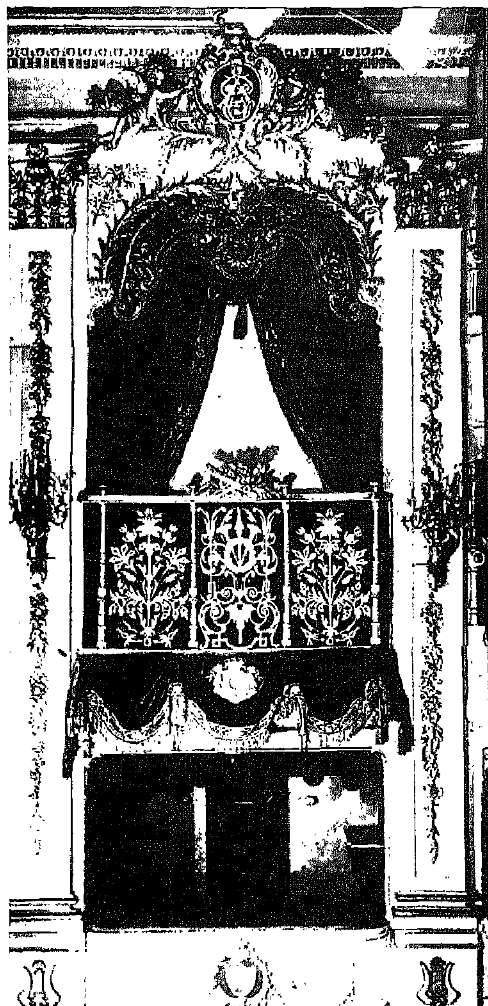


تحقيق حديث للمعلومة الخاصة بما جاء من أخطاء فى اللوحة الصادرة عن الدار عام ١٩٠٧ بمعرض ميلانو الدولى ◄

لمسات من الديكور الداخلى بالدار منذ أول عهودها



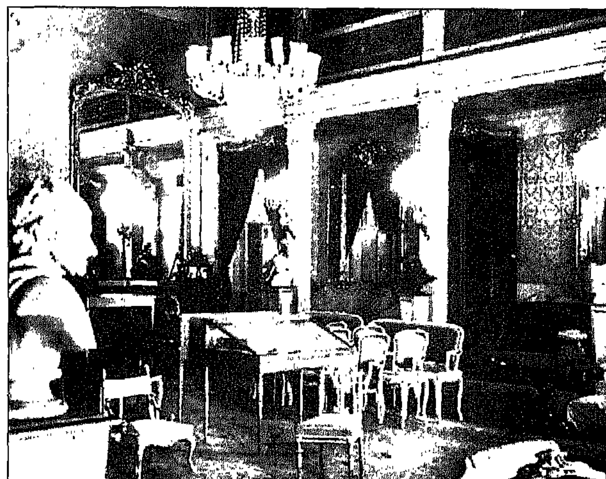
أبواب الدار الخارجية



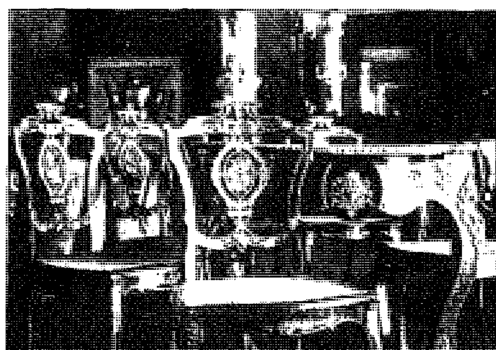
الحرملك



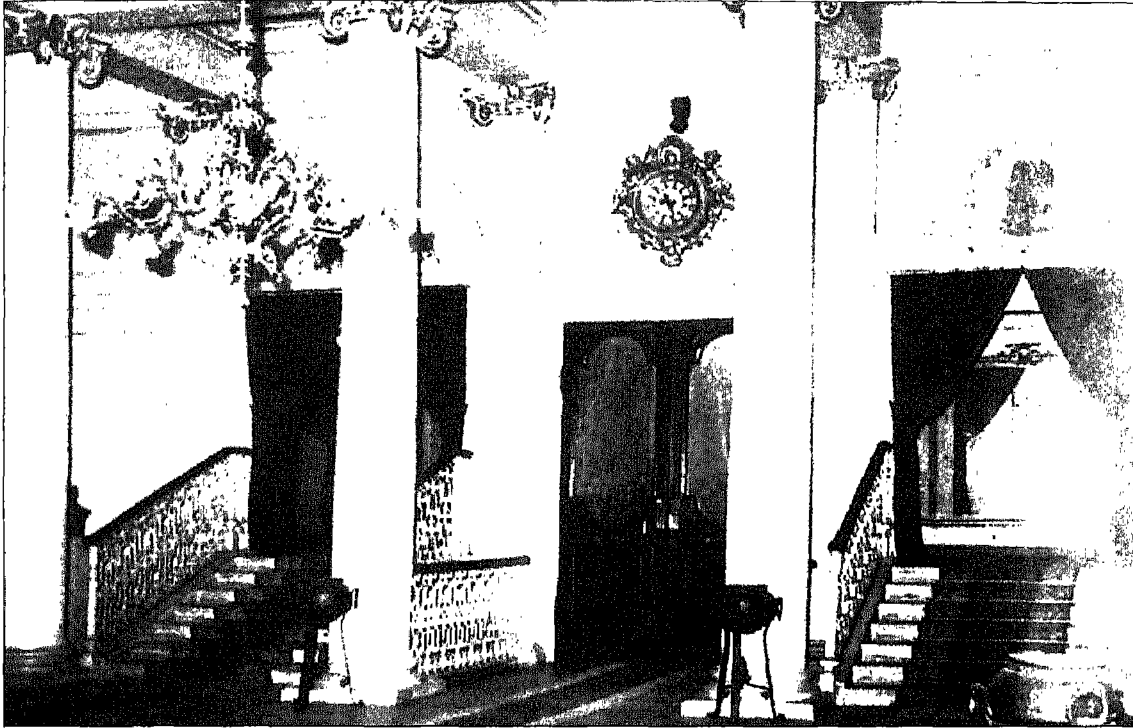
طاقم المذهب بالمتحف



صالة اسماعيل



طقم «بول»



بهو الأوپرا



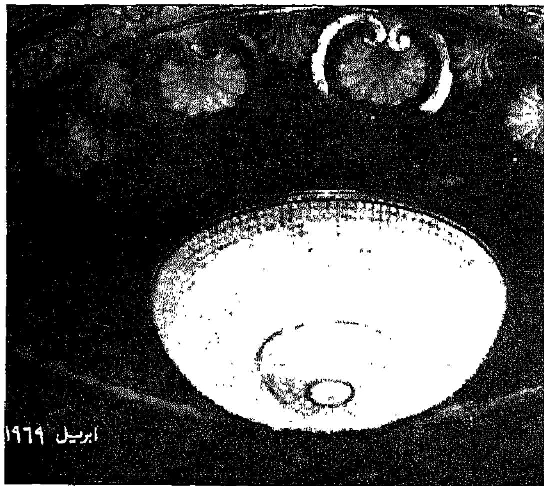




الأثاث : كريجر فى باريس عام ١٨٦٩ والمرايا صناعة الإيطالى السكندرى : پارڤيس وأطقم «بول» «ولوى كانز»


مقصورة بالدور الأرضى (بنوار)


لوج علوى



النجفة فى سقف الصالة


الأثاث «كريچر» (إحدى القطع بمتحف الأوبرا)


الخروج من الدار

لقطات من جو الأوبرا فى أواخر عهودها

















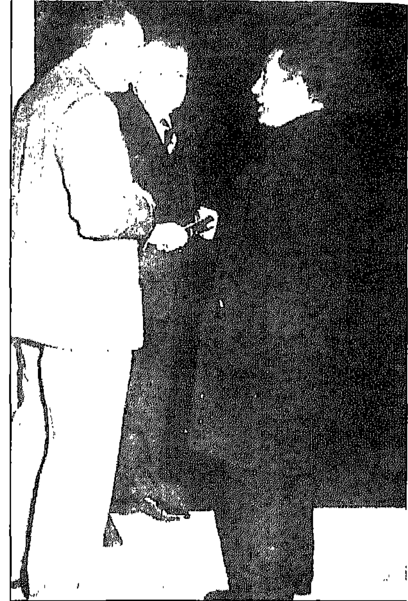






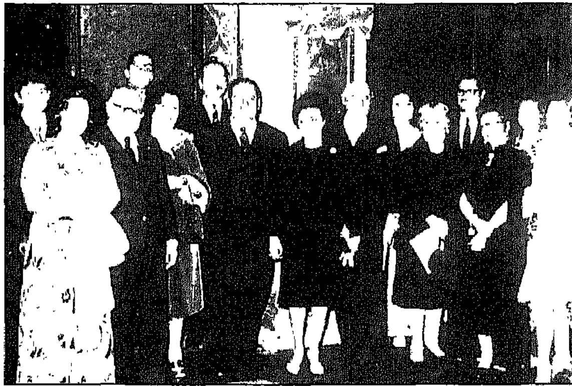














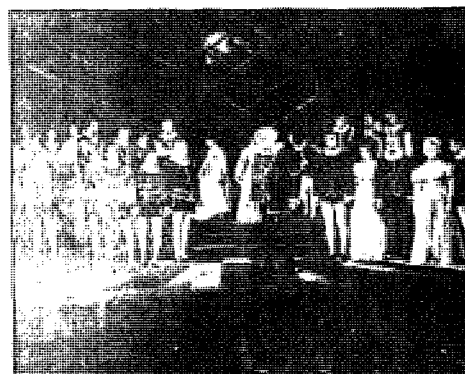


(مارس ١٩٧٥) يسم الأول للأوبرا بقاعة سيد درويش Novi Sad Opera Seaon (1975)

موسم الأوبرا

اليوغوسلافى

مسرح نوفى ساد







ميلكا ستويانوڤيتش



دوشان ميلادينوڤيتش
قائد الأوركسترا



ميروسلاف شانجالوڤيتش

بالاشتراك مع :

* أوركسترا وكورال وباليه والخدمات المسرحية بالمسرح الصربى القومى :

البرنامج :

* ريجوليتو (ڤيردى)
* الأمير إيجور (بورودين)
* إيرو المهزار (جوتوڤاتس)

باليــــه :

* فتاة متمردة (هيرولد)
* حفل سيمفونى



ديمترى بارليت



دوشان ريستتش

المحتويـــات

الصفحة

كلمة رئيس الهيئة العامة للمركز الثقافى القومى

(دار الأوبرا المصرية.. فى عامها العاشر)

فى العام العاشر لافتتاح دار الأوبرا المصرية الجديدة نتطلع جميعاً إلى المزيد من الثراء الفنى، والإبداع والتواصل مع الجمهور، والعالم من حولنا.

هذا العام سوف يكون ـ بإذن الله ـ عامًا للتميز والتجديد. . وستواصل دار الأوبرا المصرية عطاءها الذى أسهم ف إضاءة الحياة الثقافية فى مصر منذ أكتوبر عام ١٩٨٨ ولا تزال، وقد أضحى جليًا مدى أهمية الدور الذى تلعبه الثقافة والفنون فى الارتقاء بمشاعر الإنسان وتطوره، وأهمية الدور الإشعاعى الذى تقدمه دار الأوبرا المصرية وفنونها الرفيعة فى هذا التفاعل الإنسانى الوجدانى والمعرفى حيث استطاعت الأوبرا أن تنشر رحيقها على أرجاء وطننا الغالى، بفرقها وفنونها المتميزة فى شتى مجالات الفنون الرفيعة من باليه وأوبرا وأوركسترا وكورال وموسيقى عربية وغيرها.

سيكون هذا العام عامًا احتفاليًا غنيًا بالتنوع والتكامل وسيشهد تأصيلا ـ من ناحية ـ الفعاليات والمهرجانات التى اشتد عودها ورسخت على مدى الأعوام السابقة مثل «مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى»، و«مهرجان القاهرة السينمائى» و«مهرجان ومؤتمر الموسيقى العربية» و«مهرجان الأفلام الروائية» بالإضافة إلى مهرجانات جديدة تشهدها مصر لأول مرة منها «المهرجان العالمى للرقص المسرحى الحديث» الذى سوف يبدأ ببلجيكا و«المهرجان العالمى لسينما الأفلام الصامتة». وبالنسبة للعروض ستستمر دار الأوبرا فى إستضافة أعظم فرق العالم من مختلف أرجائه، وسيشهد هذا العام إنتاجًا متميزًا وجديدًا لبرامج الفرق التابعة للأوبرا مع إعطائها دفعة قوية لتأكيد عطائها الفنى وزيادة رقعة العروض الخارجية بحيث تشمل العديد والعديد من الأماك فى صعيد مصر وسواحلها ودلتا النيل وفق خطة مدروسة على مدار العام.

كما نسعى بفرقنا الفنية إلى المزيد من التفاعل والتواصل مع الجمهور المصرى بحفلات «الموسيقى للجميع» التى يقدمها أوركسترا أوبرا القاهرة وتقديم أعمال أوبرالية جديدة تتسم بالبساطة والسهولة ستقدمها فرقة أوبرا القاهرة، وكذا الاحتفال بذكرى عباقرة الموسيقى العربية التى تقدمها فرق الموسيقى العربية بالأوبرا فى هذا الموسم، كذلك استمرار الاحتفال بعيد الموسيقى الذى شهد نجاحًا أسطوريًا هذا العام.

ومن الأعمال القومية العظيمة لدار الأوبرا سنبدأ بعرض أوبرا عايدة فى أكتوبر ٩٨ بين أحضان الأهرامات والتاريخ ذات الإنتاج العالمى الضخم، كما تستضيف دار الأوبرا فرقة الرحبانية لتقديم عرض «آخر أيام سقراط» وهو عرض يتسم بالجمال كما أصبح من المؤكد أن معظم الفعاليات القومية والمناسبات الوطنية تشارك فيها فرق الأوبرا بكافة عناصرها.

وفى سبيل السعى للمعزوفة التكاملية التى تقدمها دار الأوبرا يستمر تقديم النشاط الفكرى والثقافى على المسرح الصغير مجانًا لكافة المتذوقين من الأمسيات والندوات والأفلام والصالونات وسنبدأ هذا الموسم بلقاءات الصالون الفكرى للعالم المصرى أحمد زويل الذى سيكون بمثابة صالون دائم ينبثق من صالون الأوبرا الثقافى ويضاف إلى الرصيد الرائع للرواد والمفكرين على مدى سنوات سابقة منذ عام ١٩٩٢ وحتى الآن.

كما سنواصل إستضافة الدول العربية بعبق فنونها وتراثها خلال شهر رمضان المبارك فى سهرات الأوبرا العربية. ولمزيد من التواصل سيشهد العام القادم إصدارات ومطبوعات ثقافية رفيعة المستوى وعظيمة الفائدة للمثقف والمتذوق والناقد. من هذه الإصدارات. . «كتاب عشر سنوات من عمر الأوبرا»، «الأوبرا فى مائة عام»، «سلسلة التذوق الموسيقى للأطفال»، «سلسلة صالونات الأوبرا الثقافية»، و«كتاب باليه بحيرة البجع» (صور للأطفال) هذا بالإضافة إلى إلقاء الضوء على بعض أهم كتب الفنون بطبعها. كما سيصدر لأول مرة مجموعة كبيرة من التسجيلات الموسيقية سواء العالمية من تقديم أوركسترات الأوبرا السيمفونية المختلفة أو فى مجال الموسيقى العربية من خلال تسجيلات جميع المهرجانات الابقة من المهرجان الأول حتى المهرجان السادس وتتنوع هذه التسجيلات ما بين شريط الكاسيت بسعره البسيط وكذلك .C.D حيث الجودة العالمية للصوت. وكذلك أشرطة الفيديو المتميزة لكل من عروض فرقة باليه أوبرا القاهرة وفرق سوليست وكورال وأوركسترا أوبرا القاهرة من الباليهات الشهيرة والأوبرات المتميزة، وغيرها مما يثرى المكتبة الموسيقية والثقافية فى مصر والعالم العربى سيكون برنامجنا لهذا العام احتفالاً دائمًا بمرور عشر سنوات على إنشاء دار الأوبرا.

إن المتابع لنشاط دار الأوبرا المصرية سيدرك أن الهدف الأرقى والأسمى لنا هو التواصل بكل معانيه الإنسانية البناءة بحيث نتواصل مع فرق العالم المختلفة لتقديم أرقى وأعظم الفنون الإنسانية، ونتواصل مع الشباب حيث الإبداع الجديد والمتميز لتقديم كل ما هو جيد وجاد، تتواصل معًا فى سيمفونية عمل متكاملة لتقديم كل ما هو نافع ومفيد.

. . . نتواصل كى نبقى ذلك الرحيق الإنسانى الهارمونى متصلاً والذى يُعتبر الجمهور أهم ركائزه فى دعمنا وتقدمنا لما فيه خير الإنسان والإنسانية.

دكتور مصطفى ناجى

رقم الإيداع ١٥٨٢٨ /٩٩
الترقيم الدولى 6 - 0583 - 09 - 977

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)